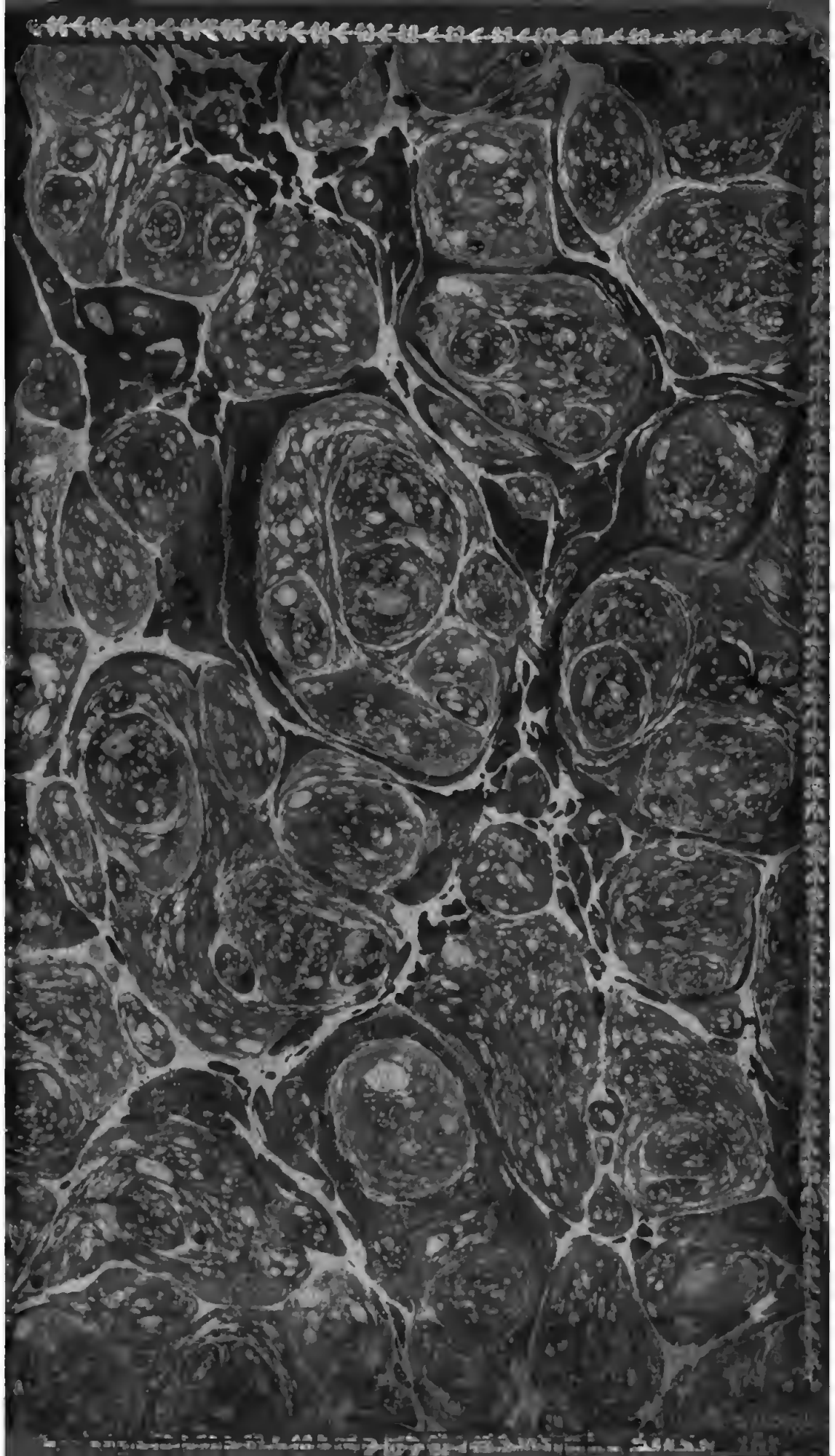

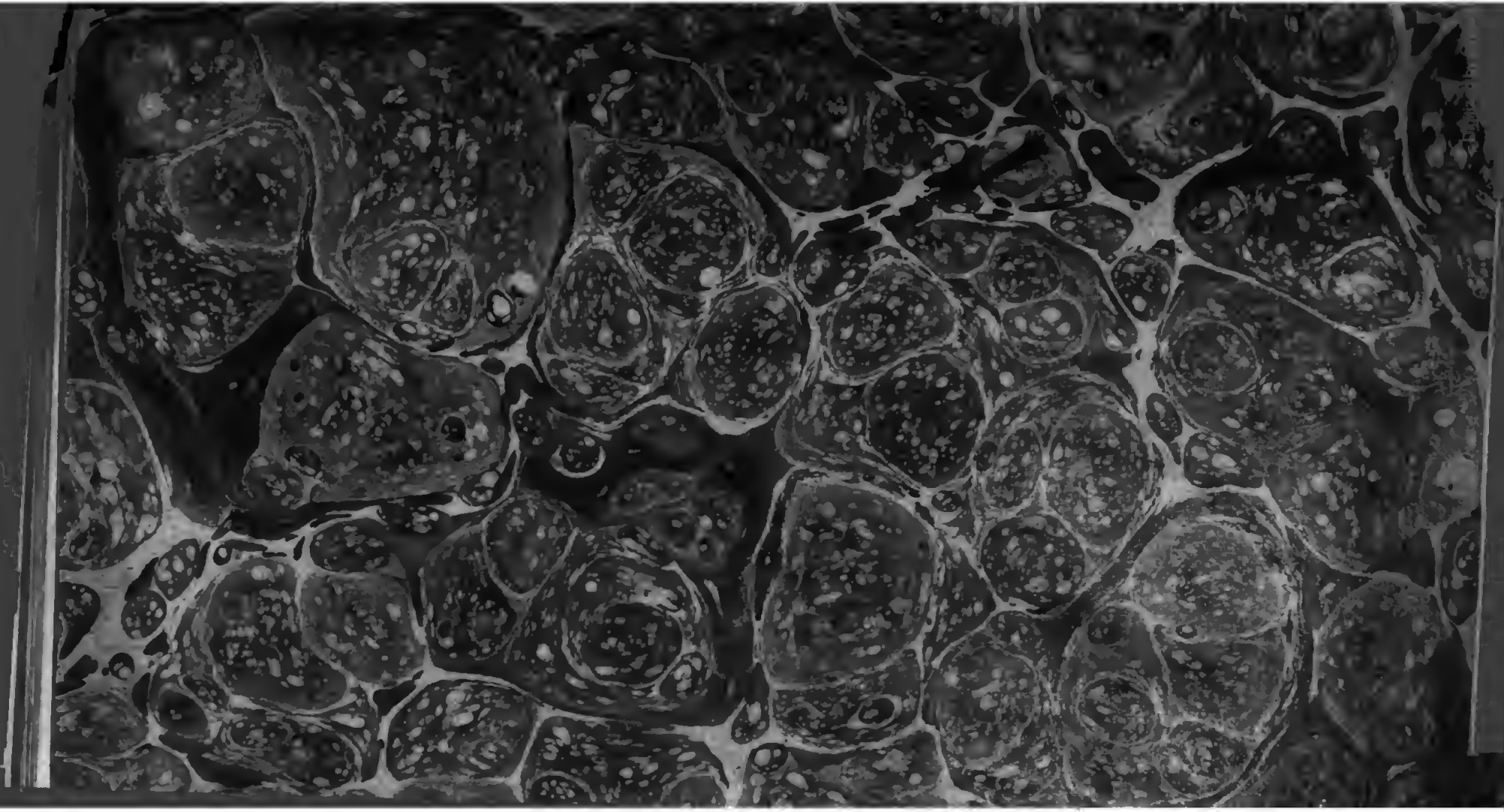

II Supl-Polon. A. 249

Biblioteca
Nazionale
Napoli

B. ALPHONSVS MAR. DE LIGORIO
Congreg. SS. Redemptoris Institutor
S. Agathæ Gothorum Episcopus

كتاب

الواسطة العظيمة

لنوال الخلاص الابدى وكل النعم التى نرغبها من
الله . وهذه الواسطة هى الصلوة

فقد الفى هذا الكتاب اللاهوتي الروحى الجزيل الافادة
للجميع . القديس الفونسوس ليكورى اسقف
مدينة القديسة اغاثي دى كوثي فى مملكة نابولى .
وهو قسمان. اولهما فى شان ضرورة الصلوة . وقيمتها .
وشروطها . ثانيهما فى ان نعمة الصلوة قد اعطيت
للجميع. وفى النوع الاعتيادى لمفاعيل النعمة
فلكى تعم افادة هذا الكتاب لسكان البلاد الشرقية
ايضًا . قد استخرجه من اللسان الايطاليانى الى
اللغة العربية السيد مكسيموس مظلوم رئيس
اساقفة ميراليكيا الروم الملكى الحلبى الكلى
الشرف والاحترام . الذى قد طبعه بنفقته
وتحت مناظرته . وذلك

فى مدينة روميه العظمى فى مطبعة مجمع انتشار
الايمان المقدس باذن الرؤسا. سنة ١٨٢٤

627506 S3N

بسم الاب والابن والروح القدس
الاله الواحد امين

الفاتحة

تتضمن تقدمة المولف كتابه هذا ليسوع
ومريم . ليكون مكرسًا بحمايتهما

يايسوع المسيح حبيب الاب الازلى المملو بركات صانع الحيوة وسلطان المجد . يامخلص العالم . وانتظار الامم . ومشتهى الجبال الابدية . والخبز السماوى . ايها القاضى العام . والوسيط فيما بين الله والبشر . ومعلم الفضايل . ياخاروفًا بلا عيب . ورجل الاوجاع . ايها الكاهن الابدى . وضحية الحب . ورجا الخطاة . وينبوع النعم . والراعى الصالح المغرم بمحبة البشر . ان الفونسوس الخاطى يكرس كتابه هذا لك ايها الكلمة المتجسد . فانت يابن الله المتانس قد سفكت دمك وابحت حياتك لكى تكتسب لصلواتنا (حسبما وعدت) قيمةً وفاعليةً هذا

هذا حدهما . حتى انها تستمد لنا من الله كل مانطلبهُ . وامّا نحن الاشقيا فبهذا المقدار متوانون فى امر خلاصنا . حتى ولا نلتمس منك النعم التى تحتاج اليها للخلاص . والحال انك بهذى الواسطة التى هى الصلوة . قد اعطيتنا مفتاح خزاينك الالهية كلها . ولكن نحن بعدم ممارستنا الصلوة نريد ان نلبث فى شقاوتنا كما نحن حاصلون . فانر ظلماتنا يااالهنا . وعرفنا كم هى مفاعيل صلواتنا لدى ابيك الازلى . اذا قدمناها باسمك وباستحقاقاتك . فمن حين اننى كرست لديك كتابى هذا . فانت باركهُ . واجعل جميع الذين يحصل هو فى ايديهم ان يغرموا بمحبة الصلوة . ويجتهدوا فى ان يجذبوا الاخرين ايضًا الى عشقها . لكى يستخدموا كافةً هذه الواسطة العظيمة المفيدة لخلاصهم * ثم اننى اتوسل اليك انت ايضًا ياوالدة الاله العظيمة . فى ان تتخذى هذا التاليف الصغير تحت حمايتك . باستمدادك لجميع اوليك الذين يقرأونه روح الصلوة . اى انهم يلتجيون دايمًا فى كل احتياجاتهم الى ابنك . واليك انت الموزعة النعم وام الرحمة . التى لا تتركين احدًا ان

يمضى من امامك خازيًا بعد النهايه اليك . لانك انت هى البتول القادرة على ان تستمدى من الله لعبيدك كل شئ تسالينه . فليكن فليكن

القسم الاول

فى شان ضرورة الصلوة . وقيمتها . وشروطها

وفيه مقدمة وثلثة روس .

المقدمة

فى موضوع هذا الكتاب وغايته

اننى لقد اشعرت حتى الان فيما بين الشعوب عدة تاليفات روحية مدونة منى . ولكننى اعتبر بالصواب اني ما صنعت مولفًا اكثر افادةً من هذا الكتاب . الذى فيه تكلمت بخصوص الصلوة . التى هى واسطةٌ ضرورية وامينة لنوال الخلاص الابدى . مع كل النعم التى نحتاج اليها للفوز به

فاى نعم انا عاجزٌ عن ان استطيع على طبعه بعدد يوازى كثرة البشر . ولكنى لو قدرت لفعلت هذا الامر .

الامر. ووزعت على كلٍ من المومنين نسخةً منهُ. لكى يفهم كل واحدٍ منهم حقيقة الضرورة التى لجميعنا . فى ممارسة الصلوة لنوال الخلاص ❋ وانما اقول هذا . لاني الاحظ من الجهة الواحدة . ان ضرورة الصلوة المطلقة هذه . هى مامورة بتحريضاتٍ كلية من نصوص الكتاب المقدس باسره . ومن الابا القديسين كلهم . وارى بالضد من الجهة الاخرى . ان المسيحيين يمارسون قليلاً جدًا هذه الواسطة العظيمة لخلاصهم • ثم ان الامر الذى يغمنى بالاكثر . هو مشاهدتي ان الواعظين ومعلمى الاعترافات يهتمون قليلاً . فى التكلم عنها لدى سامعيهم وتلاميذهم . بل اني ارى الكتب الروحية ايضًا الموجودة الان فى ايدى المسيحيين . لا تحرض على ذلك بكفاية . والحال انه ينبغى للواعظين . والمعرفين . والمولفين الكتب . ان لا يتكلموا عن قضية ما باشد حرارةٍ . وباكثر اجتهاد من هذى • فاى نعم انهم يرسمون للشعب وسايطَ عديدةً . ليحفظوا بها ذواتهم فى حال نعمة الله . كالهرب من اسباب الخطية . والمواظبة على اقتبال الاسرار المقدسة . ومقاومة التجارب . واستماع كلام الله .

والتامل فى الحقايق الابدية . وامثال ذلك من الوسايط التى لا يُنكَر انها كلها مفيدة جدًا . ولكننى اقول . ترى ماذا تفيد المواعظ . والتاملات . وكل الوسايط الاخر . خلوًا من الصلوة . فى الوقت الذى فيه قد اعلن الرب . انهُ لا يريد هو ان يعطى النعم . الاَّ لمن يطلبها متوسلاً بقوله : سالوا تعطوا : على انه من دون الصلوة (نظرًا الى مجرى العناية الالهية الاعتيادى) تضحى عديمة الفايدة التاملات كلها . ومقاصدنا الصالحة جميعها . ومواعيدنا الحسنة باسرها . واذا لم نصل . نوجد غير امنا فى جميع الانوار المفاضة علينا من الله . وفى كل ما وعدناه به تعالى * والسبب فى ذلك هو انه لاجل عمل الصلاح الحالى وللانتصار على التجارب . ولممارسة الفضايل . وبالاجمال لحفظ الوصايا الالهية . لا تكفينا الانوار التى حصلنا عليها . ولا التاملات المصنوعة منا . ولا المقاصد التى عزمنا عليها . بل يلزمنا مع ذلك معونة الله الفعلية . والحال انه عزوجلَّ لا يهب معونته هذه الحالية (كما باتى القول) الاَّ لمن يصلى متوسلاً * على ان الانوار والتاملات والمقاصد المومى اليها . انما تفيدنا هذا الامر وهو

ان

ان نبادر حالياً الى التوسلات . حينما تلم بنا التجارب . ونحصل فى خطر ان نخالف ناموس الله . وهكذا بواسطة الصلوة نستمد العون الالهى ونناله . وهو الذى يحفظنا بعد ذلك من السقوط فى الخطية . ولكن اذا كنا نحن حينئذ نتغافل عن الصلوة . فلا ريب باننا ندثر بالسقوط ❋

فانا ايها القارى العزيز. قد اردت ان اضع لديك ماسبق ذكرهُ . مقدمةً على جميع ما عتيد ان اوردهُ . حتى انك تشكر الرب الذى بواسطة هذا الكتاب يمنحك النعمة . فى ان تلاحظ واسطة الصلوة هذه العظيمة . وتعتبرها باوفر اهتمام . وباشد اعتبار * لان كل الذين يفوزون بالخلاص من البشر البالغين سن الرجولية . فاعتياديًا انما يخلصون بهذى الواسطة الوحيدة . ومن ثم قلت لك ان تشكر الله عن ذلك . لانها لرحمةٌ عظيمةٌ هى ايهابه تعالى النور الباطن . وروح الصلوة . لعبيده الذين يفتقدهم بهذه النعمة * ثم اني اومل منك ايها الاخ الحبيب . انك بعد ان تكون قرأت تاليفى هذا المختصر . لا تعود منذ الان فصاعدًا متوانيًا عن الالتجاء لله دايمًا بواسطة الصلوة . حينما تحيق بك

تجربةٌ ما تجتذبك الى اغاظته سبحانه . واذا كنت انت ربما مثقل الضمير بخطايا كثيرة صدرت منك فيما مضى . فافهم جيدًا . ان هذا حدث لك من قبيل اهمالك الصلوة . وتغاضيك عن التماس المعونة من الله لمقاومة التجارب التى وثبت عليك . ولهذا انا اتضرع اليك بان تكرر تلاوة الكتاب الحاضر مرات باصغاء كلى . لا لاجل انه هو تاليفى . بل لاجل انه هو واسطة يقدمها لك الرب افادةً لخلاصك الابدى . بتصييره اياك ان تتفهم بنوع خصوصى انه تعالى يريد خلاصك . ثم اني ارجوك بان تهتم (بقدر مكنتك) بعد قراءتك اياه . فى ان يقراه الاخرون ايضًا من خلانك واهل وطنك الذين تتفاوض معهم . وهوذا اننا نبتدى باسم الرب فى شرح ماياتي ذكره ❋

فالرسول الالهى قد كتب الى تلميذه تيموثاوس فى رسالته الاولى (ص ٢ ع ١) قايلاً : اسالك قبل كل شئ ان تعمل طلبات . صلوات . تضرعات . شكريات : فقد فسّر ذلك القديس توما اللاهوتي بان الصلوة هى بالحصر ارتفاع العقل الى الله . اما الطلبة فهى بالحصر فعل الصلوة . فحينما يُسأل بها

بها من الله شئ معيّن . تسمّى طلبةً . ولكن حينما يُلتمس بها شى غير معين . نظير قولنا : يارب اصغ الى معونتى : فتسمّى توسلاً وابتهالاً . واما التضرع . فهو استخلاف تقوى نستخدمه لننال النعمة المرغوبة . كقولنا : بحق صليبك والامك يارب نجنا . واخيرًا يُفهَم بالشكريات . تقديم الحمد والشكر لله عن النعم المقتبلة . وبذلك (يقول المعلم الملكى المذكور) نحن نستحق ان ننال من الله خيرات اعظم من التى تكون مُنحت لنا . فالصلوة اذًا فهمت بمعناها الخصوصى (كقول هذا القديس) فانما تعنى الالتجاء الى الله . واما اذا اخُذت بمعناها العام . فانها تتضمن جميع الانواع الموردة انفًا من قول الرسول الالهى . فبهذا المعنى العام نحن نسميها فى تاليفنا الحاضر . كل مرة نذكرها من هنا فصاعدًا نحن تسمية صلوة . لو طلبة ❋

ولكن لكى نصيّر ذواتنا ان نحب واسطة الصلوة هذه العظيمة لخلاصنا . يلزمنا قبل كل شى ان نتامل فى كم هى ضرورية لنا . وفى كم هى مقتدرة على ان تكسبنا جميع النعم التى نحن نرغبها من

لله . اذا عرفنا ان نطلبها منه كما يجب . فمن ثمَّ نحن فى هذا القسم الاول من الكتاب . نتكلم اولاً عن مقدار احتياجنا ضرورةً الى الصلوة . وكم هى عظيمة قيمتها ومفاعيلها . ثم بعد ذلك نورد ما هى الشروط الواجبة لممارستها حسنًا . لكى توجد هى فعالةً لدى الله . واما فى القسم الثانى منه . فنبرهن عن ان نعمة الصلوة تُعطى للجميع . وهناك نشرح كيفية النوع الاعتيادى الذى به تفعل النعمة افعالها

الراس الاول

فى كم ان الصلوة هى ضرورية للجميع مطلقًا فقد ضل الاراتقة البيلاجيون بقولهم . ان الصلوة ليست بضرورية لنوال الخلاص الابدى . على ان معلمهم المنافق بيلاجيوس كان يزعم : ان الانسان انما يهلك لاجل هذى العلة فقط . وهى لاهمالة ان يعرف الحقايق الضرورية معرفتها : ولكن باللعجب . يقول القديس اوغوسطينوس . ان بيلاجيوس يجادل عن كل الاشيا . احرى من انه يمارس

يمارس الصلوة : وبالحقيقة ان بيلاجيوس كان يريد ان يتعاطى فى ابراداته الاشيا كلها. الّا الصلوة. التى هى الواسطة الوحيدة (كما يرتاى هذا القديس ويعلم) لاكتساب علوم القديسين. حسبما كان قبلاً كتب القديس الرسول يعقوب (ص ١ ع ٥) قايلاً: فان يكن احدكم ينقصه حكمةٌ. فليسال الاله المعطى الكل بسماحة. ولا يعيّر احداً وسيُعطى: فكثيرةٌ هى نصوص الكتاب المقدس الواضحة جدًا. التى تعلن لدينا عظم الاحتياج الذى نحن حاصلون به ضرورةً لممارسة الصلوة. ان كنا نريد ان نفوز بالخلاص. كقوله تعالى : انهُ ينبغى ان يُصلّى كل حين ولا يزال : (لوقاص ١٨ ع ١) : اسهروا وصلوا ليلا تدخلوا فى التجارب : (مرقص ص ١٤ ع ٣٨) : اسالوا تعطوا : (متى ص ٧ ع ٧) فهذه الكلمات اى : ينبغى ان يُصلّى : صلوا : سالوا : انما تعنى وتتضمن وصيةً خصوصيةً. وضرورةً لازمةً. كما يرتاى اللاهوتيون اجمعون * فالضال فيكلافوس كان يزعم. ان هذه النصوص الالهية لا تفهم عن الصلوة. بل عن ضرورة الاعمال الصالحة فقط. فاذًا على رايه. ان الصلوة ليست هى شيًا اخر

سوى ممارسة عمل الخير. ولكنه قد ضل هو بذلك، وضلاله هذا قد تحرم من الكنيسة. ومن ثَمَّ كتب العلامة لاونردوس لاسيوس بقوله: انه لا يمكن ان يُنكَر من دون ضلال فى الايمان. ان الصلوة هى ضرورية لخلاص الناس البالغين فى السن. اذ انه يظهر واضحًا من كلمات الكتاب الالهى. ان الصلوة هى الواسطة الوحيدة لاكتساب العون الضرورى للخلاص: ✻

فالعلة فى ذلك هى جلية. لانه من دون المعونة بالنعمة الالهية نحن لا نستطيع ان نعمل شيًا من الصالح. كقوله عزَّ وجلَّ: انكم بدونى لا تقدرون ان تعملوا شيًا: (يوحنا ص ١٥ ع ٥) فالقديس اوغوسطينوس يتكلم عن قول مخلصنا هذا ينبه بقوله: هوذا يسوع المسيح لم يعلن قايلاً. انكم بدونى لا تستطيعون ان تمارسوا شيًا كاملاً بالتمام. بل قال: انكم بدونى لا تقدرون ان تعملوا شيًا: وانما قال مخلصنا هذا القول. ليفهمنا اننا خلوًا من النعمة نحن لا نستطيع ولا ان نبتدى بالعمل الصالح. فضلاً عن ان نكمله. بل ان الرسول الالهى اوضح اننا لا نقدر حتى ولا ان نفتكر بالصالح

بالصلاح من تلقا ذواتنا اذ يقول : اننا لسنا نقدر ان نفكر فكرًا من قبل انفسنا كانه من قبل ذواتنا . لكن كفاتنا هى من الله : (قرنتية ثانية ص ٣ ء ٥) فان كنا لا نستطيع ولا ان نفتكر فى الصلاح . فبابلغ من ذلك لا يمكننا ان نشتهيه . وهذا عينه تعلنه لنا اقوال اخر من الكتاب المقدس . فقد كتب الانا المصطفى قايلًا : ان الاله هو ذاك نفسه الفاعل فى الكل كل شى : (قرنتية اولى ص ١٢ ء ٦) وقال الله بفم نبيه حزقيال (ص ٣٦ ء ٢٧) : وروحى اجعله فى وسطكم . واصنع ان تسلكوا فى اوامرى وتحفظوا احكامى وتعملوا بها : بنوع انه . كما يقول القديس لاون الكبير : ان الانسان لا يمكنه ان يصنع شيًا من الخير . ان كان الله لايسبق ويساعد على صنيعه : فاذًا نحن لا نعمل خيرًا ما خارجًا عن ذاك الخير . الذى يصيّرنا الله ان نعمله بمساعدة نعمته . ولهذا فالمجمع التريدنتينى قد حدد قايلًا : ان كان احدٌ يقول . ان الانسان من دون الهام الروح القدس السابق . وخلوًا من مساعدته . يقدر كما يجب ان يومن . ويرجو . ويحب . لكى يُعطَى نعمة التبرير . فليكن

محرومًا : (جلسة ٢ قانون ٣) ❁

اما ذاك المصنف الكتاب المسمى: التاليف الغير الكامل : فاذ يتكلم عن الحيوانات يقول : ان الله قد اعطى البعض من هذه البهايم سرعة الجرى . ولغيرها الانياب والمخاليب . وللطيور الريش والاجنحة . لكى يمكنها على هذى الصورة ان تحفظ حياتها . واما الانسان فقد صورهُ تعالى بحال هذه صفتها . بنوع ان الله هو وحده يكون قوته : فاذًا الانسان هو عادم القوة بالكلية عن ان يخلّص هو ذاتهُ بذاته . لان الله قد اراد ان كلما يوجد للانسان . وجميع ما يقتبله . فانما يحصل عليه من معونة نعمة الله وحدها ❁

غيران الرب لا يعطى معونة النعمة هذه بطريقة عناية اعتيادية . الا لمن يتوسل اليه . حسب حكومة المعلم جنادوس الشابعة الصيت القايل هو بها هكذا : لا اعتقاد لانسان بالايمان للخلاص . الم يدعهُ الله اليه . ولا بلوغ لاحد الى الخلاص . الم يعنهُ الله على عمله . ولا فوز للمرء بهذه المعونة . الم يصل : فاذ ثبت اذًا من الجهة الواحدة اننا خلوًا من مساعدة النعمة لا نقدر على فعل شى من الصلاح. وتحقق

وتحقق من الجهة الاخرى ان هذه المساعدة اعتياديًا لا تُعطى من الله الا لمن يلتمسها بالصلوة . فترى من لا ينظر واضحًا ان النتيجة هى . ان الصلوة هى ضرورية لنا بضرورة مطلقة للخلاص . فلا احد ينكر ان النعم الاولى انما تفاض علينا من الله من غير عناية منا . نظير الدعوة الى الايمان . او الى التوبة . لانه يقول القديس اوغوسطينوس : ان الله يهب هذه النعم . حتى لاوليك الذين لا يصلّون . فمع ذلك هو شى حقيقى موكد ان النعم الاخر (لاسيما نعمة الثبات على الخير) لا تُوهَب الا لمن يصلى ❋ فلاجل هذا اللاهوتيون عمومًا . مع القديسين باسيليوس الكبير . ويوحنا فم الذهب . واكليمنضوس الاسكندرى وغيرهم . جملةً مع القديس اوغوسطينوس نفسه يعلّمون . بان الصلوة للبالغين فى السن . هى ضرورية لا بضرورة الوصية فقط . كما سبق الايراد . بل بضرورة الواسطة ايضًا . اى انه حسب العناية الاعتيادية لا يمكن لاحد المومنين ان يفوز بالخلاص . من دون ان يلتجى الى الله ملتمسًا منه النعم الضرورية لخلاصه . وهذا عينه يعلم به القديس توما اللاهوتي قايلاً

: انه بعد المعمودية ضرورى هو للبشر استعمال الصلوة . ليمكنهم بواسطتها الدخول الى ملك السموات . فاى نعم امرٌ اكيد هو ان الخطية بالعمودية تُغفَر . ولكن يبقى فى المعمدين بخار الخطية الذى يحاربنا باطنًا . ومثله العالم والشيطان يحاربانا من خارج : فاذًا البرهان الذى بموجب قول هذا المعلم المليكى . يوكد لدينا حقيقة ان الصلوة هى ضرورية للجميع . هو الاتي ذكره باختصار . اى اننا لكى نفوز بالخلاص يلزمنا ان نحارب وننتصر : لانه ان يجاهد احدٌ فلن يُكلَّل اذا لم يجاهد بمفترض الجهاد : (تيموثاوس ثانيه ص ٢ ه ٥) وبالضد نحن خلوًا من العون الالهى . لا نستطيع ان نقاوم قوات اعداء هكذا كثيرين واقويا . والحال ان هذا العون الالهى انما يُوهَب لنا بواسطة الصلوة لا غير . فاذًا من دون الصلوة لا يوجد خلاص ❊

واما نظرًا الى ان الصلوة هى الواسطة الاعتيادية الوحيدة لاكتساب المواهب الالهية . فهذا يثبته القديس توما المذكور عينه بابلغ تمييز قايلاً : ان النعم كلها التى حدد الرب منذ الازل ان يعطيناها

يعطيناها . فقد اراد ان يمنحناها بواسطة الصلوة لا غير: ومثل ذلك كتب القديس غريغوريوس الكبير بقوله : ان البشر اذ يصلّون طالبين . يمكنهم ان ينالوا الشى الذى قبل الدهور رتب الله معيّنًا ان يعطيهم اياه: فلم يقل القديس توما ان الصلوة هى ضرورية لكى يفهم الله احتياجاتنا . بل قال : لكى نفهم نحن احتياجنا ضرورةً الى الالتجا نحو الله . حتى تنال منه الاسعافات المفيدة لخلاصنا . وبذلك نعرف انه تعالى هو مصدر وحيد لخيراتنا كلها : فاذًا كما ان الرب قد حدد ان الخبز انما يتصل الينا بواسطة زرع القمح . ثم الخمر بواسطة نصب الكرمة . فهكذا قد اراد هو اننا نقتبل النعم الضرورية لنوال الحيوة الابدية . بواسطة الصلوة قايلاً: سالوا تعطوا . اطلبوا تجدوا : (متى ص ٧ عدد ٧) ❋

وبالاجمال نحن لسنا شيًا اخر الا فقرا متسولين . لا نحوى موجودًا اخر سوى ما يعطيناه الله صدقةً . كقول المرتل : وانا مسكين وفقير والرب يهتم بى : (مزمور ٣٩ عدد ١٨) قال القديس أوغوسطينوس : ان الرب يشتهى مريدًا ان يوزع علينا انعامه :

ولكن لا يريد ان يوزعها الا على من يلتمسها منه: لانه تعالى يعلن لنا ظاهرًا بقوله: سالوا تعطوا: ومن ثَمَّ تقول القديسة تريزيا: فاذًا من لا يسال لا يُعطَى: على انه كما ان الرطوبة هى ضرورية للنصبة لكى تحيى ولاتيبس. فهكذا (يقول القديس الذهبى فمه) ان الصلوة هى ضرورية لنا لنفوز بالحيوة الابدية: وقال فى محل اخر. انه كما ان النفس تعطى للجسد الحيوة. كذلك الصلوة تحفظ النفس حيةً. وهذه هى كلماته فى ذلك: انه نظيرما ان الجسد من دون النفس لا يمكنه ان يعيش. فعلى هذا المثال النفس خلوًا من الصلوة هى ماينة ومنتنة جدًا: فانما قال منتنة. لان من يهمل الالتجاء الى الله بالصلوة. فمن دون تاخير تبتدى ان تنبعث منه نتانة الخطايا. ثم ان الصلوة تسمَّى قوت النفس ايضًا: لانه خلوًا من القوت لا يمكن للجسد ان يسند ذاته عايشًا. وخلوًا من الصلوة (يقول القديس اوغوسطينوس) لا يمكن للنفس ان تحفظ حياتها: فهذه الامثلة باجمعها المستخدمة من الابا القديسين المذكورين توضح لنا الضرورة المطلقة. التى هم يعلّمون بان الجميع هم حاصلون فيها

فيها نحو الصلوة . للبلوغ الى الملكوت السماوى ❋ وماعدا ذلك . ان الصلوة هى السلاح الاشد ضرورةً لنا ان نستخدمه . لنحمى به ذواتنا من اعدائنا . ولهذا يقول المعلم المليكى : ان من لا يتدرع بالسلاح المذكور يدثر مغلوبًا : بل ان هذا القديس لا يرتاب فى ان ادم قد سقط لهذه العلة . وهى لانه اهمل ان يلتجى لله حينما تجرب . اذ يقول عنه : انه انما اخطاء لاجل عدم اتجاهه لطلب العون الالهى : ومثل ذلك كتب القديس جلاسيوس بتكلمه عن المليكة المتمردين قايلًا : انهم اذ كانوا اقتبلوا لذواتهم نعمة الله باطلًا . فلانهم ما صلوا . فما امكنهم الثبات : ثم ان القديس كارلوس بوروماوس ينبه فى احد مناشيره الرعايية . على انه فيما بين الوسايط الاخر التى اوصانا باستعمالها الرب يسوع المسيح فى الانجيل . قد جعل الصلوة فى المحل الاول منها . وقد اراد عزَّ وجلَّ ان كنيسته وديانته تتميز بهذى عن الشيع كلها . اذ اراد ان بيعته تسمَّى بنوع خاص بين الصلوة بقوله : ان بيتى بين الصلوة يدعى : (متى ص ٢١ ع ١٣) ولذلك يختتم القديس المذكور كلامه قايلًا : ان

الصلوة هى لجميع الفضايل مبدأٌ. وللمسير فيها ميدانٌ. وانتهاءٌ: فاذًا فى حال الظلمات والشدايد والاخطار الملمة بنا. ليس لنا ما به نوسس رجانا. الا رفعنا اعيننا الى الله. واستمدادنا من رحمته بواسطة الصلوة امر خلاصنا. قايلين مع الملك يوشافات: فان ليس لنا طاقة للوقوف قدام هذا الجيش العظيم الاتي علينا. ونحن اذ لم نعلم ماذا نفعل. فلنا خصلة واحدة وهى ان نرفع طرفنا اليك: (سفر الايام الثاني ص ٢٠ ع ١٢) وهكذا كان الملك والنبى داود ينصرف. عندما لم تكن باقية له واسطة اخرى بها يحفظ ذاته من ان يُقتنَص من اعدايه. اى كان يصلى متواثرًا لله فى ان ينقذه من فخاخهم قايلًا: عيناى فى كل حين الى الرب. لانه يخلص من الفخ رجلىَّ: (مزمور٢٤ ع ١٥) فاذًا هو لم يكن يصنع شيًا اخر الا الصلوة بقوله: انظر الى وارحمنى. لانى مسكين وبايس انا. واحزان قلبى قد كثرت: (مزمور٢٤ ع ١٦): صرخت اليك فخلصنى لاحفظ شهاداتك: (مزمور ١١٨ ع ١٤٦) ومعنى قوله هو: انت يارب اعطف عينيك نحوى ناظرًا الىَّ. وتراف علىَّ مخلصًا اياى. لانى لا

استطيع

استطيع على شى . وليس لى من يقدر ان يساعدني خارجًا عنك ❋

وبالحقيقة ترى كيف كان يمكننا ان نصادم قوة اعدائنا . ونحفظ الوصايا الالهية . خاصةً بعد خطية ابينا الاول ادم . التى قد صيرتنا ضعفا وسقما بهذا المقدار. لولا تكون عندنا واسطة الصلوة التى بها نقدر ان نستمد من الرب الانوار. والقوة الكافية لحفظها . فلا ريب فى انه لتجديفٌ هو ماقاله لوتاروس: انه بعد خطية ادم قد اضحى عديم الامكان مطلقًا حفظ الناموس الالهى من البشر: ثم ان جانسانيوس ايضًا قال: ان بعض الوصايا لا يمكن حفظها مطلقًا . حتى ولا من الابرار. نظرًا الى قواهم فى الزمن الحاضر: فالى حد ههنا لقد كان ممكنًا ان تتفسر قضيتهُ هذه بمعنى صالح . ولكنها بكل عدلٍ قد حرمت من الكنيسة . لاجل الكلمات التى هو اضافها اليها بقوله : انه تنقصهم نعمة الله ايضًا . التى تصيّر لديهم حفظ تلك الوصايا ممكنًا : فاى نعم . يقول القديس اوغوسطينوس . ان الانسان لاجل ضعفه لا يستطيع بقواه الحاضرة . ان يحفظ بعض الوصايا

بمجرد النعمة الاعتيادية. اى العمومية للجميع. ولكنه يقدر حسنًا ان يستمد بواسطة الصلوة قوةً اعظم. ومعونةً اقوى حسب احتياجه لحفظها. وهذه هى الفاظ القديس فى ذلك: ان الله لا يامر باشيا عديمة الامكان. ولكن اذ يامر ينبه بان يفعل ما هو ممكنٌ فعله. وبان يُطلب منه الشى الذى لا يمكن صنيعه. وهو يعين على فعله: فبهذا المقدار هى شهيرة ومعتبرة كلمات القديس المذكورة. حتى ان المجمع التريدنتينى استخدمها. وجعلها قاعدةً من قواعد الايمان مدونةً فى الراس ٦ من الجلسة ٦. ثم ان القديس يردف كلامه السابق بكلمات اخر قايلًا: فكيف يكون الامر. والحال ان الدوا يقدر على ما لا يقدر عليه السقم والرذيلة: اى كيف يستطيع الانسان ان يصنع ما ليس هو فى مكنته. ولكن بواسطة دواء الصلوة تنال علاجًا لضعفنا. لاننا اذ نحن نصلى. فالله يمنحنا القوة لكى نفعل ما لا نقدر بذواتنا خلوًا من معونته ان نفعله. بل ان القديس المذكور يتبع ايراده بقوله: انه لا يمكننا ان نظن بان الرب قد اراد ان يضع علينا الالزام بحفظ الشريعة. وان

وان هذه الشريعة المرسومة علينا هى عديمة امكان حفظها . بل قد صيّرنا تعالى ان نعرف ضعفنا وعدم مقدرتنا على حفظ جميع الوصايا المفروضة منه . ومن ثمّ ينبهنا ويحرضنا على ان نصنع الاشيا السهلة بمعونة نعمته الاعتيادية المعطاة لنا منه . وان نمارس الاشيا الصعبة بواسطة معونته الالهية الاعظم والغير اعتيادية . التى يمكننا ان نستمدها منه بواسطة الصلوة ❋

ولكن لقايل ان يقول. لماذا يامرنا الله باشيا فايقة على مقدرتنا . فالجواب هو انه لهذا السبب بالحصر يقول القديس المذكور. ان ذلك هو لكى نهتم نحن فى ان نستمد من الله بواسطة الصلوة . المعونة على فعل ما لا يوجد فى مكنتنا صنيعه . بل انه قال فى محلٍ اخر: ان الشريعة قد اُعطيت لكى تُلتمَس النعمة. والنعمة قد اُعطيت لكى تُحفظ الشريعة: على ان الشريعة من دون النعمة لا يمكن ان تُحفَظ . ولهذه الغاية رسم الله الشريعة . وهى لكى نتضرع اليه دايمًا فى ان يعطينا نعمته لاجل حفظ شريعته. كما قال ذلك فى غير مكان : ان الشريعة هى جيدة ان كان احد يستخدمها حسنًا . ولكن ترى

ما هو معنى ان تُستخدم الشريعة حسناً . فالجواب هو انه بواسطة الشريعة يُعرف السقم الخصوصى . ويُلتمس العون الالهى لاجل الشفا منه : فاذًا هنا يقول القديس انه يلزمنا استخدام الشريعة . ولكن نرى فى اى شى . الا فى ان نفهم بواسطة الشريعة . (الغير الممكن لدينا حفظها) كم نحن غير قادرين على ان نحفظها بقواتنا . ولهذا بواسطة الصلوة نستمد العون الالهى الذى يشفى ضعفنا ❊

ومثل ذلك كتب القديس برنردوس بقوله : ترى اى شى نحن . او ما هى قوتنا حتى نقدر ان نقاوم تجارب هكذا قوية . فهذا هو بالحصر ما يرغبه الله . اى اننا اذ نشاهد نحن نقصنا وعدم كفايتنا . وانه لا يوجد لنا اسعاف اخر . فحينيذ نلتجى الى رحمته الالهية بكل اتضاع : على ان الرب يعلم كم هى مفيدة لنا الضرورة التى تضطرنا على الصلوة . وبهذا نحفظ فى حال الاتضاع . ونمارس افعال الرجا وحسن الاتكال . ولذلك يسمح عزوجل بان تثب علينا الاعدا الذين لا قدرة لنا على ان نغلبهم . لكى ننال بواسطة الصلوة من رحمته المعونة على مقاومتهم . ثم بنوع خاص يلزم التنبيه بانه

بانهُ ولا واحدٌ يستطيع مقاومة تجارب الدنس الخمية.
من دون التجايه الى الله حين التجربة . على ان
هذه العدوّة الالمية هى شديدة قوية بهذا المقدار .
حتى انها حينما تحاربنا تسلب منا على نوع ما
كل نور العقل . وتصيرنا ان ننسى التاملات كلها.
والمقاصد الصالحة جميعها . التى كنا قبلاً صنعناها.
بل توصلنا الى ان نحتقر قواعد الايمان عينها .
وكانها تنزع عنا الخوف من العقابات الالهية . اذ
ان هذه التجربة تتعصب ضدنا مع الميل الطبيعى.
الذى يميل بنا باغتصاب نحو اللذات الحسية .
فالذى حال تجربته من العدوّة المذكورة لا يسرع
بالالتجا الى الله . لا ريب فى سقوطه . فاذًا النرس
الوحيد والسلاح الفريد للحماية من الانغلاب .
انما هو فعل الصلوة. ولذلك قال القديس
غريغوريوس نيصص : ان الصلوة هى حصن العفة :
بل ان سليمان الحكيم قبلاً كان اعلن هذه الحقيقة
بقوله : انى لما عرفت ان لا استطيع ان اكون
عفيفًا . ان لم يعطنى الله ان اكون . . . ذهبت الى
الرب وتضرعت اليه : (حكمة ص ٨ ع ٢١) فالعفة
هى فضيلة لا توجد فينا قوة لحفظها. ان كان الله

لايهبناها . والحال ان الله لايمنح هذه القوة الا لمن يلتمسها منهُ . ولكن مَن يطلبها فمن دون ربٍ ينالها ❋

ومن ثمَّ يقول المعلم المليكى ضد تعليم جانسانيوس : انه لا ينبغى ان نقول ان وصية حفظ واجبات العفة او غيرها هى لدينا غير مستطاعة . لاننا ولَين لم نكن بذواتنا قادرين على حفظها . فمع ذلك نحن نقدران نحفظها بواسطة العون الالهى الذى به نقدر على كل شى : قال القديس اوغوسطينوس : لا يفه احدٌ بقوله انه يظهر امرًا ظالمًا الحتم على الاعرج بان يمشى مستقومًا . فهذا الحتم ليس هو غير عادلٍ . طالما يُعطَى للاعرج التدبير الذى به يصادف هو الدواءَ المشفى النقص الملم به . ولذلك ان كان هو يستمر مواظبًا على مشيه الاعوج فيكون الذنب منه : ❋

وبالاجمال يقول القديس المذكور عينه : انه لايعلم اصلًا ان يعيش جيدًا مَن لا يعرف ان يصلى جيدًا : وقال القديس فرنسيس اسيزى : انهُ من دون الصلوة لا يرجَى ثمرٌ ماصالحٌ من انسان : فاذًا باطلًا يعتذر اوليك الخطاة عن ذواتهم قايلين .

ليس

ليس لنا قوة لمقاومة التجارب . والحال ان القديس يعقوب الرسول يوبخهم عن ذلك قايلاً : انكم ليس لكم شئٌ لانكم ما تسالون : (ص ٤ ع ٢) فاى نعم ولا ريب فى اننا ضعفا لا نقدر احتمال وثبات اعدايا علينا . ولكن موكدٌ هو غاية التاكيد مايقوله الرسول الالهى : انهُ لصادقٌ هو الله الذى ما يهملكم ان تُمتحَنوا بمايفوق طاقتكم . بل يصنع لكم مع المحنة مخرجًا لتستطيعوا ان تحتملوها : (قرنتيه اولى ص ١٠ ع ١٣) قال المعلم بريماسيوس فى تفسيره هذه الاية : ان الرب بمعونة نعمته يصيركم قادرين ان تحتملوا التجربة : فنحن حقًا ضعفا . ولكن الله قويٌ هو . فحينما نحن نلتمس معونتهُ هو يشركنا بقوته . ووقتيذٍ نقدر على كل شئٌ . كما يعلن الانا المصطفى بقوله : اني اقدر على كل شئٍ بالمسيح الموبد ايای : (فيليبوسيوس ص ٤ ع ١٣) : فاذًا من يسقط لا عذرَ لهُ (يقول الذهبى الفم) لانه يهمل الصلوة . اذ انه لو كان يصلى لما كان يقع فى ايدى اعدايه مغلوبًا : *

فهنا يحصل الارتياب فى هل انهُ ضرورى هو الالتجا الى القديسين ايضًا لاستمداد النعم من الله . فالجواب

هو نظرًا الى انه جايزٌ ومفيدٌ جدًا استدعا القديسين. بحسبما هم شفعا. لكى يستمدوا لنا باستحقاقات يسوع المسيح الشى الذى نحن لا نقدر لاجل عدم استحقاقنا ان ننالهُ. فهذا هو تعليم الكنيسة الجامعة. كما اعلن ذلك المجمع التريدنتينى (فى مرسومه الثاني من الجلسة ٢٥) بقوله: امرٌ صالح ومفيد هو ان يُستغاث بالقديسين على سبيل التوسل. وان يُلتجى الى مساعدتهم ومعونتهم. لاجل نوال الانعامات والمواهب من الله باستحقاقات ابنه سيدنا يسوع المسيح: فالاستغاثة بالقديسين قد كانت رُذلت من كلفينوس المنافق. ولكن ظلمًا وضلالًا. لانه من حيث ان امرًا جايزًا هو ومفيدًا الالتجا الى الابرار الاحيا على الارض. والتوسل اليهم بان يساعدونا بصلواتهم من اجلنا. كما كان يصنع النبى باروخ بقوله: صلوا لاجلنا لدى الرب الهنا: (باروخ ص ٢ ع ١٣) وحسبما قال الرسول الالهى: ياخوة صلوا عنا: (تصالونيكيه ص ٥ ع ٢٥) بل ان الله نفسهُ قد اراد ان اصحاب ايوب البار يلتمسون صلواته من اجلهم بقوله لهم: اذهبوا الى عبدى ايوب . . . . وعبدى

ايوب

ايوب يصلى من اجلكم. وانا اصنع بوجهه فلا اجعلكم للهوان : (ايوب ص ٢٩ ع ٨) فاذًا ان يكن جايزًا الالتجا الى الاحيا . فكيف لا يكون جايزًا الالتجا الى القديسين الكايبنين فى السما . متمتعين بالله وجهًا بازاء وجه . والحال ان هذا الالتجا اليوم لا يثلم الكرامة المحقة لله . بل يضاعفها. كما ان الملك لا يُكرَّم هو وحده شخصيًا فقط . بل يُكرَّم ايضًا حينما تُكرَّم خدامهُ لاجله. ولهذا قال القديس توما اللاهوتي : ان صلوة الكثيرين تسمع ما لا تسمعه صلوة الواحد : فاذًا حسنٌ هو الالتجا الى كثرةٍ من القديسين . ولقايلٍ ان يقول ترى ماذا تفيد الاستغاثة بالقديسين لكى يتوسلوا من اجلنا . والحال انهم انما يتضرعون الى الله من اجل اوليك الذين هم مستحقون ذلك . فيجيب على هذا الاعتراض القديس توما عينهُ قايلًا : انه وليُن كان لا يوجد احدٌ اهلًا لان يتوسل القديسون من اجله . ففى هذا يصير هو اهلًا لذلك حينما يلتجى هو الى القديس بعبادة مستغيثًا به : ❁

ثم انه يوجد الخلف فى هل انه يفيد الالتجا الى

الانفس المطهرية . فالبعض يزعمون ان الانفس اللواتى هنَّ فى المطهر لا يقدرنَ ان يصلينَ من اجلنا . ويسندون رايهم هذا على ما كتبه شمس المدارس المذكور انفًا بقوله : ان تلك الانفس الكاينة فى حال التطهير فيما بين العذابات . فهنَّ دوننا . ولهذا لسنَ فى حال يصلينَ بها من اجل الغير . بل هنَّ فى احتياجٍ الى ان الغير يصلى من اجلهنَّ : الَّا ان علما اخرين كثيرين . نظير بالارمينوس . وسيلفيوس . والكردينال غوتى وغيرهم . فبراى يمكن اثباته جدًا يثبتون افادة صلوات الانفس المطهرية من اجلنا . اذ انه يلزم ان يُعتقَد بتقاوة ان الله يعلن لهذه الانفس القديسة صلواتنا وتضرعاتنا لديهنَّ . حتى يتوسلنَ من اجلنا . وهكذا نحفظ فيما بيننا وبينهنَّ اعمال الحب . اى اننا نحن نصلى من اجلهنَّ . ومثل ذلك هنَّ يصلينَ من اجلنا . ولا اعتراضَ بما يقوله القديس توما المذكور (كما يعلم سيلفيوس وغوتى) : ان الانفس اللاى هنَّ فى حال التطهير لسنَ فى حالٍ يصلينَ بها من اجل الغير : على ان شيًا هو الكيان فى حالٍ لا يصلينَ هنَّ بها من اجل الغير . وشيًا

اخر

اخر هو انهنَّ لا يقدرنَ ان يصلينَ . فاى نعم حقيقى هو ان تلك الانفس القديسة لسنَ فى حال بها يصلينَ من اجلنا . كما يقول المعلم المليكى . لان كونهنَّ فيما بين العذابات يجعلهنَّ دوننا . ومحتاجات الى صلواتنا من اجلهنَّ . ولكن مع ذلك وهنَّ فى هذى الحال عينها يقدرنَ ان يتوسلنَ من اجلنا . لانهنَّ خليلات الله ومحبوبات منه تعالى . لانه اذا كان احد الابا يحب ابنهُ حبًا ابويًا صادقًا . ولكن لاجل ذنب صدر منه اى من ابنه يكون هو وضعه فى السجن تاديبًا له . فالابن حينيذٍ ليس هو فى حالٍ يصلى بها من اجل ذاته لدى ابيهِ . غير انه لاى سببٍ لا يمكنه ان يتضرع الى ابيه من اجل الغير . ولا يرجو ان يستمد منه الطلبة . مع انه يعلم جيدًا عظم المحبة التى يحبه بها ابوه . فهكذا الانفس المطهرية المحبوبات جدًا من الله . والثابتات فى حال نعمته . لا مانع لهنَّ عن المقدرة على الصلوة من اجلنا . فلا يُنكَر ان الكنيسة ما اعتادت ان تستغيث بشفاعتهنَّ . لانهنَّ اعتياديًا لايعرفنَ توسلاتنا لديهنَّ . ولكن بنوع تقوى يُعتقد (كما قلنا انفًا) ان الرب يعلن لهنَّ

تضرعاتنا . وحينيذ اذ هنّ موعبات حبًا وشفقةً لا يهملنَ اصلًا ان يتوسلنَ لله من اجلنا . فالقديسة كاتربنا التى من بولونيا . عندما كانت تشتهى ان تنال نعمةً ما . قد كانت تلتجى الى الانفس المطهرية . وحالًا كانت تفوز بمرغوبها . بل انها هى تشهد . بان نعمًا كثيرة قد كانت هى قبلًا التمستها بشفاعات بعض القديسين ولم تنلها . فاذ توسلت للانفس التى فى المطهر بان يستمدنَّ لها تلك النعم عينها . فحالًا فازت بنوالها ❋

وهنا فليسمح لى ان اكتب حاشيةً فى صالح الانفس المطهرية . وهى ان كنا نحن نرغب ان نفوز بشفاعاتهنّ من اجلنا . وباستمدادهنّ لنا من الله النعم . فحسنٌ هو اننا نحن ايضًا نهتم فى اسعافهنّ بواسطة صلواتنا وافعالنا التقوية من اجلهنّ . فانا قلت حسن هو ان نعمل ذلك . والحال يلزمنى ان اقول ان هذا هو فعل مسيحى التزامى . لان المحبة تستلزم وجوبًا منا ان نسعف قريبنا المحتاج الى مساعدتنا . حينما نقدر على ذلك من غير اضامة ثقيلة تحدث لنا . والحال انه لامرٌ اكيد هو ان الانفس اللواتى فى المطهر هنّ من عدد الاقربا . لانهنّ ولين

ولكن لم يوجدن بعدُ فى حيوة الجسد على الارض . فمع ذلك لم يفقدن حال كونهن فى شركة الكنيسة . المدعوة شركة القديسين . كما يقول القديس اوغوسطينوس : ان انفس الابرار بانفصالهن من الاجساد بالموت لا ينفصلن من شركة الكنيسة : بل ان القديس توما اللاهوتى يوضح ذلك باجلى بيان لاثبات ماتقدم ذكره قائلًا : ان المحبة التى هى رباط الاتحاد فيمابين اعضا الكنيسة لا تمتد فيما بين الاحيا فقط . بل تتصل فيما بيننا وبين الراقدين ايضًا . الذين ينتقلون من هذى الحيوة فى حال محبة الله : فمن ثم يلزمنا ان نسعف بمقدار استطاعتنا تلك الانفس القديسة . كانهن حقًا فى رتبة القريب . ومن حيث ان احتياجهن للاسعاف هو اعظم جدًا من احتياج قريبنا الحى . فيبان انه كذلك اعظم هو التزامنا من هذا القبيل باسعافهن ❁

لانه ترى فى اية حالٍ من الاحتياج توجد الانفس المطهرية . فامرٌ حقيقى هو ان عذاباتهن هى شديدة بما لا يمكن وصفهُ . قال القديس اوغوسطينوس : ان النار التى تعذبهن باحراقها . هى اشد

المًا وعذابًا من جميع الام هذه الحيوة وعذاباتها مهما كانت قاسيةً: وهذا عينه يرتايه المعلم المليكى مضيفًا الى ذلك قوله: ان نار المطهر هى نارجهنم عينها: فهذا ما يخص عذاب الحس. ولكن اعظم منه جدًا جدًا هو عذاب الخسران. اى فقدان هذه الانفس فى مدة وجودهنَّ فى المطهر المشاهدة الالهية. الفقدان الذى يعذبهنَّ عذابًا قاسيًا. لانهنَّ ليس من قبل المحبة الطبيعية فقط. بل من قبل الحب الفايق الطبيعة ايضًا هنَّ منجذباتٌ بانعطاف شديد فى الغاية الى الاتحاد بالله. الذى هو خيرهنَّ الاعظم. واذ يشاهدنَ ذواتهنَّ ممنوعات غصبًا وقهرًا عن الاتحاد به تعالى عقابًا عن زلاتهنَّ. فيشعرنَ بالم لايمكن التعبير عنه بلسان بشرى. بنوع انهنَّ لو كنَّ موضوعًا قابلاً للموت. لكنَّ يمتنَ فى كل دقيقة. ولذلك يقول القديس الذهبى فمه: انه لو اجتمع معًا الف نارٍ من نارجهنم. لما امكنها ان تعذب الانفس بمقدار ما يعذبهنَّ الخسران: ولهذا لقد كانت تلك الانفس عروسات الله يحتملنَ بطيبة خاطر انواع العذابات كلها. احرى من انهنَّ يمكثنَ برهةً واحدةً ممنوعاتٍ عن اتحادهنَّ بالله

باب المشوق اليه منهنَّ بهذا المقدار. ولذلك قال المعلم المليكى : ان العذاب فى المطهر يفوق بما لا يحد كل العذابات الممكن ان تُعذَّب بها البشر فى هذى الحيوة : ثم ان ديونيسيوس كارتوزيانوس يورد بقوله : ان احد الراقدين الذى قام من الموت بشفاعة القديس ابرونيموس . قد اخبر هو شفاهًا القديس كيرللس الاورشليمى قايلًا : ان عذابات هذه الارض كافةً هى نعيم وتعزية بالنسبة الى اقل نوعٍ من عذابات المطهر : ثم اضاف الى ذلك بقوله : ان الذى يكون اختبر فى ذاته عذابات المطهر يرتئى بلا ريب بان يحتمل عذابات هذه الحيوة بالاوجاع التى ذاقها البشريون . والعتيدة ان تلم بالناس حتى الى يوم الدينونة العامة : احرى من انه يتكبد فى المطهر اخف عذاباته يومًا واحدًا : ومن ثمَّ كتب القديس كيرللس المزكور. بان العذابات المطهرية نظرًا الى نوعها وشدتها . هى نفس عذابات الجحيم . ولا تختلف عنها فى شى سوى فى انها زمنية وليست بابدية . فاذًا عذابات الانفس التى فى المطهر هى شديدة فى الغاية القصوى . وماعدا ذلك ان هذه

الانفس لا يستطعنَ فى المطهر ان يسعفنَ ذواتهنَّ بنواتهنَّ بل انهنَّ حسب قول ايوب البار: اسيراتٌ بالسلاسل موثوقاتٌ بحبال الفقر: (ايوب ص ٣٦ ع ٨) فاى نعم انهنَّ ملكاتٌ معدات للملكوت السماوى . ولكنهنَّ ممنوعات عن اخذ التملك . الى حينمايبلغ الزمن الذى فيه ينتهى تطهيرهنَّ . فاذًا لايمكنهنَّ ان يساعدنَ ذواتهنَّ (قلما يكون باسعاف كاف . هذا ان اردنا ان نصادق راى اوليك العلما القايلين . ان هذه الانفس يقدرن حسنًا بواسطة توسلاتهنَّ ان ينلنَ اسعافًاما) لكى يحللنَ عن ذواتهنَّ تلك السلاسل . الَّا بعد ان يفينَ ما عليهنَّ بالتمام للعدل الالهى . كما اعلن هذا الامر احد الرهبان الجيرستارجيسيين . الذى كانت نفسه فى المطهر . بقوله لقندلفت كنيسة ديره هكذا : انى اتوسل اليك بان تساعدنى بصلواتك من اجلى . لانى لا استطيع من قبل ذاتى ان انال شيًا من الاسعاف : وهذا هو مطابق لما يقوله القديس بوناونتورا : ان الفقر يمنع الوفا : اى ان الانفس المطهرية هنَّ بهذا المقدار فقيرات . حتى انهنَّ لا يملكنَ ما به يمكنهنَّ وفاء ما عليهنَّ من الدين لعدل

لعدل الله . وبنا . [illegible] بالخلاص اذ كان امرًا موكدًا . بل قاعدة من قواعد الايمان هو . اننا نحن نستطيع باسعافاتنا . خاصةً بواسطة صلواتنا الممدوحة من الكنيسة بالفاظ خصوصية . والممارسة منها ايضًا ان تساعد تلك الانفس القديسة . فانا لا اعلم كيف يمكنه ان يكون معذورًا من الخطية . ذاك الذى يهمل ان يسعفهنَّ بشى ما من الاسعاف . فلمايكون بصلواته من اجلهنَّ . فان كان التزامنا هذا لايحركنا الى مساعدتهنَّ . فليحركنا اقله تاملنا فى اننا باسعافهنَّ نرضى يسوع المسيح . بمشاهدته ايانا مهتمين فى اطلاق عروساته هولا المحبوبات لديه . من القيود المطهرية لكى يحصل تعالى عليهنَّ عنده فى السماء . واخيرًا فليحركنا فلما يكون الاستحقاق العظيم الذى نقدران نكتسبه لذواتنا . بممارستنا فعل المحبة هذا السامى . نحو تلك الانفس المباركة اللواتي هنَّ حافظات المعروف بزيادة . وفاهمات جيدًا قيمه الاحسان والفضل الذى نحن نصنعه معهنَّ . بانقاذهنَّ من شة عذاباتهنَّ . وعندما يفزن بواسطة صلواتنا من اجلهنَّ بالدخول الى

المجد السماوى . فبس
فلا يهملن حين وجودهن هناك من ان يتوسلن
لله من اجلنا . ومن حيث ان الله وعد بان يرحم من
يصنع الرحمة مع قريبه بقوله : طوبى للرحومين
فانهم يرحمون : (متى ص ٥ ع ٧) فذاك الذى
يجتهد فى ان يسعف هولا الانفس القديسة . اللاى
يتكبدن الاحزان والعذابات . فى الوقت الذى
فيه هن عزيزات لدى الله : يوجد له برهان عظيم
لان يرجو بثقة خلاصه الابدى . على ان ناثان
ابن الملك شاول حينما حكم عليه بالموت من
ابيه هذا عينه . لاجل انه ذاق قليلاً من العسل
ضدًا لما كان رسمه ابوه . فلانه قد كان هو اكتسب
الغلبة والخلاص لشعب اسرائيل . فقد مثل هذا
الشعب امام الملك المذكور قايلين له : ايموت
يوناثان الذى صنع خلاصًا عظيمًا هكذا فى
اسرائيل : (ملوك اول ص ١٤ ع ٤٥) فاذًا نحن
على هذى الصورة يلزمنا ان نرجوا . بانه ان كان
احدٌ منا بواسطه صلواته قد نال من الله ان نفسًا
ما تخرج من سجن المطهر وتمضى الى السما . فهذه
النفس تقول لله : ايها الرب لا تسمح بان يهلك
ذاك

ذاك الذى انقذنى من العذابات: لانه ان كان الملك شاول وهب الحيوة لابنه يوناتان. لاجل توسلات الشعب من اجله. فلا ينكر الله اعطاء الحيوة الابدية لذاك المومن. اجابةً لتضرعات نفس هذه صفتها التى هى عروسة له تعالى. وماعدا ذلك يقول القديس اوغوسطينوس: ان اولياك الذين فى هذى الحيوة يكونون بابلغ نوع اسعفوا الانفس القديسة اللواتى هنّ فى المطهر. فعندما هم يوجدون بعد الموت فى المطهر. يصير لهم الله ان يُسعفوا كثيرًا من الاحيا الاخرين: ثم انه ينبغى هنا ان يُنبّه على انه نظرًا الى العملية. ان استماع القداس الالهى اسعافًا للانفس المطهرية هو كلى الافادة لهنّ. لاسيما اذا كان المومن فى حين استماعه القداس. يتوسل لله من اجلهنّ باستحقاقات الام سيدنا يسوع المسيح. بقوله هكذا: ايها الاب الازلى انى اقدم لك ذبيحة جسد يسوع المسيح ودمه هذه. مع جميع الالام التى هو تكبدها فى حياته وموته. وباستحقاقات تالمه اتوسل اليك من اجل الانفس اللواتى هنّ فى المطهر. خاصةً من اجل فلان او فلانه: وامرٌ مفيد ذو حبٍ عظيم هو. ان المومن فى الوقت

المذكور يتضرع لله من اجل المدنفين على الموت *
واما نظرًا الى ما تقدم ايراده قبلاً . فى ان كانت
الانفس المطهرية يقدرن ام لا . ان يصلين من اجلنا .
وان كانت مفيدةً لنا استغاثتنا بهن فى ان يصلين
من اجلنا . فهذا لا مناسبة فيمابينه وبين استغاثتنا
بالقديسين . لانه نظرًا الى القديسين لا يوجد ريب .
ولا يمكن ان يُشك فى انه امر كلى الافادة هو الالتجا
اليهم . والتماس شفاعاتهم . وانما نعنى القديسين
المثبتين من الكنيسة . اذ انهم يتمتعون بمشاهدة
الله . والذى يعتقد ان الكنيسة هى قابلة الغلط
فى هذى المادة . لا يمكنه ان يُعذر من خطية او من
ارتقة . كما يعلم القديس بوناونتورا . والكردينال
بالارمينوس وغيرهما . او قلما يكون يوجد هو
قريبًا من الارتقة . حسب راى العلما سوارس .
وازوربوس . وغوتى . واخرين . لان الحبر الاعظم
بحكومته فى قانونية القديسين . هو بموجب تعليم
القديس توما اللاهوتى مقادٌ باطنًا من الهامات
الروح القدس وهواجسة الغير القابلة الضلال *
ولكن فلنعودن الان الى التكلم عن الارتياب
السابق شرحه . فى هل انه يوجد التزامٌ ما بالالتجا
الى

الى القديسين ايضًا . فانا لا اريد ان اتداخل فى الحكم على هذا المشكل . الا اننى لا اقدر ان لا اوضح تعليم القديس توما اللاهوتى فى شان ذلك . فهذا القديس فى عدة امكنة سبق ايراد كلماته بها . خاصةً ما قاله فى كتاب الاحكام . يحقق قبل كل شئ . ان الجميع وكل واحد من البشر يلتزمون بممارسة الصلوة . لانهم لا يستطيعون بنوع اخر ان ينالوا من الله النعم الضرورية لخلاصهم . ان كانوا لايلتمسونها منه بالصلوة . ثم بعد ذلك فى محل اخر من الكتاب المذكور يورد هو الارتياب المومى اليه بسوالة هكذا : هل اننا ملتزمون بان نتضرع الى القديسين فى ان يتواسطوا بنا لدى الله : وهو عينه يرد الجواب عن ذلك قايلًا : ان الترتيب الذى رسمه الله فى الموجودات . حسب تعليم ديونيسيوس . هو ان هذه الموجودات تنتهى اليه تعالى بالوسايط الاخيرة . فاذًا من حيث ان القديسين القاطنين فى الوطن السماوى هم كليوا الاقتراب الى الله . فالترتيب المختص بالشريعة الالهية يستلزم . اننا نحن الذين اذ نوجد مسجونين فى الجسد نكون متغربين عن الرب بعيدًا . فانما ننتهى اليه عزّ وجلّ بواسطة

شفاعة القديسين فينا لديه . وهذا يحدث حينما الجود الالهى يبرز مفعوله بواسطتهم . ثم اذ كان يلزم ان رجوعنا الى الله يوجد مصاقبًا ومطابقًا للاسلوب الذى به تتصل الينا انعامه الالهية . فكما ان انعام الله تبلغ الينا بواسطة القديسين . كذلك يليق ان تكون عودتنا الى الله . بنوع اننا نقتبل مواهبه جديدًا بوساطة القديسين انفسهم . ومن ثم حينما نحن نطلب من القديسين ان يصلوا لاجلنا . نكون على هذى الصورة اقمناهم شفعا فينا امام الله . وعلى نوع ما وسطا بنا لديه تعالى: (انتهى) فلاحظ ايها القارى كيف ان القديس يقول . ان هذا هوترتيب الهى . وان بلوغنا الى الله يتم بواسطة النعم التى يهبناها الله بشفاعات القديسين فينا . فاذًا تبعًا لتعليم هذا المعلم المليكى . ان ترتيب الشريعة الالهية يطلب . اننا نحن القابلين الموت نفوز بالخلاص بواسطة القديسين . باقتبالنا بشفاعاتهم النعم الضرورية لخلاصنا . ثم ان القديس المذكور بعد ان يورد اعتراض من يقول . انه من دون فائدة نحن نلتجى الى القديسين . اذ ان الله بنوع غير متناهٍ هو رحوم نحونا اكثر منهم وهو

مستعد

مستعد لاجابة طلباتنا منه . فهو نفسه اى القديس يرد الجواب عن ذلك قايلاً : ان الرب قد رتب هذه الطريقة . ليس لاجل نقص ما فى رافته. بل ليحفظ الترتيب المستقيم والمثبت عمومًا . وهو انه جلت قدرته يمارس اعماله بواسطة العلل الثانية : *

فسندًا على تعليم القديس المذكور قد كتب الرجل المكمل تاليف طورنيلى . تبعًا لسيلفيوس . بانه ولين كان يلزم ان الطلبة تتقدم لله وحده . بحسب كونه مبدع النعم . فمع ذلك نحن ملتزمون بان نلتجى الى شفاعة القديسين ايضًا . لكى نحفظ الترتيب الذى رسمه تعالى بخصوص امر خلاصنا . وهو ان الاصغر يخلص باستمداد معونة الاكبر منه . فاذًا من حيث ان هذا هو شى حقيقى نظرًا الى القديسين . فبابلغ من ذلك جدًا جدًا يلزم ان يكون اكيدًا نظرًا الى الام الالهية . التى امر محقق هو ان تضرعاتها لدى الله هى مقبولة عنده اكثر من تضرعات اهل السماكلهم . لانه بموجب تعليم القديس شمس المدارس المقدم ذكره . ان القديسين بمقدار الاستحقاقات التى هم اكتسبوها لذواتهم من النعمة . يقدرون ان يخلصوا اخرين كثيرين .

واما يسوع المسيح. وكذلك والدته المجيدة . فقد اكتسبا من النعمة مقداراً كافيًا لان يستطيعا ان يخلصا البشر كلهم . وهذه هى كلمات القديس فى ذلك : انه لامر عظيم هو ان يوجد احد القديسين حاصلاً على نعمة كافية لتخليص كثيرين . ولكن حينما يكون احد حاصلاً على نعمة بهذا المقدار عظيمة . حتى انها تكون كافية لخلاص الجميع . فهذه هى نعمة كلية العظمة . التى قد وُجدت فى المسيح . وفى مريم البتول : واما القديس برنردوس فاذ يتكلم عن والدة الاله يقول نحوها هكذا : اننا بك ندنوا مقتربين الى الابن . ياواجدة النعمة وام الخلاص . لكى يقبلنا بواسطتك ذاك الذى اعطى لنا بواسطتك : فقد اراد القديس ان يعنى بهذا . انه كما اننا لا نقدر ان نبلغ الى الاب . الا بواسطة الابن الذى هو وسيط العدل . فهكذا لا مدخل لنا الى الابن . الا بواسطة امه التى هى وسيطة النعمة . وهى التى تستمد لنا بشفاعاتها الخيرات التى اكتسبها لنا يسوع المسيح ابنها . وبالتالى ان القديس المذكور يقول فى محل اخر: ان مريم قد اقتبلت من الله نوعين من ملوء النعمة. فالاول

فالاول هو تجسد كلمة الاب الازلى من احشايها الفايقة القداسة . والثاني هو ملوء النعم التى نحن ننالها من الله بواسطة تضرعات هذه الام الالهية . ثم يردف القديس كلامه بقوله : ان الله وضع ملو كل خير فى مريم البتول حتى اننا نعلم ان كل شى ينتصل الينا . ان كان من الرجا الذى لنا . وان كان من النعم التى نحوزها . ام من الخلاص نفسه . فهذه كلها نحصل عليها من الله بواسطة تلك الصاعدة من القفر . لانها هى البستان المحبوب المملو روايح زكية . ومن نشر طيبه تنبعث نسايم عطر النعم : فاذًا كلما عندنا من خيرات الرب فجميعها نحن نقتبلها بشفاعة مريم العذرا . ولما ذلك . فيجيب القديس برنردوس عينه : لان الله اراد هكذا اننا نحن نحصل على كل شى بواسطة مريم : غير ان البرهان الخصوصى على حقيقة هذا الامر . يُوخذ مما كتبه القديس اوغوسطينوس القايل : انه بالعدل والاستقامة تُسمّى مريم البتول امًا لنا . لانها بواسطة حبها ايانا قد ساعدت هى فى اننا نولد فى حيوة النعمة نحن المومنين اعضاء لراسنا يسوع المسيح : ومن ثمّ كما ان مريم قد ساعدت بالمحبة

فى الميلاد الروحى الذى به اتلد المومنون . فهكذا اراد الله انها هى تساعد بالشفاعة من اجلنا . لكى نكتسب حيوة النعمة فى هذا العالم . وحيوة المجد فى العالم الاتى . ولذلك الكنيسة الجامعة تصيّرنا ان ندعوها ونحييها بالسلام بكلمات مطلقة غير مقيدة قايلين : السلام عليكِ ياحياتنا ولذتنا ورجانا : ✠ .

ولهذا القديس برنردوس يحرضنا على ان نلتجى دايمًا الى هذى الام الالهية . لان تضرعاتها هى مقبولة بتاكيد من ابنها . اذ يقول نحونا : التجِ ياهذا الى مريم . لانى اقول لك خلوًا من ارتياب . ان الابن يستجيب بتاكيد ماتطلبه منه امهُ . فلهذا تحققوا بالاولارى ان هذه هى سلم الخطاة . هذه هى اتكالى الاعظم . وهى علة رجاى كلهُ : فالقديس المذكور يسميها سلمًا لانه اذ كان لايمكن للصاعد على السلم ان يضع رجله على الدرجة الثالثة من دون ان يضعها قبلاً على الثانية . ولايقدر ان يبلغ الى الدرجة الثانية . ان كان قبلاً لايضع رجله على الاولى . فهكذا لا يمكن الوصول الى الله الا بواسطة يسوع المسيح . ولا يستطاع

يستطاع البلوغ الى يسوع المسيح الا بواسطة مريم. ثم يسميها بعد ذلك اتكاله الاعظم . وعلة رجايه كله . لان الله (كما هو يفترض) يريد ان تجتاز الينا بواسطة مريم كل النعم التى هو يوزعها علينا . واخيرًا يختتم قوله : بان النعم كلها التى نرغبها . يلزمنا ان نلتمسها منه تعالى بواسطة مريم . لانها هى تستمد كل شى تطلبه منه . وصلواتها لايمكن ان تُردُ فارغةً : ومثل ذلك يقول القديس افرام السرياني مخاطبًا اياها هكذا : انه ليس لنا رجاءٌ فى احد سواك ايتها البتول الامينة : وقال القديس ايدالفونسوس : ان العظمة الالهية حكمت بان كل شى تعطيناه من الخيرات كلها . يكون مسلمًا توزيعه علينا بيديك . فلك اُستودعت خزاين النعم وذخاير المواهب : وقالُ القديس جرمانوس : انه لوكنت تهلينا ياحيوة المسيحيين . فماذا لكان يحل بنا : وقال القديس بطرس داميانوس : انه توجد فى يديك كنوز الرحمة الالهية كلها : وقال القديس انطونينوس : ان من يطلب من الله خلواً من وساطة مريم . فانما يمتحن ان يطير من دون اجنحة : اما القديس

برنرديوس السيائي . فى احد الامكنة يقول : انت هى موزعة النعم كلها . وخلاصنا هو فى يدك : وفى محل اخر ليس فقط يقول انه بواسطة مريم تُاتينا النعم باسرها . بل ايضًا يرتاى بانه منذ صارت هذه السيدة والدةً لله . قد اكتسبت هى ولايةً على النعم جميعها التى تتوزع علينا اذ يقول : ان المسح بواسطة البتول يرسل بحسب كونه الراس الى النعم الى اعضا جسده السرى . لان الام البتول من حينما حبلت فى مستودعها بكلمة الله الازلى . قد حصلت (لكى نقول هكذا) مستوليةً على كل شى ينحدر فى الزمن من الروح القدس . وهكذا ولا خليقة من الخلايق تنال من الله نعمةً من النعم . الا بحسبما تتوزع من هذه الام الرافة عينها : ثم يختم قوله هكذا : فمن ثَم كل نوع من المواهب والفضايل والنعم تتوزع بيديها . بمقدار ماتريد . وكيفما تروم . وحينما تشا : ومثل ذلك كتب القديس بوناونتورا قايلاً : انه منذ حلت الطبيعة الالهية فى احشا البتول . انا لا اخشى من ان اقول انها هى حصلت مستوليةً على النعم الصادرة من ذاك الساكن فى مستودعها . مفاضةً كانها من البحر الالهى

الالهى المحيط: فلهذا كثيرون من اللاهوتيين لاستنادهم على راى هولا القديسين . فبكل عدلٍ وحسن عبادة قد حاموا عن هذى القضية. وهى انه لا تُعطَى لنا نعمة ما من النعم الا بواسطة شفاعة مريم البتول. هذا مايقوله العلما . فاغا ومانضوطسا . وباجيوكالى . والسنيرى . والبوابرة . وكراسين . ولاهوتيون اخرون كثيرون . جملة مع العلّامة الاب ناطاليس اسكندر الذى كتب قايلاً : ان الله قد اراد ان الخيرات كلها التى نحن نومل نوالها منه . نستمدها بواسطة شفاعة البتول الكلية الاقتدار . متى التجاءنا اليها كالواجب : ثم ان هذا الاب يستشهد لاثبات ذلك كلمات القديس برنردوس السابق ذكرها اى : ان الله اراد هكذا اننا نحصل نحن على كل شى بواسطة مريم : ومثل ذلك يقول الاب كونتانصونه . الذى بعد ايراده كلمات المسيح المقولة منه وهو على الصليب لتلميذه يوحنا: ها امك : يضيف اليها كلامهُ قايلاً : ان مخلصنا اعنى بهذا كانه يقول ليوحنا . انه لا احد يستفيد شيًا من سفك دمى الا بواسطة شفاعة امى. فجراحاتى هى ينابيع النعم . ولكنها

لا تتصل الى احد الا بواسطة امى مريم التى هى القناة. فانت يابوحنا تلمينى بمقدار ما تحب امك هذه. فبمقدار ذلك انا احبك: ❋

ثم ما عدا ما تقدم ذكرهُ. ان كان الله يسر باننا نلتجى الى القديسين. فامرٌ موكد هو انه تعالى بابلغ من ذلك يرضيه ان نلتجى الى شفاعة مريم. لكى تكمّل هى بواسطة استحقاقاتها نقص استحقاقنا. كقول القديس انسلموس: ان عظم مقام المتشفعة من اجلنا يسد عن عدم استحقاقنا. فمن ثَمَّ الاستغاثة بمريم البتول ليست هى ضعف رجاء فى المراحم الالهية. بل هى اليأس من الاستحقاق الذاتي: واما القديس توما اللاهوتي. فاذ يتكلم عن سمو مقام والدة الاله. يسميه مقامًا على نوع ما غير متناه. ولذلك بالصواب يقال. ان تضرعات مريم لدى الله هى مقتدرة اكثر من تضرعات اهل السما كلهم اذا اجتمعت معًا ❋

فلنختتم الان هذا الراس الاول مستنتجين من جميع ما تقدم ايرادهُ الى ههنا. ان من يصلى يخلص بكل تاكيد. ومن لا يصلى يهلك بلا ريب. فجميع الطوباويين الكاينين الان فى السما (ماعدا الاطفال

الاطفال) انما قد خلصوا بواسطة الصلوة . وكل الهالكين انما هلكوا لعدم ممارستهم الصلوة . لانهم لو كانوا توسلوا لما كانوا الان يوجدون فى جهنم النار. وهذا الامر صار لهم علةً لزيادة عذابهم فى الجحيم . وهو تفكرهم فى انه كان ممكنًا لهم ان يخلصوا بسهولة كلية . وهى سهولة التماسهم من الله النعم . واما الان فما عاد لهولا الاشقيا زمن فيه يصنعون هذه الصلوة لدى الله . بطلب معونته

الراس الثانى

فى قيمة الصلوة ومقاعيلها

ان صلواتنا هى بهذا المقدار كريمة لدى الله . حتى انه عزّ وجلّ قد عيّن المليكة لتقدمها امامه حالما نحن نمارسها . كما يقول القديس ايلاريوس : ان المليكة قد اقيموا بوظيفة ان يقدموا لله صلوات المومنين . وهم يوميًا يصنعون ذلك : فهذا هو ذاك الدخان المقدس الصاعد عن البخور اى صلوات القديسين . الدخان الذى شاهد القديس يوحنا فى جليانه (ابوكاليبس ص ٥ ع ٨ وص ٨ ع ٣)

ثم ان هذا الرسول عينهُ كتب . بان صلوات القديسين هى نظير لجامات الذهب المملوة عطرًا لذيذ العرف مقبولة من الله . ولكن لكى يفهم جيدًا عظم قيمة الصلوة لدى العزة الالهية . يكفى ان نُقرا فى نصوص الكتاب المقدس العتيق والجديد . المواعيد الفايقة الاحصا التى وعد الله بها لمن يصلى . كقوله تعالى : اصرخ الىَّ فاستجيب لك : (ارميا ص ٣٣ ع ٣) : ادعنى فى يوم حزنك فانقذك وتمجدنى : (مزمور ٤٩ ع ١٥) : سالوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يُفتح لكم : (متى ص ٧ ع ٧) : فكم بالحرى ابوكم السماوى يعطى الخيرات للذين يسالونه : (متى ص ٧ ع ١١) : لان كل من سال اعطى ومن طلب وجد . ومن قرع فُتح له : (لوقاص ١١ ع ١٠) : واقول لكم ايضًا . انه ايما اتفق اثنان منكم على الارض فى كل شى يطلبانه . فيكون لهما من قبل ابى الذى فى السموات : (متى ص ١٨ ع ١٩) : من اجل ذلك اقول لكم ان كل ما تسالونه فى الصلوة . امنوا بانكم تنالونه فيكون لكم : (مرقص ص ١١ ع ٢٤) : لانى منطلق الى ابى وكل شى تسالون الاب باسمى فانا اصنعه ،

يوحنا

(يوحنا ص ١٤ ع ١٣) : وتطلبون كلما تريدون فيكون لكم : (يوحنا ص ١٥ ع ٧) : الحق الحق اقول لكم انكم كل شى تسالون الاب باسمى يعطيكم : (يوحنا ص ١٦ ع ٢٣) هذا وحبًا بالاختصار نعدل عن ايراد نصوص اخر عديدة فى اثبات ذلك من الكتاب الالهى ❋

فالله يريدنا مخلصين. ولكن لاجل زيادة خيرنا يروم ان نخلص ظافرين . فاذًا طالما نحن فى هذى الحيوة . يلزمنا ان نعيش فى حال حربٍ متصلة . وينبوط بنا لكى نخلص ان نحارب من دون ملل فننتصر: لانه . كقول الذهبى الفم . لن يُكلل احد ان لم ينتصر لاننا لضعفا نحن جدًا . واعداءنا كثيرون واقويا فى الغاية . فكيف نقدر ان نصافقهم معاركين ونقهرهم غالبين . فلنتشجع غير خايفين . وليقل كلٌ منا ما كان يتفوه به الرسول الالهى بقوله : اني اقدر على كل شى بذاك الذى يقوينى : (فيليبوسيوس ص ٤ ع ١٣) فنحن نستطيع على كل شى بواسطة الصلوة . التى من احلها يعطينا الرب تلك القوة التى لا توجد عندنا . قال المعلم ثاودوريطوس : ان الصلوة هى شى واحدة . ولكنها تقدر على الاشيا كلها : ويقول

القديس بوناونتورا : ان الصلوة تسعد لنا الخيرات باسرها . وتنقذنا من الشرور جميعها : اما القديس لورانسيوس يوستينياني فكان من عادته ان يقول : اننا بواسطة الصلوة نشيّد لذواتنا برجًا حصينًا جدًا . حيث نعود داخله امينين من اشراك اعدائنا واغتصاباتهم كلها : فاى نعم ان قوات الجحيم هى شديدة الباس . ولكن يقول القديس برنردوس : ان الصلوة هى اقوى من الشياطين كلهم : وهذا هو حق . لان النفس بواسطة الصلوة تكتسب العون الالهى الذى يقوى على اين قوة كانت مخلوقة . فعلى هذى الصورة كان النبى والملك داود يشجع ذاته حين استحواذ الخوف عليه قائلًا : اسمع الرب وادعوه فانجو من اعداى : (مزمور ١٧ ع ٤) وبالاجمال يقول القديس الذهبى الفم : ان الصلوة هى سلاحٌ عظيم . وميناء امين . وكنزٌ ثمين : فاذًا الصلوة هى السلاح الكافى للانتصار على وثبات الشياطين باسرها . وهى حصنٌ لحفظنا من كل خطر . وهى ميناء نحتمى فيه من اية عاصفة تحدث لنا فى بحر هذا العالم . وهى معًا كنزٌ نجد فيه كل الذخاير الضرورية لنا * فالبارى تعالى اذ كان يعلم عظم الخيرات التى تسببها

تسببها لنا ضرورة الصلوة. فلهذه الغاية (كما قلنا فى الراس السابق) يسمح عزّ وجلّ بان تثب علينا اعداونا. لكى نلتمس منه المعونة التى هو يقدمها لنا ويعزينا بها. ولكن بمقدار ما ان الله يسر بنا عندما نلتجى اليه فى حين توارد الاشيا الخطرة ضدنا. فبمقدار ذلك يغتاظ منا. اذا راءنا متكاسلين عن الصلوة. قال القديس بوناونتورا: انه كما ان الملك يعتد عبدًا خاينًا ذاك القايد الذى يرى ذاتهُ فى خطر الانغلاب من كثرة الاعدا. ولا يطلب منه اسعافًا. فهكذا الله يعتد خاينًا فى حقه ذاك الذى يشاهد ذاته محاطًا من التجارب. ولا يلتجى اليه ملتمسًا معونته. فى الوقت الذى فيه يوجد هو جلت خيرته مستعداً. بل منتظراً ان تُطلَب منه المعونة ليمنحها بسخاء: وهذا قد اعلنه حسنًا من قبل الله النبى اشعيا الى الملك اخز. بانه لكى يتحقق ان الرب كان مستعدًا لاعانته ولمساعدة شعبه اليهودى. كان مباحًا له اى لاخز ان يطلب منه تعالى فعل اعجوبة اثباتًا لذلك. اذ قال له: اطلب لنفسك من الرب الهك علامةً فى العمق او فى العلو: (اشعيا ص ٧ ع ١١)

واما اخز الملك المنافق فاجاب قايلاً: لست اطلب ولا اجرب ربى : وانما قال هذا لانه كان واثقًا بذاته ومتكلاً على قوايه فى ان ينتصر على اعداء المملكة من دون العون الالهى . غير ان النبى المذكور قد وجه على هذا بقوله : اسمعوا يابيت داود . هل ذلك يسيرٌ عندكم ان توصلوا للناس جهادًا . فكيف توصلون للرب جهادًا : مريدًا بهذا ان يوضح لنا ان ذاك الذى يهمل الالتجا الى الله فى طلب المعونة . يجعل ذاتهُ مكروهًا امامه عزَّ وجلَّ. ومفتربًا على حسن عنايته الالهية . فى الوقت الذى فيه تتقدس اسمه يقدم النعم ليمنحها للطالب ✠

لانه جلت خيريته يقول : تعالوا الىَّ يا جميع المتعوبين والثقيلى الحمل وانا اريحكم : (متى ص ١١ ع ٢٨) اى بااولادى المساكين المنهوكين من محاربة اعدايكم اياكم . والمضامين من ثقل حمل خطاياكم لا تايسوا . ولا تقل شجاعتكم . بل هلموا الىَّ بممارسة التضرعات نحوى . وانا امنحكم القوة لكى تجاهدوا . واعطيكم مخرجًا صالحًا من شدايدكم كلها . ثم يقول سبحانه بفم نبيه اشعيا هكذا

هكذا : هلمَّ فلنتناظر يقول الرب . وان تكن خطاياكم كلون البسر فلابيضنَّها كالثلج . وان كانت كلون القرمز فلابيضنها كالصوف : (اشعيا من ١ ع ١٨) اى : التجيُوا الىَّ يامعشر البشر . حتى ولو كانت ضمايركم مدنسةً بخطايا كثيرة . فلا تغفلوا عن ان تميلوا الى . وانا اسمح لكم بان توبخوني (لكي اقول هكذا) ان كنت انا بعد التجايكم الىَّ لا اجعلكم بنعمتى ان تصيروا انقيا كالثلج : لانه ترى اى شى هى الصلوة . فلنسمعنَّ ماذا يجيب عن ذلك القديس يوحنا فم الذهب قايلًا : ان الصلوة هى المرسى للمنزعجين من العواصف . وهى كنزٌ للفقرا . وهى شفاءٌ للسقما . وهى حفظٌ للاصحا : ثم ماذا تصنع الصلوة . فلنسمعنَّ الجواب من القديس لورانسيوس يوستينياني القايل : ان الصلوة تهدّى غضب الله . وتفوز بنوال الشى الذى يُطلَب بها . وتعطى الغلبة على الاعدا . وتغيّر حال البشر : فاذاً اذ يصلى الخاطى بانضاع . يستعطف الله الى الرضى ومنح الغفران . وبالصلوة تُكتَسب النعم المطلوبة . والغلبة على الاعدا . ويحدث التغيير من حال العماء الروحى

الى الاستنارة . ومن الضعف الى القوة . ومن الخطية الى القداسة . فليلتمس من الله النور ذاك المحتاج اليه . وحالاً ينالهُ . كما قال سليمان الحكيم : اني ابتهلت فَمُنحت فطنةً . ودعوت فجاءني روح الحكمة : (سفر الحكمة ص ٧ ع ٧) ثم فليطلب من الله القوة ذاك المفتقر اليها . ومن دون تاخير ينقوى . كقول المرتل : فتحت فمي فاستنشقت الروح : (مزمور ١١٨ ع ١٣١) لانه ترى كيف امكن للشهدا القديسين ان يحصلوا على قوة هكذا عظيمة حتى انهم قاوموا المغتصبين . الا بواسطة الصلوة التي اكتسبت لهم شدة الباس والشجاعة . التي بها فاقوا على الالام والموت ❁

وبالاجمال : ان من يستخدم سلاح الصلوة العظيم . يقول الذهبي فمهُ . لا يرى الموت . بل يهمل الارض . ويدخل السما . ويحيى بالله : اي انه ينجو من السقوط في الخطية التي تميت النفس . ويزول منه التعلق بحو خيرات الارض . ويبتدي وهو في هذه الحيوة بان يدخل بالروح الى السما . ويتمتع بالمفاوضة مع الله . فاذًا لماذا يحصل القلق عند البعض الذين يقولون : ترى من يعلم ان كنا نحن من عدد المكتوبة اسماؤهم

اسماوهم فى سفر الحيوة ام لا . ومن يقدر ان يظمننا فى ان كان الله يعطينا نُعمَه الفعالة وموهبة الثبات الاخير ام لا : فالجواب عن هذا قد اعطاه الرسول الالهى بقوله : لا تهتموا بشى . بل فلتُعرَف مسالاتكم عند الله فى صلوة وطلبة بشكر . وسلام الله الذى يستولى على كل عقلٍ هو يحرس قلوبكم وفطانتكم بيسوع المسيح : (فيليبوسيوس ص ٤ ع ٦) فهوذا الانا المصطفى يقول ماذا يفيد الانزعاج والقلق والخوف . فاطردوا من عقولكم هذه الاشيا كلها التى لا ينتج منها الا ضعف الرجا . والفتور فى العبادة . والكسل عن السلوك فى طريق الخلاص . وصلوا واطلبوا دايمًا . واجعلوا مسالاتكم معروفةً عند الله . واشكروه باتصال على ما وعدكم به . بان يمنحكم المواهب التى ترغبونها كل مرة تلتمسونها منه . ان تكن هى النعمة الفعالة . او موهبة الثبات . ام الخلاص الابدى مع سايرما تشتهون . فاى نعم ان الرب قد وضعكم فى معركة الحرب لتقاتلوا اعداءً اقويا : الا انه تعالى امينٌ هو فما يهملكم ان تُمتحَنوا فوق ما فى طاقتكم . بل يصنع لكم مع المحنة مخرجًا لكى تستطيعوا ان

تحتملوها : (قرنتيه اولى ص ١٠ ع ١٣) وانما هو امين لانه يسعف حالاً من يستغيث به * فقد كتب السيد العلامة الكردنيال غوتى قايلًا : ان الرب ليس هو بملتزم دايمًا بان يعطينا نعمةً تكون معادلة لقوة التجربة . ولكنه ملزوم هو متى تجربنا والتجاءنا اليه . بان يمنحنا بواسطة النعمة (التى هى مهياة للجميع) المعونة الكافية التى بها نستطيع فعليًا ان نقاوم التجربة : على اننا نحن نقدر على كل شئ بواسطة العون الالهى . الذى يُمنَح لكل من يلتمسه باتضاع . ولذلك لا عذرَ لنا حينما ندع ذواتنا ان نُغلَب من التجربة . بل نضحى مغلوبين من قبل ذنبنا لا غير. لاجل اننا لا نصلى. لانه كقول القديس اوغوسطينوس : ان التجربة بواسطة الصلوة تزول عنا متلاشية : ❋

قال القديس برنرديوس السيانى : ان الصلوة هى وكيلتنا الامينة المبلغة وسايلنا الى الله . الذى تدخل هى اليه داخل بلاطه السماوى . وتعطف بلجاجتها قلب هذا الملك . الى ان يُهبنا كل نوع من الاسعافات . نحن المساكين المتنهدين فيما بين شدايد معركات عديدة . والاشقيا فى وادى الدموع

الدموع هذا : ثم ان النبى اشعيا يحقق لنا سرعة اجابة الرب كل ما نطلبه منه حينما يسمع صوت صلاتنا. اذ يقول : باكيًا لا تبك راحمًا يترحم عليك على صوت صياحك . عندما يسمعك سريعًا يستجيب لك: (اشعيا ص ٣٠ ع ١٩) وقال الله بفم نبيه ارميا (ص ٣ ع ٣١) متشكيًا منا هكذا : لعلى قد صرت قفرًا لاسرائيل. او ارضًا مناخرة. فلماذا قال شعبى انصرفنا لا نعود ايضًا اليك: فاذًا يقول الله.لماذا قلتم انكم ما عدتم تلتجيون الىَّ جديدًا . اهل ان رحمتى هى ارض قفر عقيمة من اجلكم. لا تقدر ان تثمر لكم شيًا من النعمة . او هل انها ارض جافية لاتعطى اثمارها الا بعد حين طويل : فبلاشك ان الله اراد بهذا القول ان يفهمنا انه لا يهمل هو اصلاً ان يصغى الينا . وانه حالاً يستجيب صلواتنا. وبهذا اراد ايضًا ان يوبخ اوليك الذين يتغاضون عن التضرع اليه . لنقص رجايهم فى ان تُستجاب طلباتهم ✠

فلو ان الله كان يعيّن لنا مرةً واحدةً فقط فى كل شهر لتقديم تضرعاتنا اليه . لكان بلاشك هذا خيرًا عظيمًا لنا. لان ملوك الارض مرات قليل

فى السنة يعطون سماعًا مشاعًا لرعاياهم . ولكن الامر بالخلاف . لان الله على الدوام يهبنا الاستطاعة على الدخول امامه للتضرع . فقد كتب القديس يوحنا فم الذهب بقوله : ان الرب هو على الدوام مستعد لاستماع صلواتنا . ولا يحدث اصلاً انه لا يستجيب من يتوسل اليه كالواجب . وقال فى موضع اخر : اننا حينما نبتهل لله . فقبل ان ننهى خطابنا لديه بالتضرع هو يستجيب مسالاتنا : بل اننا نحن حاصلون فى ذلك على الوعد منه عزَّ وجلَّ نفسه بقوله : ويكون قبلما يدعون انا استجيب لهم : (اشعيا ص ٦٥ ع ٢٤) وكما يقول المرتل : الرب قريب لسايرالمستغيثين به . جميع المستغيثين به بالحق (اى كالواجب) يصنع مشية خايفيه . يسمع تضرعهم ويخلصهم : (مزمور ١٤٤ ع ١٨) وهذا هو الامر الذى من اجله كان موسى يفتخر قايلاً : انه لم توجد امة عظيمة مثلكم تكون لها الهة قريبة منها . كما ان الهنا حاضر فى كل شئ ندعوه : (تثنية الاشتراع ص ٤ ع ٧) . فالهة الامم قد كانت اصنامًا لدى المستغيثين بها . لانها كانت هى خلايق ضعيفة . واما الهنا القادر على

كل

كل شئ قليل هو امم عن استماع صلواتنا . بل هو قريب لكل من يتوسل اليه . ومستعد لان يعطى كل النعم التى نلتمسها منه . كقول المرتل : فى اليوم الذى ادعوك قد علمت انك انت الهى : (مزمور ٥٥ ع ١٠) مريدًا ان يقول هكذا : يارب اننى بهذا عرفت انك الهى انت الملوصلاحًا ورحمةً . لاني كل مرة ادعوك فحالاً انت تستجيب لى : فاى نعم اننا نحن فقرا معوزون من كل شئ . ولكنه ان كنا نطلب من الله احتياجاتنا فلا نعود فقرا . لاننا ان كنا نحن معوزين فالله هو غنى . كقول الرسول الالهى : ان الله هو غنى لجميع المستغيثين به : (رومية ١٠ ع ١٢) فاذًا من حيث ان امورنا هى مع سيد ذى اقتدار غير متناه . وذى ثروة لايُدرك عظم غناها . كما يقول القديس اوغوسطينوس . فلا نطلبنَّ منه اشيا دنيئة حقيرة . بل فلنلتمسنَّ منه عطايا عظيمة . على انه يهين الملك من يتقدم اليه طالبًا منه ان يهبه فلسًا واحدًا . اما نحن فبالضد نكرم الله . ونمجد رحمته . ونفخم سخاه . عندما مع تصورنا حال شقاينا وعدم استحقاقنا لنوال نعمة ما من النعم . نلتمس

منه تعالى مواهب جليلة . لثقتنا فى صلاحه الغير المتناهى . وفى صدق مواعيده بان يعطى النعم مهما كانت لمن يطلبها منه كقوله : تطلبون كل ما تريدون فيكون لكم : (يوحنا ص ١٥ ع ٧) قالت القديسة مريم المجدلية دباتسى : ان الرب حينما نحن نلتمس منه النعم . يشعر هو بذاته موعبًا بهذا المقدار من المجد والمسرة . حتى انه على نوع ما يشكر هو خيرنا عن ذلك . لاننا حينئذ نحن نفتح له سبيلاً لان يتمم مرغوبه . ورضوان مشيئته فى ان يصنع الخير مع الجميع : ثم ينبغى ان نقتنع فى اننا لما نسال الله موهبةً ما . فهو دايمًا يعطينا اكثر مما نطلب . كقول القديس الرسول يعقوب : ان يكن احدكم تنقصه حكمة . فليسال الاله المعطى الكل بسماحة : (ص ١ ع ٥) فهنا اراد هذا الرسول ان ينبهنا بان الرب ليس هو نظير البشر بخيلاً فى خيراته . على ان البشر ولين كانوا اغنيا واتقيا واسخيا . فمع ذلك عند اعطايهم الصدقات هم دايمًا ضيقوا اليد . وغالبًا يعطون اقل مما يُطلب منهم . لان ثروتهم مهما كانت واسعةً فهى دايمًا محدودة . ومن ثم بمقدار ما يوزعون منها

منها فبمقداره تنقص عن ذاتها . واما الله فيهب خيراته بسماحة وطلاقة حينما تُلتمَس منه . وهبًا اكثر من الطلبة . لان ثروته هى غير متناهية . وبالتالى مهما اعطى لا يمكن ان تنقص . ولذلك يقول المرتل نحوه عزَّ وجلَّ : انك انت يارب صالح ورديع وكثير الرحمة لساير المستغيثين بك : (مزمور ٨٥ ع ٥) فاذًا يقول هذا النبى : انك انت يالهى كلى السخا واللطف نحو من يدعوك . ومراحمك التى تستعملها معه هى كثيرة فى الغاية . حتى انها تفوق جدًا على ما يطلبه هو منك : ❋

ففى هذا اذًا ينبغى ان نجتهد . اى بان تكون ثقتنا وطيدة حينما نصلى . مطمانين بان خزاين الملكوت تُفتَح لنا عند توسلنا . كما يقول الذهبى الفم . لان الصلوة هى كنزٌ . فمن يمارسها بتكاثر ياخذ من هذا الكنز اوفر كمية . قال القديس بوناونتورا : انه كل مرة يلتجى الانسان الى الله بحسن عبادة ممارسًا الصلوة . يكتسب خيرات . تفوق قيمتها على كل ما هو فى العالم اجمع : فيوجد البعض من الانام العباد يصرفون ازمنةً مستطيلة فى قراتهم كتب

تاملات روحية . ولكنهم قليلاً يهتمون فى التوسلات . فلا ريب فى ان مطالعة الكتب الروحية . والتامل فى الحقايق الابدية هو فى مقيد : ولكن ذو افادة اعظم جدًا جدًا . يقول القديس اوغوسطينوس . هو ان الانسان يمارس الصلوة . على اننا اذ نقرا ونتامل نحن نفهم ما هى التزاماتنا . ولكن بالصلوة نحن ننال النعمة التى بواسطتها نقدر ان نتمم تلك الالتزامات : لانه ماذا يفيدنا ان نقرا ونعلم حقايق ما نحن ملتزمون بعمله . ولكن لا نعمله . وبهذا نصير ذوى ذنب اثقل امام الله . فلنقرا ونتامل قدر ما نريد . ولكن بهذا لا نفى التزاماتنا . ان كنا لا نلتمس من الله المعونة على ايفايها ❊

ولذلك يتفلسف حسنًا القديس ايميدوروس اذ يقول : ان الشيطان لا يتعب ذاته ولا يبذل جهده فى تشتيت افكارنا وتبلبل عقولنا . ولا فى وقت من الاوقات . نظير ما يصنع معنا ذلك حينما يرانا منعكفين على التضرعات لله فى طلب انعامه : ولما ذاك . انه بلا ريب هو لان عدونا هذا الالد يعرف جيدًا . انه ولا فى زمن ما من الازمنة نحن نقدر ان

نكتسب

نكتسب لذواتنا كنوزًا من الخيرات . بمقدار ما نحوز ذلك فى زمن الصلوة . فالثمرة الاعظم الصادرة من الصلوة العقلية انما هى طلب النعم من الله . حسب احتياجاتنا اليها لاجل الثبات على الخير . ثم لنوال الخلاص الابدى . ولاجل هذه الغاية فالصلوة العقلية هى ضرورية ادبيًا للنفس . لكى تحفظ ذاتها فى حال نعمة الله . لانه ان كان الانسان لا يجمع افكاره حين الصلوة العقلية . ليلتمس العون الالهى الضرورى له للثبات على البر . فلا يفعل ذلك فى حين اخر . اذ انه خلوًا من التامل لا يطلب هو هذا العون . بل ولا يفتكر فى احتياجه الى التماسه من الجود الالهى . وبالخلاف ان الذى يوميًا يمارس التامل . فيلاحظ حسناً احتياجات نفسه . والاخطار التى هو موجود بها . والضرورة التى عنده للصلوة . وهكذا يصلى وينال النعم الموهبة اياه على الثبات . والمقية اياه للخلاص * فالاب بولس السنيرى كان من عادته ان يقول عن ذاته . انه فى المبادى كان هو عند ممارسته التاملات يجتهد فى ان يحرك ذاته الى العواطف . اكثر مما الى التوسلات . ولكنه اذ عرف فيما بعد عظم الاحتياج الى الصلوة . وسمو

الفوايد الناتجه عنها . فمنذ ذلك الوقت فصاعدًا شرع هو يستعمل فى صلواته العقلية المتكاثرة . ان يتوسل متضرعًا ويستمد المعونات سايلاً ❋

ثم ان الملك حزقيا الحسن العبادة كان يقول : مثل فرخ السنونو هكذا اصيح : (اشعيا ص ٣٨ ع ١٤) على ان افراخ السنونو لا تصنع شيًا اخر الا ان تصرخ . اذ تطلب بهذا القوت والمعونة من امها . فهكذا يلزمنا جميعًا ان نصنع . ان كنا نريد ان نحفظ فينا حيوة النعمة . اى ان نصرخ من دون ملل ملتمسين المعونة من الله . لكى ننجوا من موت الخطية . ولكى ننموا فى المحبة له تعالى . فقد اخبرنا الاب رودريكوس . بان الابا القدما الذين هم معلمونا الروحيون الاولون . قد التيموا مرة مجتمعين لاجل الفحص عن الرياضة الاكثر افادة للنفس . والاوفر ضرورة لخلاصها الابدى . فهولا بعد المداولة والبحث قد اتفقوا برای واحد . على ان ذلك هو تكرار الصلوة الوجيزة المستعملة من النبى والملك داود وهى قوله : اللهم اصغ الى معونتى : وهذا عينه قاله كاسيانوس هكذا : ان من يريد ان يفوز بالخلاص يلزمه مراتٍ مترادفة ان يقول : ياربى اعنى

اعنّى : الهى ساعدني : فهذه الالفاظ يلزم ان تُستعمل منا حالما ننهض صباحًا من الرقاد. وبعد ذلك ان نكررها فى احتياجاتنا كلها روحيةً كانت ام زمنية. خاصةً وبابلغ نوع حينما نرى ذواتنا مجربين بتجربة ما . او بالم ما . قال القديس يوناونتورا : انه يتفق احيانًا ان ننال من الله النعمة بواسطة صلوة ما وجيزة. باكثر مما ننالها بواسطة اعمالٍ صالحة اخر كثيرة : ويضيف الى ذلك القديس امبروسيوس بقوله : ان من يصلى انما ينال مطلوبه حين الصلوة عينها . لان ممارسة الصلوة هى نفس نوال غايتها : ولهذا كتب القديس يوحنا فم الذهب قايلًا : انه لا يوجد انسان اقوى ممن يصلى : لان هذا يجعل ذاته مشتركًا بقوة الله. اما القديس برنردوس فكان يقول : انه لاجل الارتقا فى درجات الكمال . يلزم استعمال التاملات ومواظبة التضرعات . لاننا بواسطة التاملات نرى ماذا ينقصنا . وبواسطة الصلوة نستمد ما نحتاج اليه : ❁

وبالاجمال ان الانسان يفوز بالخلاص من دون الصلوة هو امرٌ عسرٌ فى الغاية . بل هو غير ممكن

(كما قلنا فى محله) هذا نظراً الى العناية الالهية الاعتيادية . واما بممارسة الصلوة فالخلاص هو اكيداً سهل جداً . فليس هو ضرورياً للفوز بالخلاص الذهاب الى بين الشعوب الكفرة لاجل الموت عن الايمان . ولا هو من الضرورة لنواله الانطلاق الى القفار . والافتيات الدايم بالحشايش والبقول . فترى ماذا يتكلف على الانسان القول : يارب اعنى : يارب ساعدني : ارحمنى يا الهى : اهل يوجد شئ اكثر سهولة من هذا . والحال ان اقوالاً هذه صفتها تكفى لخلاصنا . ان كنا نثابر على استعمالها . خاصة اذا اتبعنا مشورة القديس لورانسيوس يوستنيناني فى ان نصنع صلوة وجيزة فى بداية اى عمل كان من اعمالنا . فالمعلم كاسيانوس يشهد لنا : بان الاباء الاقدمين كانوا يحرضون كثيراً على الالتجا الى الله بصلوة وجيزة مرات مترادفة : ثم يقول القديس هرنردوس : انه لا ينبغى لاحد ان يعمل حساباً لصلواته . لان الله عينه هو يعمل حسابها . ولذلك بما انه تعالى يعطينا حينئذ ما نطلبه . واما انه يهبنا ما هو اكثر افادة لنا : ثم فلننتبه على اننا اذا كنا لا نمارس نحن الصلوة لاجل ذواتنا .

فلا

فلا عذرَ لنا . لان نعمة الصلوة قد اُعطيت لكل احد بوجه العموم . وهكذا يوجد فى يدنا عمل الصلوة كل مرة نريد . كما كان يقول داود متكلمًا عن ذاته : من عندى اصلى لالهِ حياتي . اقول لله انت ناصرى : (مزمور ٤٢ ع ١٠) فعن هذه المادة سانكلم باسهابٍ فى القسم الثاني من هذا الكتاب . حيث عتيد ان ابرهن واضحًا بكفايةٍ . ان الله يعطى الجميع نعمة الصلوة . حتى انهم اذ يتوسلون . يستطيعون ان ينالوا المعونات كلها بسخاء . لكى يحفظوا الشريعة الالهية . ويواظبوا على عمل الخير الى حين الموت . واما الان فاقول هذا لا غير وهو ان كنا لا نخلص . فالذنب كله يكون منا . لان ذلك يحدث لنا لاجل هذا الامر فقط . وهو لاننا ما كنا نصلى

الراس الثالث

فى ماهية شروط الصلوة. وفيه مقدمة وثلثة اجزا

المقدمة

فى ماهية هذه الشروط

ان الرب قد اعلن بقوله لنا: الحق الحق اقول لكم ان كل شئ تسالون الاب باسمى يعطيكم: (يوحنا ص ١٦ ع ٢٣) فاذًا هذا هو وعدٌ مُعطًى لنا من سيدنا يسوع المسيح. بان اباه الازلى يعطينا كل شئ نلتمسه باسمه. ولكن ينبغى ان يُفهَم ذلك دايمًا اننا انما ننال مطلوبنا. متى التمسناه حسب الشروط الواجبة. والاَّ فلا. كقول القديس يعقوب الرسول: انكم تسالون وما تاخذون. لانكم بيسما تسالون: (ص ٤ ع ٣) ومن ثمَّ تبعًا لهذا النص الرسولى يقول القديس باسيليوس

باسيليوس الكبير هكذا : انكم حينما تسالون وما تاخذون . فهذا يحدث لانكم تسالون بقلة ايمانٍ . وبضعف رجاء . وببرودة شوقٍ . ثم لانكم تطلبون ما لا يكون موافقًا لكم . ولانكم لا تواظبون على الطلبة : فعلى هذه الصورة القديس توما اللاهوتي يختصر الشروط الواجب وجودها فى الصلوة . لكى تحصل هى على الافادة المقصودة بها . الى اربعة شروط . وهى قوله : ان الانسان يصلى لاجل ذاته . طالبًا ما هو ضرورى لخلاصه . بحسن تدبين . وثبات : ❁

فالشرط الاول لحسن الصلوة اذًا هو ان تكون هى لاجل المصلى عينه . وذلك لان هذا المعلم المذيكى يرتاى . بان الانسان لا يستطيع ان يستمد للغير الخلاص الابدى من الله : بواسطة استحقاقاته الخصوصية . وبالتالى لا يستطيع ان يكتسب له ولا النعم الايلة للخلاص . لانه حسب قول هذا القديس ان الوعد المُعطَى من الله لم يكن منجهًا الاَّ نحو الذين يصلّون . لا لغيرهم . كما يظهر من قوله تعالى : يعطيكم : ولكن مع كل ذلك يوجد لاهوتيون كثيرون يرتاون بالخلاف . مستندين بهذا على تعليم القديس

باسيليوس الكبير القايل : ان الصلوة بقوة الوعد الالهى تبلغ مفعولها مطلقًا . وخلوًا من كل ارتياب نحو الاخرين ايضًا الذين يُصلَّى من اجلهم . بشرط ان هولا لا يضعون من قبلهم مانعًا حقيقيًا : ثم ان هذا الراى يستند على البعض من نصوص الكتاب المقدس ايضًا وهى : فليصل بعضكم على بعض لتُشفَوا . فان طلبة الصديق الفاعلة تقتدر كثيرًا : (يعقوب ص ٥ ع ١٦) :صلوا على من يضطهدكم: (لوقا ص ٦ ع ٢٨) : ان ابصر احدكم اخاه مخطيًا خطية ليست هى الى الموت . يتوسل ويعطيه حيوة . اى للذين يخطون خطاءً ليس للموت : (يوحنا اولى ص ٥ ع ١٦) فالقديسان اوغوسطينوس وامبروسيوس مع بيدا المكرم وغيرهم . قد فسروا كلمات : ليست هى الى الموت: اى بشرط ان لا يكون الخاطى مصرًا بتقصد على ان يعيش فى الخطية لحد الموت . لانه ينبغى لمن هذه الحال حاله ان يُعطَى من الله نعمة خصوصية . غير اعتيادية مطلقًا . وامَّا نظراً الى الخطاة الاخرين الغير الحاصلين على رداوة وشر واصرار هذه صفته . فالنص الرسولى المذكور يعد من يصلى من اجلهم باعطايهم

باعطابهم نعمة التوبة اذ يقال : يتوسل ويعطيه حيوةً : ❁

الا انه لا يوجد تحت الربب اصلاً . ان الصلوات من اجل الخطاة تفيدهم جداً وهى جزيلة القبول لدى الله . بل انه تعالى يتشكى من عبيده الامنا الذين لا يتوسلون اليه من اجل الخطاة . كما تشكى عزَّ وجلَّ للقديسة مريم المجدلية دباتسى اذ خاطبها فى الروبا يومًا ما بقوله : انظرى يابنتى كيف ان المسيحيين يوجدون تحت حوزة الشيطان . فان كان مختارىَّ لا ينقذونهم من يده بواسطة التضرعات التى يقدمونها لدىَّ من اجلهم . فابليس يفترسهم : ولكن سبحانه وتعالى يرغب هذه التضرعات من الكهنة والرهبان بنوعٍ خاص . ومن ثَّم كانت القديسة المذكورة تقول لراهباتها هكذا : ان الله ياخواتي ما افصلنا عن العالم لكى نصنع الخير مع ذواتنا نحن فقط . لكن ايضًا لكى نهدّى غضبه الالهى عن الخطاة : بل ان الرب عينه قال لهذه القديسة مرةً ما : اننى قد اعطيتكنَّ ايتها العروسات المختارات مدينة الملجا (اى الام المسيح) حيث يمكنكنَّ ان تلتجين . وهناك تسعفن

خلايقي. فاذاً اسرعن الى هذى المدينة . وفيها مارسن ما به تكون المعونة لمخلوقاتي الذين يهلكون بالدثار. فابذن حياتكن من اجلهم : فالقديسة من هذا الخطاب قد امتلأت حرارةً وغيرةً مقدسة. وشرعت تقدم لله في كل يوم خمسين مرةً دم المخلص من اجل الخطاة. وكانت تذوب شوقاً من اجل توبتهم قايلةً : اواه يالهي ما هذا العذاب الشديد . وهو مشاهدتي اني اقدر ان افيد خلايقك باباحة حياتي من اجلهم . من دون ان استطيع ان افعل ذلك: وما عدا هذا قد كانت هي في كل رياضة تتوسل لله من اجل الخطاة . ويقال في كتاب سيرة حياتها . انها ما كانت تدع ساعةً واحدةً تمر من غير انها تصلي من اجلهم . بل انها مرات كثيرة كانت تنهض من رقادها ساعة نصف الليل. وتمضي امام القربان الاقدس مبتهلةً عنهم . ومع ذلك جميعه اذ وجدت هي يوماً ما باكيةً بزفرات . وسيلت عن سبب بكايها. قد اجابت قايلةً: اني ابكي لانه يبان لي اني لا اصنع شيًا من اجل خلاص الخطاة: بل انها اتصلت الى ان تقدم ذاتها لاحتمال عذابات جهنم بدلاً منهم . بشرط ان لا تعدم هي هناك محبة لله

الله باغضةً اياه نظير الهالكين . وقد سر الله مرات عديدة بان عبدته هذه البارة توجد معذبة بامراض مولمة من اجل خلاص الخطاة . وبنوع خاص كانت هى تصلى من اجل الكهنة . عند تاملها فى ان حياتهم الصالحة هى علة خلاص للاخرين . وفى ان سيرة البعض منهم الردية هى سبب خراب كثيرين . ولذلك كانت تطلب من الله ان يعاقبها هى عوضًا عن خطاياهم بقولها : اجعلنى ياربي ان اموت مرات عديدة . وارجع الى الحيوة لخدما فى لعدلك الالهى من اجل ذنوبهم : وحقًا انه يوجد مبرهنًا فى سيرة حيوة هذه القديسة . انها بواسطة صلواتها قد انقذت انفسًا كثيرة من يدى لوسيفوروس . فانا انما اردت ان اشرح بعض اشيا خصوصية عن القديسة المذكورة . وعن غيرتها على الانفس . لكيلا اسهب الخطاب بايراد نموذجات الاخرين من الانام المغرمين بالحقيقة فى محبة الله . الذين لا يغفلون عن التوسلات لديه عزَّ وجلَّ من اجل الخطاة . لانه ترى كيف هو ممكن لانسانٍ محبٍ لله . ان يتامل فى عظم المحبة التى بها الله يحب الانفس . وفى شدة الالام والموت المقدم من يسوع

المسيح من اجل خلاصهم . وفى الشوق الموجود فيه تعالى الى ان يرانا مستحربن بالتضرعات من اجلهم . ومع ذلك يلاحظ هو عددًا هكذا عظيمًا من الانفس عايشين بعيدين عن الله . مستانسين من الجحيم . وهو يلبث كمتفرج . ولا ينقد بحرارة التوسلات من اجلهم بمواظبة . لعل الله يهبهم انواره الباطنة . ومعونته القوية . لكى يخرجوا من الحال الشقية المستحوذة عليهم . وهم فيها راقدون فى اسر الشيطان . فاى نعم ان الله ما وعدنا بان يستجيب لنا . حينما اوليك الذين نحن نصلى من اجلهم يضعون اختيارًا مانعًا حقيقيًا لتوبتهم . غير ان الرب مرات كثيرة جودةً منه . ثم مراعاةً لتوسلات عبيده الأمنا . قد منح نعمة التوبة لكثيرين من الخطاة بطريقة غير اعتيادية . ولو ان هولا قد كانوا اتصلوا الى اقصى عماية الروح والتصلب فى الاثم . ولهذا ينبغى لنا ان لا نهمل حين تقدمة القداس الالهى . وتناول القربان الاقدس . او زيارته فى الكنايس . ام حين صنيع الصلوة العقلية . ان نتضرع لله دايمًا من اجل الخطاة المساكين . فاحد العلما الافاضل يقول ان

ان من يصلى من اجل الاخرين . يرى ذاته من دون تاخير حاصلاً على ما يكون طلبه هو من اجل نفسه ايضًا : فليكن خطابنا هذا استطرادًا . ولنعودن الى التكلم عن الشروط الاخر المطلوبة من القديس توما اللاهوتي . لكى تبلغ بها الصلوة مفعولها ❋

فالشرط الثانى الذى وضعه القديس المذكور للصلوة . هو ان تُطلَب بها من الله تلك النعم المحتاج اليها امر خلاصنا . لان الوعد الصادر من الله فى اجابة طلباتنا . لم يكن متجهًا نحو النعم الزمنية الغير الضرورية لخلاص النفس . قال القديس اوغوسطينوس فى تفسيره كلمات الانجيل الموردة فى بداية هذه المقدمة . انها لا تُطلَب من الاب باسم مخلصنا تلك الاشيا المضادة امر الخلاص . على اننا بعض الاحيان نحن نلتمس من الله نعمًا ما زمنية . والله لا يعطيناها . وما ذاك الا لكونه تعالى يحبنا ويريد ان يرحمنا . لان الطبيب الذى يحب العليل . لا يسمح له بان ياكل تلك الاشيا المضرة لصحته . فكم وكم من الخطاة الاصحا الجسم . والاغنيا فى المال . لما كانوا ارتكبوا عددًا هكذا

وافراً من المآثم. لو انهم يكونون مرضى او فقرا. ولهذا يرفض الله ان يعطى البعض من السقما صحة الجسد. وللبعض من الفقرا خيرات النصيب. مع ان هولا واوليك يكونون طلبوها منه فى صلواتهم. وما ذاك الا لانه يحبهم. اذ انه جلت حكمته يعلم ان خيرات زمنية هذه صفتها. لكانت عتيدة ان تصير لهم سببًا للخطية وخسران النعمة الالهية. او قلما يكون علةً للفتور فى السيرة الروحية. ولكن نحن لا نقصد بهذا القول ان نعنى. ان التماسنا من الله الاشيا الضرورية لقيام حياتنا الحاضرة هو نقصٌ فينا. متى كانت هذه الاشيا ملايمةً لحياتنا الابدية. كما يقول الحكيم: فقرًا وغناءً لاتعطنى. لكن رتب لى ما احتاج اليه لعيشتى: (امثال ض ٣٠ ع ٨) بل ان المعلم المليكى نفسه يقول. انه ليس نقصًا هو الاهتمام المرتب ضمن الحدود فى الامور الزمنية. وانما يكون هذا نقصًا. اذا طُلبت هى كانها موضوعات اولى واساسية. او اذا صار الاهتمام بها مفرطاً خارجًا عن الترتيب الواجب. كان خيرنا كله هو قايم بها. ولذلك حينما نحن نلتمس من الله هذه الخيرات الزمنية

الزمنية . يلزمنا دايمًا ان نطلبها بحسن التسليم . وبشرط ان تكون هى مفيدة لانفسنا . وعندما نلاحظ ان الله لايعطيناها بعد ان نكون التمسناها . فليكن موكدًا لدينا انه عزَّ وجلَّ انما يكرهها علينا . لاجل حبه ايانا . لملاحظته انها لكانت تضرنا ضررًا روحيًا . لو انه كان اعطاناها ❁

ثم انه يتفق لنا مرات عديدة ان نتضرع لله فى ان يخلصنا من بعض تجارب تحدث لنا بخطرٍ لانفسنا . ومع ذلك الله لا يستجيب لنا . بل يسمح بان تلك التجارب تستمر معذبة ايانا . ففى هذا الحادث يلزمنا ان نفهم . ان الله انما يسمح بذلك لاجل زيادة خيرنا وافادتنا . لانه ليس حدوث التجارب والافكار الردية هو الذى يبعدنا عن الله . بل الارتضا الاثيم بها يفعل ذلك . فالانسان حينما يستغيث بالله وقت التجربة . ويقاومها بمعونته تعالى . يتقدم كثيرًا فى طريق الكمال . ويتحد بالله اشد اتحادًا . ولهذا لا يستجيب له الله طلبه زوالها عنه . كما حدث للقديس بولس الرسول . الذى اذ كان يتضرع مرات كثيرة الى الرب فى ان ينقذه من التجارب المضادة العفة التى كانت تحاربه . حسبما هو نفسه اخبر

عن ذاته قايلاً: اُعطيت مخزًا لبشرتي رسولاً شيطانيًا يقرعني ليلا اتسامى. ومن اجل هذا تضرعت الى الرب ثلث مرار ليبتعد عني: (الروح المذكور) ولكن الرب ما استجاب طلبته بل قال له: تكفيك نعمتي. لان قوتي في الضعف تكمل: (قرنتيه ثانيه ص ١٢ ع ٨) فاذًا في حال حصولنا في التجارب نفسها يلزمنا ان نتضرع لله بحسن التسليم قايلاً كلٌ منا: يارب انقذني من هذى المحنة. ان كانت نجاتي منها مفيدة. والا فقلما يكون اعطني معونتك لكي احاربها: وبهذا النوع يصح قول القديس برنردوس: اننا حينما نلتمس من الله شيًا خصوصيًا بالصلوة. فاما انه تعالى يمنحناه. او انه يعطينا شيًا اكثر افادةً لنا منه: على ان الله احيانًا كثيرة يتركنا معذبين في حال الاختباطات المزعجة ايانا. لكي يمتحن امانتنا في حقه. ولكي نربح اعظم ربح. فيبان حينيذ كانه سبحانه اصم عن استماع تضرعاتنا. ولكن الامر هو بالخلاف. لانه ينبغي ان نكون متاكدين ان الله وقتيذ يسمعنا جيدًا. ويساعدنا سرًا مقويًا ايانا بنعمته لكي نقاوم وثبات اعدايناكلها. فاسمع

كيف

كيف انه عزَّ وجلَّ يؤكد لنا هذه الحقيقة بفم نبيه داود قايلاً : فى الحزن دعوتنى فنجيتك وسمعت منك بالخفا العاصف . جربتك على ماء المقاومة : (مزمور ٨٠ ع ٨) ✻

واما الشرطان الاخران المعينان من القديس شمس المدارس لحسن الصلوة . فهما ثالثًا ان نُمارس الصلوة بحسن تدبين . رابعًا ان تكون بمثابرة . فبحسن التدبين يُفهَم الاتضاع . وطمانينة الاتكال . وبالمثابرة يُفهَم عدم اهمال رياضة التضرعات حتى الموت . فالان يلزمنا ان نتكلم بنوع خصوصى متميز عن كل من هذه الشروط الثلثة . اى الاتضاع . وحسن الاتكال . والمواظبة التى هى ضرورية للصلوة .

✻ ومن ثمَّ نشرحها فى الثلثة الاجزا التابعة ✻

الجزء الاول

✻ فى الاتضاع الواجب ان تكون الصلوة ✻

✻ مقترنةً به ✻

فالله ينظر بانعطاف الى تضرعات عبيده المتواضعى القلوب . كقول المرتل : ان الرب نظر الى صلوة

المتواضعين : (مزمور ١٠١ ع ١٨) والّا فلا ينظر اليها . بل يرفضها . كما كتب القديس الرسول يعقوب (ص ٤ ع ٦) : ان الله يقاوم المستكبرين . ويعطى المتواضعين نعمةً : على ان الله لا يصغى الى صلوة المستكبرين الذين يتكلون على قواهم . ولذلك يهملهم فى شقاوتهم . واذ يكونون فى هذى الحال معدومين من المعونة الالهية . فبلا شك يهلكون . وهذا هو الامر الذى من اجله كان المرتل ينوح باكيًا . ويهتف قايلًا : قبل ان اتواضع انا اثمت : (مزمور ١١٨ ع ٦٧) اى اننى اخطات لاجل اني لم اكن متواضعًا . وهذا نفسه قد حدث للقديس بطرس هامة الرسل . الذى ولين كان مخلصنا سبق ونبهه على انه فى تلك الليلة كانت التلاميذ مزمعين ان يتركوه ويهربوا بقوله : كلكم تشكون بي فى هذى الليلة : (متى ص ٢٦ ع ٣١) فمع ذلك بطرس بدلًا من انه يعرف حال ضعفه . ويطلب من الرب المعونة على ان لا يخونه هو . فلاعتماده الزايد على قوايه اجاب وقال لفاديننا بجراءة : ولو شك فيك جميعهم انا لا اشك : ثم ومع ان الرب حينيذٍ بنوع خصوصى قد سبق واعلمه . بانه

كان

كان عتيداً فى الليلة عينها قبل ان يصيح الديك ينكرة ثلث مرات . فمع هذا لاتكاله على ذاته قد اجابه بقوله : ولو وجب ان اموت معك لما انكرتك : ولكن ترى ماذا حدث بعد ذلك . ان المسكين بطرس عندما دخل الى دار رييس الكهنة . وهناك وُبِّخ بانه تلميذ ليسوع . فقد نكر المسيح بالحقيقة ثلث مرات بقسم : اذ انه حينيذٍ بدأ يحرم ويحلف اننى لست اعرف هذا الانسان : (متى ص ٢٦ ع ٧٢) فلو ان هذا الرسول كان يتواضع ويطلب من الله المعونة . لما كان سقط فى الجحود . فاذاً يلزمنا جميعاً ان نقتنع فى اننا حاصلون كاننا على قمة جبل . فوق حافة وادى المائم العميق . ولا يمسكنا عن الهبوط فيه الّا خيط نعمة الله فقط . فاذا اهملنا هذا الخيط . فنحن بتاكيد نتكردس فى الهاوية . ونرتكب من الفواحش ما هو اشدها قبحاً . كقول المرتل : لولا ان الرب اعاننى لكانت نفسى عن قليل تحل فى الجحيم : (مزمور ٩٣ ع ١٧) اى : لو ان الله لم يكن اسعفنى بالمعونة . لكنت تمرغت فى حمأة الوحل من المائم : هكذا يلزم كلاً منا ان يقول . وهذا ما كان يعنيه القديس

فرنسيس اسيزى باعتياده على القول: انى انا اعظم الخطاة الذين فى العالم: واذ قال له يومًا رفيقه: ان كلامك هذا ليس بحقيقى. لانه يوجد فى العالم خطاة اكثر اثمًا منك: فاجاب القديس وقال له: ان كلامى هو صادق جدًا. لانه لولا تكون يد الله حافظتنى. لكنت ارتكبت انواع الخطايا كلها: على انها لقاعدة من الايمان هى اننا خلوًا من نعمة الله لا نستطيع ان نمارس عملًا ما صالحًا. بل ولا ان نحصل على فكر ما جيد * قال القديس اوغوسطينوس: ان البشر من دون النعمة لايمكنهم لا عملًا صالحًا ولا فكرًا فالحًا. لانه كما ان العين خلوًا من النور لا تقدر ان تشاهد شيًا. فهكذا الانسان لا يستطيع ان يصنع ولا نوعًا من الصلاح بدون نعمة الله: بل ان الانا المصطفى قد كان قبلًا اوضح ذلك بقوله: ليس اننا نقدر ان نفكر فكرًا من قبل انفسنا. كانه من قبل ذواتنا. لكن كفاءتنا من الله هى: (قرنثية ثانية ص ٣ ع ٥) ثم ان الملك والنبى داود قبل هذا الرسول كان اعلن ذلك قايلًا: ان لم يبن الرب البيت فباطلًا يتعب البناون: (مزمور ١٢٦ ع ١) فان لم يضع الله يده. باطلًا

باطلاً يتعب الانسان ذاته فى ان يصير قديسًا لانه: ان لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً تتعب الحراس: فاذًا ان لم يحرس الله النفس بمعونة نعمته فعبثًا هى تجتهد فى ان تحفظ ذاتها من الخطية بقوتها الذاتية. ولهذا كان المرتل يقول: لاني ليس بمتكل على قوسى. وسيفى لن يخلصنى: (مزمور ٤٣ ع ٧) اى اني لا اريد ان اعتمد على اسلحتى. بل على الله وحده الذى يقدر ان يخلصنى ❋

فمن ثَمَّ ذاك الذى يجد ذاته انه صنع شيًا ما من الخير. ولا يرى نفسه ساقطًا فى قبايح اكثر شناعة مما يكون عمل قبلاً. فليقل مع الرسول الالهى: اني بنعمة الله انا ما انا: (قرنتيه اولى ص ١٥ ع ١٠) ولهذه العلة نفسها ينبغى له الا يكون بلا خوف وجزع من ان يسقط. متى حصل هو فى سبب الخطية. كما ينبه هذا الرسول عينه بقوله: ان الواقف فليحذر لئلا يسقط: (قرنتيه اولى ص ١٠ ع ١٢) وبذلك علمنا بانه يوجد فى خطر عظيم للسقوط. ذاك الذى يعتد ذاته امينًا من ان يسقط. ويورد هو السبب فى محل اخر قايلاً: ان ظنَّ احد بذاته انه شى وليس هو بشى فانما يضل نفسه:

(غلاطيه ص ٤ ع ٣) ولهذا بكل حكمة يقول القديس اوغوسطينوس : ان اعتماد الانسان على ذاته بانه ثابت . يبعده عن حقيقة الثبات . لانه ليس احد ثابتًا اكثر ممن يشعر هو بذاته ضعيفًا : اى ان كان احد يزعم انه لايوجد فيه خوف . فذلك دليل على انه معتد بذاته ومتكل على قواه فيما كان قصده . الا ان الانسان الذى هذه صفته المتكل اتكالاً مضرًا على ذاته انما يضل نفسه . لانه اذ يعتمد على قواه . ينزع عنه الخوف ، ولعدم خوفه يهمل الالتجا الى الله . وحينيذ يسقط بلا بد . ومثل ذلك يحتاج المرء ان يكون متحذرًا من ان يرمق ذاته بنظر المجد الباطل . عند نظره خطايا الغير . لانه يلزمه بالاحرى وقتيذ ان يحتسب ذاته اكثر خطاءً من ذاك قايلاً : انك لولا انت يارب تعينني لكنت انا صنعت ما هو اشد قبحًا : والا فالله يسمح قصاصًا عن كبرياه بان يتكردس هو متهورًا فى مالائم اشد شناعةً . واوفر شرًا . ولهذا يعلمنا رسول الامم بان نصنع خلاصنا . ولكن كيف نصنعه . فاسمع ماذا يقول هو : اعملوا خلاصكم بخوف وجزع : (فيليبوسيوس ص ٢ ع ١٢) وهذا هو حق . لان ذاك

ذاك الذى على الدوام يخاف كثيرًا من السقوط. فانما بايس هو من قوته. ويضع اتكاله على الله وحده. واليه يلتجى وقت التجارب المخطرة. والله يعينه. وهكذا هو يغلب التجارب ويفوز بالخلاص الابدى. فالقديس فيلبس نيرى. اذ كان يومًا ما وهو ماش فى طرقات روميه يقول: انا مويس مقطوع الرجا: اخذ احد الابا الرهبان يونبه على هذا القول مشجعًا اياه. اما البار فاجابه قايلاً: انا مويس وقاطع رجاى من ذاتي. ولكننى متكل على الله: فعلى هذى الصورة يلزمنا ان نصنع نحن ايضًا. ان كنا نريد خلاصنا. اى ينبغى لنا ان نعيش دايمًا مويسين من ذواتنا ومقطوعى الرجا من قوانا. لاننا ان فعلنا ذلك فنقتدى بنموذج القديس فيلبس المذكور. الذى حالما كان ينهض صباحًا من رقاده. كان يقول لحواله: يارب ضع يدك فى هذا اليوم على راس فيلبس. والا فهذا يخونك: * وبالاجمال يقول القديس اوغوسطينوس: ان هذا هو كل الدرس والعلم الواجب وجوده فى المسيحى. وهو ان يعرف ذاته انه عدم. وانه لا يقدر على شى: لانه هكذا لا يتغافل هو عن التضرعات الى الله. فى

ان يعطيه تلك القوة التى لا وجود لها فيه . والمحتاج هو اليها لمحاربة التجارب . ولعمل الصلاح . وحينيذ هو يصنع كل شى بقوة ذلك الرب . الذى لايعرف ان ينكر اعطاء شى عمن يطلبه منه باتضاع . كقول الروح القدس بفم ابن سيراخ : ان صلوة المتواضع تنفذ السحاب ولا تزال حتى تصل .. ولا تنصرف حتى ينظر اليها العلى : (ص ٣٥ ع ٢١) فلتكن معما وُجدت نفس المصلى المتواضع منبرصةً بالخطايا . فالله لا يرذله خايبًا . لانه تعالى لا يعرف ان يرفض القلب المتضع . كقول المرتل : القلب المتواضع ما يرذله الله : (مزمور ٥٠ ع ١٨) : لان الرب يقاوم المستكبرين ويعطى المتواضعين نعمة : (يعقوب حامعه ص ٤ ع ٦) فبمقدار ما ان الله يعاند المستكبرين ويقاوم طلباتهم . فبمقدار ذلك هو حليم وسخى نحو المتواضعين . وهذا الامر قد قاله سيدنا يسوع المسيح نفسه يومًا ما فى الرويا للقديسة كاترينا السيانية هكذا : اعلمى يابنتى . ان من يثابر متواضعًا على ان يطلب منى النعم . فهذا يكتسب الفضايل كلها : ❋

فهذا يفيد الموضوع الحاضر ان اكتسب كلمات التنبيه .

التنبيه . الذى يصنعه للانام العباد الروحيين الراغبين ان يعيشوا بالقداسة . الرجل الجليل لحسن العبادة . السيد بالافوكس اسقف اوسما . فى ايضاحه المدون منه على الرسالة الثامنة عشرة للقديسة تريزيا . المحررة منها لمعلم اعترافها . وفيها توضح درجات الصلوة كلها الفايقة الطبيعة . التى كان الله انعم بها عليها . فالسيد المذكور يوضح ان هذه الدرجات الفايقة الطبيعة فى الصلوة . الموهوبة من الله للقديسة المذكورة ولغيرها من الابرار . ليست هى بضرورية للبلوغ الى القداسة . لان انامًا كثيرين خلوًا من هذى الدرجات قد وصلوا اليها اى الى القداسة . وبالخلاف ان كثيرين قد بلغوا الى تلك الدرجات واخيرًا هلكوا . ومن ثمَّ يقول هو انه امر لا ظايل تحته . بل هو نوع من الطمع او الاعتداد بالذات . طلب الوصول الى تلك الدرجات والمواهب الفايقة الطبيعة . لان الطريق الحقيقية والوحيدة المبلغة الى القداسة . انما هى الرياضة فى اقتنا الفضايل مع محبة الله . والحال انه بالصلوة يصير الوصول الى ذلك . بالسعى مع الانوار والمعونات التى يمنحها الله . الذى لا يريد

شيًا اخر الا ان يرانا قديسين . كقول الانبا المصطفى : لان هذه هى مشية الله اى قداستكم : (تصالونيكيه اولى ص ٤ ع ٣) ✠

ثم ان الاسقف المقدم ذكره يورد ما هى تلك الدرجات الفايقة الطبيعة للصلوة . التى كتبت عنها القديسة تريزيا نفسها. وهى الهدو. الرقاد بالانخطاف عن الحواس . الاتحاد بالقوى . الثاوريا . الارتقا . الطيران . النهزات بالروح . ثم الانجراح الروحى . فقد كتب هو بكل حكمة . انه نظرًا الى الهدو فى حين ممارسة الصلوة: فهذا يلزمنا ان نشتهيه راغبين . وان نلتمسه من الله متضرعين . اى انه تعالى ينقذنا من تعلق القلب فى الخيرت العالمية التى لا تعطينا هدوًا . بل تسبب للروح قلقًا وغمًا . وقد سماها حسنًا الحكيم : باطلة الاباطيل ... وكلها باطلة وعناية الروح : (جامعة ص ١ ع ٢ ع ١٤) على ان القلب الانساني لا يمكنه ان يجد سلامًا وهدوًا اصلًا . ان لم يوجد فارغًا من كل شى ليس هو الله . لكى يترك المكان كله فارغًا لحبه الالهى المقدس . وهكذا يمتلك الله وحده القلب كاملًا . غير ان النفس لا تقدر ان تصنع ذلك من قبل

قبل ذاتها . لكن يلزمها ان تستمده من الرب بصلوات مترادفة . اما نظرًا الى : الرقاد بالانخطاف عن الحواس : فينبغى لنا ان نلتمس من الله ان يهبنا النعمة . فى ان قوانا الباطنة والخارجة تضحى بقوته الالهية رافعة عن الموضوعات الارضية . وساهرة منتبهة لهذه الغاية فقط . وهى للتامل فى الصلاح الغير المتناهى . واشتهاء الحب الالهى والخيرات الابدية . واما نظرًا الى : اتحاد القوى : فلنصلين متوسلين لله بان يمنحنا النعمة . فى ان لا نفتكر ولا نطلب ولا نريد . الا ذاك الشى وحده الذى يريده تعالى . لان القداسة كلها . والكمال المسيحى بجملته يتوقف على اتحاد ارادتنا بالتمام مع الارادة الالهية . ثم بخصوص : الثاوريا والارتقا : يجب ان نبتهل لله فى ان يرفعنا عن حب الذات الغير المرتب . ويرقينا بعيدًا عن حب المخلوقات . لكى يجذبنا اليه بالكلية . اما فى شان : الطيران والجولان بالروح : فيلزمنا ان نلتمس من الجود الالهى النعمة . فى ان نعيش باجمعنا ماينين عن العالم بابتعاد قلوبنا عن محبته . وفى ان نصنع نظير الطيور السمنو والزرزاف . التى لا تستقر على الارض . حتى

ولا حين اخذ القوت . بل تتناوله وهى طايرة . اى اننا نستخدم خيرات الارض بمقدار ما هو احتياجنا لحفظ حياتنا . ولكن كاننا طايرون من دون الفحص عن تنعمات الارض وابتغاء ملذاتها . واما نظرا الى : النهزات بالروح : فلنتوسلن لله بان يهبنا القوة والشجاعة . فى ان نغتصب ذواتنا حينما نحتاج الى ذلك . لكى نقاوم وثبات اعدائنا ضدنا . وننتصر على الامنا . ونعتنق النالم حتى وفيما بين الشدايد واليبس الروحى . ثم اخيرًا بخصوص : الانجراح بالروح بسهم الحب الالهى : فكما ان الجرح الجسدى يسبب للانسان كل مرة هو يمسه . الوجع والتذكر فى مصيبته . فهكذا يلزمنا ان نطلب من الله ان يجرحنا بسهم حبه المقدس . حتى اننا نتذكر دايمًا عظم صلاحه الالهى . وسمو الحب الذى هو احبنا به . وبهذا نعيش على الدوام مغرمين بمحبته . ومهتمين فى ان نرضيه باعمالنا وبعواطفنا . ولكن النعم المقدم شرحها كافةً . لا يهبناها الله من غير تضرعات متضعة برجاء وبمثابرة . اذ اننا حقاً ننالها من الله اذا كانت صلواتنا ممارسةً بتواضع وبحسن اتكال وبمواظبة ❋

الجزء الثانى

✻ فى حسن الاتكال الواجب ان نمارس به ✻ ✻ صلواتنا ✻

ان التنبيه الاخص والاساسى الذى به ينبهنا الرسول القديس يعقوب . ان كنا نريد ان ننال من الله النعم بواسطة الصلوة . انما هو ان نصلى بحسن اتكال مومنين بثقة بان ننال ما نلتمسه من الله . متى صلينا : بامانة غير منقسمى العزم فى شئ : (يعقوب ص ١ ع ٦) قال المعلم المليكى القديس توما : انه من حيث ان الصلوة تاخذ من المحبة قوة استحقاقها . فهكذا تاخذ هى قوة فاعليتها من الايمان وحسن الرجا : وهذا عينه علّم بموجبه القديس برنردوس بقوله : ان حسن الاتكال وحده هو الذى ينال لنا من الله مراحمه : على ان الله يسر جدًا بثقتنا فى رحمته . لاننا بذلك نحن نكرم صلاحه الغير المتناهى . الذى هو اعلنه واراد ايضاحه لدينا . بخلقه ايانا من العدم الى الوجود .

ولهذا كان المرتل يقول نحو الله : فليفرح بك جميع المتكلين عليك . الى الابد يبتهجون وتحل فيهم : (مزمور ٥ ع ١٢) : لان الرب هو ناصر جميع المتكلين عليه : (مزمور ١٧ ع ٣١) : عجّب رحمتك يامخلص المتكلين عليك: (مزمور ١٩ ع ٧) فبالعظم تلك المواعيد التى وعد الله بها فى كتابه الالهى لاوليك الذين يحسنون رجاهم به . لان المتكل عليه لا يسقط فى الخطية : اذ ان الرب ينقذ نفوس عبيده . ولا يخيب جميع المتكلين عليه : (مزمور ٣٣ ع ٢٣) ثم ينجو من موت الاثم : لان هوذا عينا الرب على خايفيه المتكلين على رحمته . لينجى انفسهم من الموت : (مزمور ٣٢ ع ١٨) وقال الله عن الواثق به : لانه اتكل علىَّ فانجيه واستره ... يصرخ الىَّ فاستجيب له . معه انا فى الحزن انقذه واجده . وطول الايام املاه واريه خلاصى: (مزمور ٩١ ع ١٤ الخ) فلاحظ ايها القارى كيف ان الله يبيّن العلة . التى من اجلها يصنع هو مع الواثق به كل هذه الخيرات بقوله : لانه اتكل علىَّ : فانا انقذه من اعدايه . ومن اخطار الخطايا . واستره . واكون معه فى الحزن . واخيرًا اجده مخلصًا اياه اذ اعطيه الحيوة

الحيوة الابدية . واما اشعيا النبى فاذ يتكلم عن اوليك الذين يضعون فى الله رجاهم يقول : فاما المتوكلون على الرب فيبدلون القوة . وباخذون اجنحةً مثل النسر ويجرون ولا يتعبون . يمشون ولا يضعفون : (اشعيا ص ٤٠ ع ٣١) اى ان هولا يفقدون حال كونهم ضعفا كما هم . ويكتسبون بالله قوةً عظيمةً . فلا يضعفون . بل لا يتعبون فى مسيرهم ضمن طريق الخلاص . لكنهم يجرون طايرين نظير النسر . وهكذا تكون : راحتهم وخلاصهم بالسكوت والرجا : (اشعيا ص ٣٠ ع ١٥) وبالاختصار ان هذا النبى ينبهنا على ان قوتنا كلها هى قايمة فى ان نتكل على الله : بالسكوت والرجا : اى ان نستريح بين يدى الرحمة الالهية . من دون ان نتكل على قوانا ولا على الوسايط البشرية ❋

لانه ترى متى امكن ان يتفق حدوث هذا الامر . وهو ان واحدًا من الذين احسنوا اتكالهم على الله مضى هالكًا . والحال ان الروح القدس يقول : انظروا يابنى قبايل البشر . واعلموا انه لم يكن احدٌ توكل على الرب وخزى : (ابن سيراخ ص ٢ ع ١١) فهذا الرجا هو الذى صيّر النبى داود ان يثق

مطمانًا فى انه لن يخزى ابدًا اذ يقول : عليك يارب توكلت فلا اخزى الى الدهر: (مزمور ٣٠ ع ١) ومن ثم يقول القديس اوغوسطينوس : اهل يمكن ان يكون الله غاشًا خدّاعًا . حتى انه يعدنا ويقدم ذاتهُ ليعيننا فى الخاطر ان كنا نلتجى اليه . ومع ذلك يريد ان يهرب منا حينما نستغيث به ونتضرع اليه : والحال ان الملك والنبى يسمى المتكل على الرب مغبوطًا بقوله : يارب اله القوات مغبوط هو الانسان المتكل عليك : (مزمور ٨٣ ع ١٣) ولما ذاك . فانما هو للسبب المورد من هذا المرتل عينه اذ يقول : لان المتكل على الرب الرحمة تحيط به : (مزمور ٣١ ع ١٠) فاذًا يوجد هذا المتكل على الرب محاطًا من كل ناحية بنظره تعالى ومحروسًا منه ليلا يهلك ❁

فلذلك رسول الامم يوصينا كثيرًا بان نحفظ فى ذواتنا الثقة بالله . التى تكسبنا ثواباً عظيما بقوله : فلا تطرحوا دالتكم التى لها عطية الجزاء عظيمة : (عبرانيين ص ١٠ ع ٣٥) لانه بحسبما تكون دالتنا بالله . فبحسبها ننال النعم منهُ . فان كان رجاونا به عظيمًا . كذلك عظيمة تكون

تكون النعم التي نفوز بها . قال القديس برنردوس : ان الرحمة الالهية هي ينبوعٌ غير محدود عمقهُ . فالذي ياتي اليه بوعاء من الرجا كبير . فمواهب كبيرةً ياخذ : بل ان المرتل كان قبل هذا القديس اوضح ذلك بقوله : تكون يارب رحمتك علينا كمثل اتكالنا عليك : (مزمور ٣٢ ع ٢٢) وهذا الامر قد تحقق بالعمل في شخص قايد المئة الحسن الرجا في مخلصنا . الذي بعد ان مدح امانتهُ قال لهُ : اذهب فيكون لك كما امنت . فشفى فتاه في تلك الساعة : (متى ص ٨ ع ١٣) ثم ان الرب اوحى الى القديسة جالترودا قايلًا : ان من يتضرع الي بثقة ورجاء . يضطرني بهذا المقدار . حق انه لا يمكن ان لا استجيب لهُ في جميع ما يطلبه مني : قال القديس يوحنا السلمي : ان الصلوة يحسن الرجا تغتصب الله : لكن اغتصابًا محبوبًا لديه ❁

فلهذا يحرضنا الرسول الالهي قايلًا: فلنتقدم اذًا بدالةٍ الى عرش النعمة . لناخذ نعمةً ونجد رحمةً لعونةٍ نستنفرصها : (عبرانيين ص ٤ ع ١٦) فعرش النعمة هو يسوع المسيح الجالس الان من عن يمين

الله الاب . لا فى عرش العدل بل فى عرش النعمة . ليستمد لنا الغفران . ان كنا موجودين فى حال الخطية . او المعونة للثبات على البر . ان كنا متمتعين بالصداقة معهُ . ولكن يلزمنا دايمًا ان نلتجئ الى هذا العرش بدالة وثقة . اى بتلك الدالة ذات الرجا التى تعطيناها فضيلة الايمان بصلاح الله وصدق مواعيده . اذ انه عزَّ وجلَّ قد وعد بان يستجيب من يدعوه بحسن الاتكال . اى برجاء وطيد غير منقسم العزم . لان الذى يتضرع بارتياب لا ينال مطلوبهُ . كما يقول الرسول يعقوب : ان المرتاب يضاهى تموج البحر الذى تخبطه الرياح وتزجه . فلا يظن ذلك الانسان انه ياخذ من الرب شيًا : (يعقوب ص ١ ع ٦ و ٧) وانما تُنكَر عليه مسالته . لان انقسام عزمه الغير العادل الذى يخبطه بالارتياب . يمنع الرحمة الالهية عن ان تستجيب لهُ . اذ ان القديس باسيليوس الكبير يقول : فانت ياهذا ما حصلت على النعمة التى التمستها . لاجل انك طلبتها بعدم ثقة : على ان الملك والنبى داود يشير الى ان اتكالنا على الرب يلزم ان يكون راسخًا . كرسوخ جبلٍ لا يتزعزع

من

من مصادمة الرياح اذ يقول : ان الذين يتوكلون على الرب مثل جبل صهيون لا يزول الى الدهر ساكن: (مزمور١٢٤ ع ١) وهذا هو الشئ الذى نحثنا على فعله فادينا الالهى بقوله: من اجل ذلك اقول لكم ان كل ما تسالونه فى الصلوة. امنوا بانكم تنالونه فيكون لكم : (مرقص ص ١١ ع ٢٤) * ولكن لربما يقول احدٌ . ترى على ماذا يلزمنى انا الشقى ان اوطد رجايَّ بثقة فى ان كل ما اطلبه بالصلوة اناله . فالجواب هو انك توطد على الوعد المُعطى من يسوع المسيح القايل : سالوا تعطوا : (يوحنا ص ١٦ ع ٢٤) قال القديس اوغوسطينوس : كيف يمكننا ان نرتاب فى اجابة طلباتنا . مع ان الله الحق بالذات وعدنا بان يهبنا مانلتمسه منه بالصلوة . لانه امرٌ موكدٌ هو ان الرب لما كان هو اصلاً حرضنا على ان نطلب منه النعم . لو انه لم يكن يريد ان يعطيناها : والحال انه هذا هو ذاك الشئ الذى كرره تعالى علينا مرات عديدةً فى كتابه الالهى . وحركنا اليه . وحرضنا عليه باتصالٍ قايلاً: صلوا: سالوا : اطلبوا : اقرعوا الخ : تطلبون كل ما تريدون

فيكون لكم : (يوحنا ص ١٥ ع ٧) بل لكى نصلى لديه عز وجل بدالة وطمانينة . قد علمنا فى الصلوة الربية . اذ نطلب منه كل ما نحتاج اليه من النعم والمواهب (الامر الموجود بجملته فى هذى الصلوة) لا ان نسميه سيدًا . لكن ابًا بقولنا : يا ابانا الذى فى السموات : مريدًا بذلك منا ان نلتمس منه تعالى النعم بالدالة الابنية . التى بها يطلب الابن من ابيه الطبيعى القوت . ان كان هو فقيرًا . والادوية الطبية . ان كان هو مريضًا . على انه اذا اتفق لاحد البنين ان يوجد فى خطر الموت من شدة جوعه . فينكفيه ان يخبر اباه بهذا . وابوه من دون تاخير يسرع بتقدمة القوت لحياته . واذا حدث له ان تلسعه حية وامثالها . فلا يعوزه اكثر من ان يوضح الحادث لابيه الذى حالًا يهتم فى معالجته . وهلم جرًا ❋

فاذًا من حيث اننا واثقون بصدق المواعيد الالهية . فلنتوسلن دايمًا بحسن اتكال ودالة . وبرجا وطيد . كما علمنا رسول الامم قايلًا : فلنتقدم بقلب محق بافتناع الامانة . . . ونمسك اعتراف الرجا الغير المايل . فان الواعد صادق هو : (عبرانيين ص ١٠ ع ٢٢)

ع ٢٢) فكما انه امرٌ اكيد هو ان الله صادق فى مواعيده . فهكذا اكيدًا يلزم ان يكون رجاؤنا فى انه تعالى يستجيب لنا حينما ندعوه . حتى ولئن كنا نحن بعض الاحيان نوجد ربما فى حال اليبس الروحى . او قلقين من قبل بعض ذنوب مصنوعة منا . وبالتالى لا نختبر فى ذواتنا وجود تلك الدالة الحسية التى نشتهى ان نشعر بها . فمع ذلك ينبغى ان نغتصب ذواتنا على التضرعات . ولا نهمل تكرار الطلبات . لان الله لا يتغافل عن الاجابة لنا . بل بالاحرى انه جلت رحمته حينيذ يصغى الينا بابلغ نوع . اذ اننا وقتيذ نصلى باشد يأس من ذواتنا . وباكثر امل فى صلاح الله وصدق مواعيده . بان يستجيب لمن يلتمس منه احتياجاته . فالبارى تعالى يسر جدًا عندما يرانا فى حين المصايب . وفى حال المخاوف . وفى وقت التهارب . واثقين به برجاء ضد الرجاء . اى ضد ضعف الرجا الذى نشعر به فى ذواتنا . من قبل فقدنا التعزية الباطنة . الامر الذى مدحهُ كثيرًا الانا المصطفى فى شخص ابينا ابراهيم بقوله عنه : انه بخلاف الامل صدَّق الوحى : (رومیه من ٤ ع ١٨) *

فالقديس الرسول يوحنا اوضح لنا . ان من يثق بالله برجاء وطيد يصير قديسًا اذ يقول : ان كل من له فيه (اى فى الله) هذا الرجا . فهو يقدس نفسه كما انه هو قدوس : (يوحنا اولى ص ٣ ع ٣) لان الله يجعل ان انعامه تفاض بسخاء على الذين يترجونه بثقة . فبهذا الرجا قد انتصر عدد لا يُحصَى من الشهدا . والبتولات . والاحدات . على المخاوف والعذابات والمغتصبين والموت نفسه . فانا اقول انه بعض الاحيان يخال لدينا اننا نصلى والله لايريد ان يصغى الينا . ولكن لا نقلقنَّ ولا نهملنَّ ان نثابر على التضرعات . ولا يضعفنَّ رجاونا . بل فليقل حينيذ كلٌ منا مع ايوب البار عن الله : وان هو قتلنى فاياه وحده ارجو : (ايوب ص ١٣ ع ١٥) اى ولو اتفق انك يالهى تطردني من امام وجهك . فانا لا اهمل ان اتوسل اليك . ولا يضعف رجاى فى مراحمك : فلنصنعنَّ اذًا على هذه الصورة . وبلا ريب ننال من الرب ما نبتغيه منه . لانه هكذا فعلت الامرات الكنعانية . فحصلت من مخلصنا على ما ارادته . لان هذه الامراة قد التجاءت الى فادينا متوسلةً اليه بان ينقذ ابنتها من الشيطان الذى

الذى كان يعذبها. اذ صرخت قايلةً: ارحمنى يارب يابن داود فان ابنتى بها شيطان: فخلصنا بعد لجاجتها اجابها. بانه هو لم يُرسل الى الاميين كما كانت هى. لكن الى الاسرايليين. اما هى فلم يضعف رجاوها. بل تقدمت وسجدت له قايلة: يارب اعنى: فاجابها قايلاً: ليس هو جيدًا ان يوخذ خبز البنين ويطرح للكلاب: فقالت هى: نعم يارب والكلاب تاكل من الفتات التى تسقط من موايد اربابها: فحينيذٍ اذ راى فادينا رجا هذه الامراة العظيم. قد مدحها ووهبها مسالتها قايلًا لها: يامراة عظيمة هى امانتك. ليكن لك كما اردت: فشفيت ابنتها فى تلك السَاعة:(متى من ١٥ ع ٢٢ الخ): لانه ترى من الذى استغاث بالرب فرفضه: (ابن سيراخ ص ٢ ع ١٢) ✠

قال القديس اوغوسطينوس: ان الصلوة هى مفتاحٌ يفتح باب السما لخيرنا. وحالما تصعد صلاتنا امام الله تنحدر علينا النعمة التى نطلبها: ثم ان المرتل يوضح. ان صلواتنا ورحمة الله توجد معًا جملةً بقوله: تبارك الله الذى لم يبعد صلاتي ولا رحمته عني: (مزمور ٦٥ ع ٢٠) ومن ثم يقول

القديس اوغوسطينوس نفسه: انك حيثما تشاهد ياهذا ذاتك مثابرًا على الصلوة. كن متاكدًا ان رحمة الله تاتي عليك: اما انا فاقول الحق. اني لا اشعر بنفسي متعزيًا بالروح في وقت ما من الاوقات. بافضل ثقة. وباعظم رجا بنوالي الخلاص. نظيرما اشعر بذلك حين صلاتي والتجائي الى الله. وبالصواب افتكر بان هذا يحدث للمومنين الاخرين. على ان العلامات الاخر المختصة بخلاصنا الابدي ليست كلها اكيدة ثابتة. واما ان الله يستجيب لمن يتضرع اليه بدالة ورجاء. فهذه هي حقيقة اكيدة معصومة من الغلط. كما انه امرٌ معصوم من الغلط هو ان الله صادق في مواعيده ❋

ثم اذا اتفق لنا ان نلاحظ ذواتنا حاصلين في حال الضعف. وبصعوبات عظيمة نمارس ما يطلب الله منا عمله. فليقل كلٌ منا بشجاعة مع الرسول الالهي: اني اقدر على كل شي بذاك الذي يقويني: (فيليبوسيوس ص ٤ ع ١٣) ولا نقولنَّ كما يقول البعض: لا اقدر ولا ثقة لي: فاني نحن بالحقيقة اننا بقوتنا لا نستطيع شيئًا. ولكن مع العون الالهي نستطيع على كل شي. فلو ان الله يقول لانسانٍ ما: احمل هذا الجبل على عاتقك. وانا

وانا اعينك فى نقله الى مكان اخر: افما يكون احمق هذا الانسان . او عديم الايمان . اذا اجاب قايلاً: انا لا اريد ان احمله . لانه لا قوة لى كافية لحمله: فهكذا نحن حينما نعترف بذواتنا اننا ضعفا سقما كما نحن كذلك. ونرى انفسنا بابلغ نوع محاربين من التجارب . فلا يضعفنّ وجاونا . لكن فلنرفعنّ اعيننا الى الله . وليقل كلٌ منا مع المرتل: الرب لى معين وانا ارى باعدای: (مزمور ١١٧ ع ٧) وعندما نوجد فى خطرٍ ما به نغيظ الله . ام فى امر مهم . ونرى ذواتنا مبلبلين لا نعلم ماذا يلزمنا ان نصنع . فلنلتجِ الى الرب قايلاً كلٌ منا : الرب نورى ومخلصى ممن اخاف : (مزمور ٢٦ ع ١) وهكذا نعود مطمانين بان الله ينيرنا مرشدًا . وينقذنا مخلصًا ❋

ولقايلٍ ان يقول : انا انسان خاطٍ. واسمع مقررًا فى الكتاب المقدس : ان الله لا يسمع للخطاة : فجيب عن ذلك القديس توما اللاهوتي مع القديس اوغوسطينوس : ان هذه الكلمات قيلت من الاعمى المولود الذى كان المسيح فتح عينى جسده . ولكنه لم يكن هو بعد استنار من الله بالنعمة . ومن

ثم قوله هذا لا اعتماد عليه . ولكن يمكن ان يصدق ذلك حسنًا على طلبات الخاطى بحسبما هو خاط . اى بالتماسه واشواقه ان يستمر على ما هو به من افتعال الاثم . مثلاً اذا طلب هو من الله ان يعينه لينتقم من عدوه . او ليصنع شيًا اخر من الشر . وهذا عينه يصدق على ذاك الخاطى الذى يتضرع لدى الله فى ان يخلصه . ولكن من دون ان يشتهى الخروج عن رذايله وترك عوايده السية . على انه يوجد البعض من التعسا المنكودى الحظ . الذين يحبون القيود التى يكون الشيطان اوثقهم بها كالماسورين . فصلوات هولا لا تُسمَع من الرب . لانها هى صلوات جسورة مرذولة . لانه ترى اين جسارة اعظم من ان يطلب من احد الملوك نعمًا خصوصية . ذاك الذى ليس فقط يكون افتراء على عزته الملوكية مرات عديدة . بل ايضًا يريد ان يستمر ممارسًا ما به يهينه . وبهذا النوع يُفهَم مايقوله الروح القدس : من يميل اذنيه لكيلا يسمع الشريعة . فذاك سُترذَل صلاته : (امثال ص ٢٨ ع ٩) وعن مثل هولا الخطاة المصرين على الاثم يُفهَم قوله تعالى : اذا مددتم الىَّ ايديكم سارد الحاظى عنكم . وان اكثرتم توسلكم فلست استمع

استمع منكم : (اشعيا ص ١ ع ١٥) فعلى هذى الصورة كانت صلوة الملك انتيوخوس المنافق . الذى كان يتوسل ... ويعد باشيا جليلة . ولكن تصنعًا وخباثةً . لانه فى قلبه المصر على الاثم كان يصلى لاجل هذى الغاية فقط . وهى ليتخلص من القصاص المحيق به . ولذلك ما صفى الله لتوسلاته . بل اهمله ان يموت ماكولًا من الدود . كما يقال فى العدد ١٣ من الاصحاح ٩ من سفر المكابيين الثاني : وكان يصلى هذا المجرم الى الرب . اذ لم يكن ان يظفر منه بالرحمة : ❋

ثم يوجد البعض الذين يخطون من قبل ضعف شديد . او من قبل شدة الم متجدد فى اعضايهم . وهكذا يأنون تحت ثقل نير عدوهم الشيطان . ويشتهون ان يقطعوا تلك القيود الجهنمية ويخرجوا من ذاك الاسر . ولهذا يلتمسون المعونة من الله . فصلوة هولا اذا كانت بمثابرة . فالله يستمعها بلا ريب . لانه تعالى قال : ان كل من يسال ياخذ . ومن يطلب يجد . ومن يقرع يُفتَح له : (متى ص ٧ ع ٨) على ان لفظة : كل من يسال الخ : تحتوى على المعنى العام . اى سواء كان السايلون ابرارًا . ام خطاة (هذا

مايقوله مولف المصنف الغير الكامل) ثم ان مخلصنا بعد ان اخبر عن ذاك الذى اعطى صديقه الخبزات ليلاً. اعطاهُ ليس لاجل الصداقة. بل لاجل اللجاجة. اردف سبحانه كلامهُ بهذه الالفاظ هكذا : اقول لكم ان لم يقم يعطه من اجل الصداقة. فمن اجل اللجاجة يقوم يُعطيه مايحتاج اليه . وانا اقول لكم سالوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يُفتحُ لكم : (لوقا ص ١١ ع ٨) فاذًا الصلوة المتواترة تستمد من الله الرحمة . حتى لاوليك الذين ليسوا اصدقاء تعالى . ومن ثمَّ قال الذهبى الفم : ان ما لا يُنال من قبل الصداقة. يُنال بواسطة الصلوة. لان الصداقة لا قيمة لها بمقدار قيمة الصلوة عند الله . ولذلك الشى الذى لا تفوز به الصداقة . تفوز به الصلوة : وقال القديس باسيليوس الكبير : ان الخطاة بالصلوة ينالون مايلتمسونه اذا ثابروا على الطلب : وكذلك قال القديس البابا غريغوريوس : ان يصرخ الخاطى ايضًا الى الله . فصلاته تبلغ اليه عزَّ وجلَّ : ومثله كتب القديس ايرونيموس قايلاً : ان الخاطى ايضًا يقدر ان يسمى الله اباه . ان كان هو يتوسل

يتوسل اليه بأن يقبله من جديد ابنًا له. تبعًا لنموذج الابن الشاطر الذى دعاه اباه بقوله : يـاابـتـاه اخطأت فى السما وقدامك : وذلك قبل ان كان ابوه غفر له : وقال القديس اوغوسطينوس : لو ان الله لايسمع للخطاة . لكان باطلاً وسدىً يطلب العشار منه تعالى ان يغفر له قايلاً : ياالله اغفرلى فـانى خاطى : والحال ان الانجيل يشهـد لـنـا ان هـذا العشار قد فاز بالمغفرة . كقوله تعالى : هذا نزل الى بيته ابرّ من ذاك : (لوقاص ١٨ ع ١٤) ❋

غير ان المعلم المليكى اكثر من الجميع قـد فحص هذه القضية . ولم يدخل عنه ريب فى ان يقول : ان الخاطى ايضًا ينال مايلتمسه . ان كان هو يصلى . لانه وليس كانت صلاته ليست مستحقة ثوابًا . فمع ذلك لها قوة الاستمداد الذى لا يتناسى على البرارة. بل على الجود الالهى : فعلى هذى الصورة كان النبى دانيال يصلى قايلاً : اصغ ياالهى باذنك واسمع . افتح عينيك وانظر خرابنا . . . فنحن لسنا نتضرع بصلواتنا امام وجهك على عدلاتـنـا . بـل عـلى رحماتك الكثيرة : (دانيال ص ٩ ع ١٨) قـال القديس توما الاكوينى : فاذًا حينما نصلى لا يلزم

ضرورةً ان نكون اصدقا الله . ليمكننا ان نستمد النعم التى نطلبها . بل ان الصلوة نفسها تصيرنا اصدقاء جلت رحمته : ثم ماعدا ذلك ياتي القديس بسبب اخر جليل لاثبات ما تقدم ذكره قايلًا : ان صلوة الخاطى وتضرعه فى ان يخرج من الخطيـة . انما يتولد من قبل رغبته فى ان يرجـع الى حـال نعمة الله . والحال ان هذه الرغبة هى موهبة لم تُعطَ له بالحقيقة من احد الا من الله عينه . فاذًا ان كان الله لا يريد ان يسمع هذا الخاطى . فلماذا اعطاه موهبةً هذه صفتها : وفى حقيقة ذلك توجد امثلة عـديـدة مدونة فى الكتاب المقدس نفسه . توضح كيـف ان خطاةً مثل هولا قد بحوا من الخطايا عنـدمـا صلوا ❋

فمنها هو قبول الله توبة اخاب الملك (ملوك ٣ ص ٢١ ع ٢٩) ومثله قبوله تعالى صلوة منسا وتوبته (سفر الايام الثاني ص ٣٣ ع ١٢) ومثله بختنصر الملك (دانيال ص ٤ ع ٣٤) وكذلك اللص عـلى الصليب (لوقا ص ٢٣ ع ٤٠) فبالعظم مفعول الصلوة . وبالسمو قيمتها . فقد وُجد لصان معلقان على الصليبين بجانبى يسوع المسيح المصـلـوب . فاحدهما

فاحدهما لانه صلى قايلاً : اذكرني يارب اذاما اتيت فى ملكوتك : قد خلص فايزًا بالحيوة الابدية . وثانيهما لانه ما صلى قد مضى هالكًا ❊ وبالاختصار قال القديس الذهبى فمه : انه ولا واحد من الخطاة قد صلى لله تايبًا . ولم يستمد منه تعالى ما اراده : ولكن مالنا وايراد اقوال اخر عن الابا القديسين . فى الوقت الذى فيه توجد عندنا كلمات الرب الواضحة بقوله : تعالوا الىَّ ياجميع المتعوبين والثقيلى الحمل وانا اريحكم : (متى ص ١١ ع ٢٨) فبالمتعوبين . تبعًا لتفسير القديسين ابرونيموس واوغوسطينوس وغيرهما . يُفهَم الخطاة الذين يانّون تحت ثقل حمل خطاياهم . فهولا اذ يلتجيُون الى الرب بالصلوة . يفوزون منه بالراحة حسب وعده . وهكذا بنعمته يبلغون الى الخلاص ، فيالغور بحر رحمة الله . ومن ثَمَّ يقول القديس يوحنا فم الذهب : اننا لا نشتهى نحن ان تُغفَر لنا خطايانا بمقدار ما يشتهى الله ان يغفرها لنا . . . ولا توجد نعمة لاتُكتسَب بواسطة الصلوة . ولو انها تقدمت لله ممن هو اعظم الخطاة الممكن وجودهم . ان كان هذا يواظب على التوسل : ويكفى ما قاله فى

هذا الشان القديس يعقوب الرسول هكذا : فان يكن احدكم تنقصه حكمة . فليسال الاله المعطى الكل بسماحة ولا يعيّر احدًا وسيُعطى : (ص ١ ع ٥) فاذًا جميع الذين يلتجون الى الله بالصلوة . فهو تقدس اسمه لا يتغافل عن ان يستجيب لهم ويملاهم من النعم . لانه : يعطى الكل بسماحة : ولكن ينبغى ان نلاحظ بنوع خاص كلمات : ولا يعير احدًا : التى تعنى ان الله لا يصنع نظير البشر. الذين حينما ياتي احدهم الى الاخر طالبًا منه مصلحة ما . ويكون ذاك قبلاً اهانه بزلة . فهذا حالاً يعيّر الطالب بما كان ذاك اذنبه فى حقه . بل انه سبحانه يقبل طلبة الخاطى كانه لم يصدر منه شى من الزلل . وحالاً يستجيب له ويعزيه . ويعطيه بسماحة وسخا مغنيًا اياه بمواهبه . ولكن مخلصنا بنوع ابلغ مما تقدم ذكره . اذ اراد ان يشجعنا على الصلوة . قد تفوه بتلك الكلمات المقدسة قايلاً : الحق الحق اقول لكم . ان كل شى تسالون الاب باسمى يعطيكم : (يوحنا ص ١٦ ه ٢٣) وكانه يقول . يا ايها الخطاة لا يدخل عليكم الفشل . ولا تجعلوا ان خطاياكم تصدكم عن الالتجا

الالتجاء الى ابي السماوى . وعن ان تترجوا منه خلاصكم الابدى . ان كنتم ترغبونه . فانتم اى نعم لستم حاصلين على استحقاقٍ به تستمدون من ابي النعم التى تطلبونها . بل يوجد عندكم الذنب وعدم الاستحقاق لا غير المعد له العقاب . فاذًا اصنعوا هكذا . اى اذهبوا الى ابي . وباسمى التمسوا منه باستحقاقاتي النعم التى تريدونها . وانا اعدكم . بل احلف لكم قايلًا : الحق الحق اقول لكم ان كل شى تسالون الاب باسمى هو يعطيكم : (لان القديس اوغوسطينوس يقول ان هذه الكلمات هى نوع من الحلف) فافرحوا ايها البشر الخطاة. لانه ترى اية تعزية اعظم من هذى يمكن ان يحصل عليها الخاطى بعد خرابه الروحى وهى ان يعلم بتحقيق انه ينال من الله جميع ما يطلبه منه باسم ابنه يسوع المسيح ✻

وانما اعنى بقولى جميع ما يطلبه مما يلاحظ الحيوة الابدية . لانه نظرًا الى ما يلاحظ الخيرات الزمنية . فقد سبق منا الشرح كيف ان الله بعض الاحيان لا يستجيب لنا بخصوصها . لمعرفته انها تكون فى تلك الظروف مضرةً للنفس . واما

نظرًا الى الخيرات الروحية. فالوعد الصابر بها من الحق سبحانه. انما هو وعدٌ مطلق خالٍ من اشتراط. ولذلك قال القديس اوغوسطينوس: ان تلك الاشيا التى يكون الله وعد بها وعدًا مطلقًا. فهذه عندما نحن نطلبها يلزمنا ان نكون متاكدين جدًا. ومطمانين فى اننا ننالها . . . لانه ترى كيف يمكن للرب ان ينكر علينا شيًا حينما نلتمسه منه بحسن الاتكال. مما هو نفسه عزَّ وجلَّ يرغب اعطاناه اشد رغبةً منا نحن للحصول عليه: *

ثم قال القديس الذهبى فمهُ: ان الرب يتحرك بالغيظ منا حينما نتغاضى عن ان نلتمس منه مواهبه: لانه هل من الممكن ان الله لا يستجيب للانسان وسايله. التى بها يطلب هو منه اشيا كلها مرضيةً له ومحبوبةً منه تعالى. اى عندما يتضرع اليه المرء قايلًا: الهى انا لا التمس منك خيرات ارضيةً. اى لا الغنى. ولا التنعمات. ولا الكرامات. لكننى اطلب منك نعمتك فقط. فخلصنى من الخطية. اعطنى مينتةً صالحةً. هبنى الفردوس السماوى. امنحنى حبك المقدس (الذى. هو كما يقول القديس قرنسيس سالس تلك النعمة الواجب

الواجب على المسيحي ان يطلبها من الله اكثر من طلبه سايرِ النعم) اعطني مطابقة ارادتي مع ارادتك بالتمام : افهل هو من الممكن ان الله لا يريد ان يستجيب هذه الطلبات . والحال ان القديس اوغوسطينوس يقول في مناجاته لله هكذا : ترى اية وسايل تقبل . واية مواهب تعطى انت يالهى . ان كنت لا تقبل ولا تعطى هذه الاشيا التى هى بجملتها حسب قلبك : ولكن فوق كل شيء يلزمنا ان ننعش فينا الرجا وحسن الاتكال . حينما نلتمس من الله عطايا روحية . وهذا هو الذى اوضحه لنا فادينا يسوع المسيح بقوله : فان كنتم انتم الاشرار تعرفون ان تمنحوا ابناءكم . عطايا صالحة . فكم بالحرى ابوكم السماوى يعطى روحًا صالحًا للذين يسالونه : (لوقا ص ١١ ع ١٣) اى ان كنتم انتم المتعلقة قلوبكم فى ارباحكم الزمنية . لانكم مملوون من محبة الذات . لا تعرفون ان تنكرها على اولادكم ما يطلبونه منكم . فكم بابلغ من ذلك كثيرًا ابوكم الذى هو فى السموات . المحب اياكم حبًا عطوفًا شديدًا اكثر من حب اب طبيعى حنون . يمنحكم

الخيرات الروحية عند ما انتم تتلقمونها منه

* بواسطة الصلوة *

الجز الثالث

* فى شرط الصلوة الثالث. وهو المثابرة *

* بمواظبة على الصلوة *

قامرٌ ضرورى هو اذًا ان تكون صلواتنا ممارسةً باتصاع وبرجاء وطيد . ولكن هذا وحده لا يكفى لاكتساب نعمة الثبات الاخيرة ومعها الخلاص الابدى . فاى نعم ان الصلوات الخصوصية تستمد من الله النعم الخصوصية المطلوبة بها . الا انها من دون مواظبة ومداومة لا تستمد نعمة الثبات الاخيرة . التى لكونها تحتوى فى ذاتها على نعم اخر عديدة متحدة بها . فيقتضى لذلك تكرار الطلبات بالمثابرة عليها حتى الموت . على ان نعمة الخلاص الابدى ليست نعمة واحدة فقط . بل هى سلسلة نعم . وهذه كلها تتحد مع نعمة الثبات الاخيرة . فاذا هذه السلسلة من النعم يلزم ان تكون مرافقةً من سلسلة صلواتنا المترادفة . ليلا

اذا

اذا قطعنا سلسلة التضرعات . نقطع معها سلسلة النعم المقتضى ان ننالها ونخلص بواسطتها. فلا يُنكَر ان نعمة الثبات الاخيرة هى مجانية من الله . لا نقدر نحن ان نستحقها لذواتنا باستحقاقاتنا الخصوصية . كما يعلم المجمع التريدنتينى المقدس قايلاً : كذلك نظرًا الى موهبة الثبات التى كُتب عنها . ان من يثبت الى المنتهى يخلص . الامر الذى لا يمكن ان يُعطَى من احدٍ الا من ذاك الذى هو مقتدر على ان يثبت الانسان . لكى يثابر ويستمر على الثبات : فمع ذلك يقول القديس اوغوسطينوس : ان موهبة الثبات الاخيرة العظيمة يمكن ان تُستحَق على نوع ما بواسطة الصلوة . اى اذ يُصلَّى فهى تُلتمَس : ثم يضيف الى ذلك الاب سوارس بقوله : ان من يصلى . ينالها من دون ريب: ولكن لنوالها. يقول القديس توما اللاهوتي . تلزم المواظبة على الصلوة والتضرعات المتصلة . وهذه هى كلمات المعلم المليكى: انها لضرورية هى للابرار بعد المعمودية ممارسة الصلوة لاكتساب ما به يصلون الى السما: بل ان مخلصنا الالهى عينه قد قال ذلك قبلاً : انه

ينبغى ان يُصلّى كل حين ولا يزال : (لوقا ص ٢١ ع ٣٦) : اسهروا اذًا فى كل حين وصلوا . لتستاهلوا الهرب من هذا جميعه الذى هو عتيد ان يكون . فتقفوا قدام ابن البشر : (لوقا ص ٢١ ع ٣٦) وهذا نفسه قد كُتب من فى قبل فى ناموس العهد العتيق القايل : لا تمتنع عن ان تصلى دايمًا : (ابن سيراخ ص ١٨ ع ٢٢) : بارك الله فى كل وقتٍ . ومنه اطلب ان يقوّم طرقك . وكل مشورتك تثبت فيه : (طوبيا ص ٤ ع ٢٠) ومن ثمّ الرسول الالهى لم يتغافل عن ان يحرض تلاميذه على المداومة بالصلوة قايلاً : صلوا بلا فتور : (تصالونيكيه اولى ص ٥ ع ١٧) : ثابتوا على الصلوة ساهرين فيها بشكرٍ . مصلين معًا من اجلنا : (كولوصايس ص ٤ ع ٢) : وانا اريد ان تصلى الرجال فى كل مكانٍ : (تيموثاوس اولى ص ٢ ع ٨) فالرب من دون ريب يريد ان يعطينا نعمة الثبات . والحيوة الابدية : ولكنه سبحانه (كقول القديس نيلوس) لا يريد ان يعطى ذلك الا للذين يلتمسونه بثبات مداومين على طلبه بواسطة الصلوة : على ان كثيرين من الخطاة

الخطاة الذين . اى نعم انهم يكونون تابوا وفازوا بنعمة الله وبمغفرة خطاياهم . فمع ذلك لانهم لا يواظبون على طلب نعمة الثبات . يرجعون الى الخطية وهكذا يهلكون : ❋

ثم ان الكردينال بالارمينوس يقول . انه لا يكفى ان تُلتمَس نعمة الثبات مرةً واحدةً . او مرات قليلة . بل يلزمنا ان نلتمسها دايمًا كل يوم حتى الموت . ان كنا نريد ان ننالها . فمن يطلبها يومًا ما . فانما يفوز بها فى ذاك اليوم . واما ان كان لا يلتمسها فى الغد . ففى الغد يسقط . فهذا هو الشى الذى قصد ان يعلمناه مخلصنا بذاك المثل . الذى اورده عن ذلك الصديق الذى جاء الى صديقه نصف الليل طالبًا منه قوصة ثلث خبزات . وهذا اعتذر بغلق بابه وبوجود اطفاله معه على السرير . ولم يرد ان يقوم يعطيه . الا ان فادينا لتحريضه ايانا على تكرار الطلبات والتضرعات . اردف كلامهُ بهذه الكلمات وهى : اقول لكم ان لم يقم يعطه من اجل الصداقة . فمن اجل اللجاجة هو يقوم يعطيه ما يحتاج اليه : (لوقا ص ١١ ع ٨) فلذلك قال القديس اوغوسطينوس : انه ان كان

الصديق الموسى اليه شاء ان يعطى الخبزات لصديقه .
لا لغاية اخرى الا لكى يخلص هو من لجاجته . وهكذا
اعطاه اياها ضد ارادته . فكم باعظم من ذلك
يستجيب لنا الله الصالح . الذى هو نفسه يحرضنا
على ان نلتمس منه الخيرات . بل يغتاظ من الذين
لا يطلبون منه النعم : اى من حيث انه تعالى
هو الجودة والصلاح بالذات . فتوجد فيه اشواقٌ
كثيرة لان يشرك بخيراته الاخرين . وهكذا يهبنا
النعم كل مرة نسالها منه . لاسيما لانه هو نفسه
يحرضنا على التماسها . ويغتم اذا لم نطلبها منه .
فاذًا قد اراد الرب حقًا ان يهبنا الخلاص الابدى ،
وكل النعم الضرورية له . ولكن قد اراد ايضًا
اننا لا نترك اصلًا التجاءنا اليه . والتماسنا
اياها منه باتصال . حتى باللجاجة ايضًا . قال
كورنيليوس الحجرى فى تفسيره هذا النص : ان
الرب يريد منا ان نثابر على الطلب دايمًا لحد
اللجاجة عينها : فالبشر فى الارض لا يطيقون احتمال
اللجوجين . واما الله فليس فقط يحتملنا . بل
ايضًا يرغب ان نلج عليه فى طلب النعم .
خاصةً نعمة الثبات الاخيرة المقدسة . قال
القديس

القديس غريغوريوس الكبير : ان الله يريد ان نغتصبه بواسطة الصلوة . لان اغتصابات هذه صفتها لا تحركه الى الغضب . لكنها بالضد تهدئ غضبه : ❋

فمن ثَمَّ لكى تُكتسَب نعمة الثبات . يلزم ان يصير التضرع دايمًا لديه تعالى فى التماسها . اى صباحًا . ومساءً . وفى نصف النهار . وحين الذبيحة الالهية . ووقت التناول . وعلى الدوام . لاسيما عندما تثب علينا التجارب . وحينيذٍ ينبغى تكرار هذا القول وهو : الهى اعنى : يارب ساعدني : امسكنى بيدك ياالهى : لا تهملنى يامخلصى : يارب ارحمنى : فقل لى ياصاح . هل يوجد شى اسهل من هذا . فقد كُتب فى تفسير الكتاب المقدس الملقب: بغلوسا: على كلمات المرتل القايل هو بها : من عندى اصلى لالهِ حياتي : (مزمور ٤٢ عدد ١٠): انه يمكن لاحد ان يقول اني لا اقدر ان اصوم . لا استطيع ان اعطى صدقةً . ولكن لا يمكنه ان يقول لا اقدر ان اصلى : لانه لا يوجد شئٌ اسهل من الصلوة . غير انه يلزمنا ان لا نهمل الصلوة اصلًا . بل اننا على الدوام (لكى نقول هكذا)

نغتصب الله اغتصابًا محبوبًا لديه . على ان يساعدنا باتصال . كقول المعلم ترتوليانوس : ان هذا الاغتصاب هو مقبول عند الله : وقال القديس ابروتيموس : انه بمقدار ما تكون صلواتنا بمواظبة ولجاجة . فبمقدار ذلك هى ذات قبول لدى الرب : ❋

قال الروح القدس : مغبوط الانسان الذى يسمعنى . والذى يسهر كل يوم عند ابوابى : (امثال ص ٨ ع ٣٤) اى ان الرب يقول . طوبى لذاك الانسان الذى يصغى الىَّ . وعلى الدوام يسهر بواسطة الصلوات والتوسلات عند ابواب رحمتى . ولهذا يقول النبى اشيا (ص ٣٠ ع ١٨) : طوبى لجميع الذين يرجونه : اى مغبوطون الذين لحق المنتهى ينتظرون بالصلوة خلاصهم الابدى من الرب . ولهذا ينصحنا مخلصنا محرضًا ايانا فى انجيله المقدس على الصلوة . ولكن بهذى الطريقة وهى : سالوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم : (لوقاص ١١ ع ٩) مع انه كان يكفيه عزَّ وجلَّ انه يقول سالوا . من دون ان يكرر قوله اطلبوا . اقرعوا . والحال انه تعالى لم يكرر

يكرر ذلك عبثًا من غير تقصد . لكنه اراد ان يعلمنا بان نصنع كما يفعل المتسولون . فهؤلا اذا طلبوا من احد صدقةً . وهو اصرفهم فارغين . لا يكفّون عن ان يلتمسوها منه جديدًا . بل يقرعون الباب . واذا راوا صاحب البيت لا يخرج منه . يستمرون منتظرينه . ويرجعون فيقرعون الباب الى ان لا تعود تُحتمَل لجاجتهم . فهذا عينه اراد الله ان نصنعه نحن ايضًا . اى ان نصلى ونكرر التوسل ونضاعف الطلبة . بان يعيننا تعالى ويسعفنا وينيرنا ويقوينا . وبالا يسمح اصلًا بان نفقد نعمته . قال العلامة لاسيوس : انه لا يمكن ان يُعذَر من ذنب ثقيل . من لا يصلى اذ يكون هو فى حال دنس الخطية . او فى حال خطر الموت . ام انه فى مدة زمن طويل يهمل الصلوة . أى مدة شهر او شهرين : غير ان هذا يُفهَم خارجًا عن زمن حدوث تجربة ما . لان من يوجد محاربًا من تجربة ثقيلة . فهذا من دون ريب يخطى خطاء ثقيلاً . ان كان لا يلتجى لله بالصلوة طالبًا منه المعونة لكى يقاوم التجربة . عند ملاحظته انه خلافًا لذلك يضع ذاته فى خطر قريب بل اكيد

ولكن ربما يوجد من يقول . انه من حيث ان الرب يقدر ان يعطينى نعمة الثبات . ويريد ان يمنحنيها . فلماذا لا يهبنيها مرةً واحدةً دايمةً حينما التمسها منه . فالجواب هو ان الاسباب فى ذلك هى كثيرة موردة من الابا القديسين . فالسبب الاول الذى لاجله لا يعطينا الله نعمة الثبات مرةً واحدةً دايمةً . هو ليختبر بافضل نوع ثقتنا ورجانا . وماعدا هذا يقول القديس اوغوسطينوس : ان ذلك هو لكى نشتهى نوال هذه النعمة . ونشوق اليها باشد ارتياح . لان المواهب العظيمة تقتضى اشواقًا عظيمة لنوالها . اذ ان الخيرات التى تُكتسب بسهولة من دون اعاقة . لا يُحتفظ عليها ولا تُعتبر بذاك الحفظ والاعتبار اللذين يلاحظان الخيرات المُكتسبة بصعوبة . والمشوق اليها مدة مستطيلة من الزمن . السبب الثاني هو حتى اننا لا ننسى الله . لاننا لو كنا نوجد متاكدين اننا حاصلون على نعمة الثبات الاخيرة وعلى نوال الخلاص . ولم نكن محتاجين الى معونات متصلة لكى نحفظ ذواتنا فى حال نعمته . ونفوز بالحيوة الابدية .. لكنا

لكنا بسهولة نهمله تعالى من افكارنا . على ان الاحتياج يضطر الفقرا الى التردد على بيوت الاغنيا. ولهذا: لكى يجتذبنا الله اليه (كما يقول القديس يوحنا فم الذهبي) ولكى يرانا مرات مترادفة منطرحين لدى قدميه . وبقدر هو باكثر سخاء ان ينعم علينا . فهو يمسك ذاته عن ان يهبنا النعمة الكاملة المتوقف عليها خلاصنا . موخرًا منحها لنا الى حين الموت : ثالثًا حتى اننا بواسطة مداومتنا على التوسلات بالصلوة . نتحد معه عزّ وجلّ اشد اتحادًا برباطات الحب العذبة . حسبما يقول الذهبى الفم عينه : ان الصلوة هى وثاق مملو عذوبةً مع الله بواسطة الاعتياد على المفاوضة معه : لان مخاطباتنا المتواصلة معه سبحانه بممارسة الصلوة . وانتظارنا منه برجاء وطيد نوال النعم التى نحن نرغبها . فهذه كلها هى علة لاشتعال نار الحب فى قلوبنا. وهى رباط الاتحاد بالله اتحادًا شديدًا *

ولكن ترى الى كم مقدار من الزمان يلزم ان تكون المواظبة على الصلوة. فجيب القديس المذكور: انها يلزم ان تكون دايمةً الى حينما نحصل على الحكومة بخلاصنا الابدى . اى الى حد

الموت . ولذلك فالذى يقول . انا لا اترك الصلوة الا حينما ارى ذاتي فايزًا بالخلاص . فهذا بلا ريب يخلص : قال الرسول الالهى : اما تعلمون ان الذين يتسابقون فى الميدان ركضًا . كلهم يركضون جريًا . ورابة الغلبة باخذها واحد منهم . هكذا اجروا لتصلوا : فاذًا لا يكفى للخلاص ان نصلى بل يلزم ان نصلى دايمًا الى ان نصل وناخذ راية الغلبة . التى وعد الله بها لاوليك الذين يثبتون مواظبين على الطلبات الى المنتهى ❁

فاذًا ان كنا نريد ان نفوز بالخلاص . ينبغى لنا ان نصنع كما كان يصنع الملك داود القايل : عينای فى كل حين الى الرب لانه يخلص من الفخ رجلى: (مزمور ٢٤ ع ١٥) على انه كما ان الشيطان لا يغفل عن ان ينصب لنا على الدوام المصايد . لكى يقتنصنا . وهو دايمًا يجول حولنا . كقول القديس بطرس هامة الرسل : ان المحال معاندكم يجول كالسبع الزائر طالبًا احدًا ليبتلعه: (جامعه اولى ص ٥ ع ٨) فهكذا يلزمنا ان نوجد على الدوام متسلحين لمحاربة عدو هذه صفته . قايلين مع المرتل : اطلب اعدای فادركهم ولا ارجع حتى يبيدوا

يبيدوا : (مزمور ٢٧ ع ٣٨) ولكن كيف نقدر نحن ان نفوز بهذى الغلبة . التى بمقدارما هى ضرورية لنا فبمقدار ذلك هى عسرة علينا فيجيبنا عن هذا الامر القديس اوغوسطينوس بقوله : كونوا جزبلى المواظبة على الصلوة فتغلبوا : ثم الى كم من الزمن يلزمنا ان نصنع هذه المواظبة . فيجيبنا القديس برنردوس قايلاً : طالما تدوم المحاربة ؛ ثابروا على طلب الرحمة الالهية : اى كما اننا نوجد على الدوام محاربين من اعدايئا . فهكذا على الدوام يلزمنا الالتجا الى الله بالصلوة ملتمسين منه المعونة . لكيلا نُغلَب ويلتحق بنا الويل المعطى من الروح القدس ضد المتراخين اذ يقول : الويل للمسترخى القلوب : (ابن سيراخ ص ٢ ع ١٥) فالرسول الالهى يعلن لنا اننا حقًا نخلص ولكن تحت هذا الشرط وهو : ان مسكنا الدالة وفخر الرجا محقًا الى الانقضا : (عبرانيين ص ٣ ع ٦) اى ان لبثنا متابرين على الصلوة بدالة وثقة حتى الموت ❋

فلنقل اذًا مع هذا المعظم فى الرسل عينه متشجعين استنادًا على رحمة الله وصدق مواعيده هكذا : فمن

ذا يفصلنا عن محبة المسيح. احزنٌ. ام ضيقٌ. ام اضطهادٌ. ام جوعٌ. ام عرى. ام عطب. او سيف. . . . لكننا فى هذى كلها نزيد الظفر بمن احبنا: (روميه ص ٨ ع ٣٥ وع ٣٧) فاذًا يقول هو اى الرسول الالهى. ان هذه الاشيا كلها لا تقدر ان تفصلنا عن محبة المسيح. لاننا ننتصر عليها كافةً بمعونته الالهية. اذ اننا نحارب من اجل هذا الاله الذى احبنا وبدل نفسه دوننا. فالاب ايبوليطوس دوراتسو. فى ذاك اليوم الذى هو فيه تنزل عن الوظايف الكنايسية الشريفة التى كانت عليه فى مدينة روميه. واعتمد على الدخول فى الرهبنة اليسوعية (كما تمم اعتماده بعد ذلك فعلًا) فهذا لخوفه من انه لضعفه كان ربما لا يوجد امينًا فى وعده. شرع يقول: ياربي لا تهملنى انا الذى الان خصصت ذاتى بجملتها لك: غيرانه لما شعر بان الله كان يجيبه باطنًا بقوله: انت بالاحرى لا تهملنى: فحينيذ هو لثقته فى الجود الالهى ومعونته تشجع قايلًا: فاذًا من حيث انك انت يا الهى لن تهملنى. فانا ايضًا لن اهملك: *

فمن ثم تختتم كلامنا. بانه ان كنا نحن نريد ان الله

الله لا يتغافل عنا معرضًا. فيلزمنا نحن الا نتغافل عن التضرعات المتصلة لديه تعالى فى ان لايهملنا. واذاما فعلنا هكذا. فهو عزَّ وجلَّ من دون ريب يساعدنا ويعيننا. ولايسمح اصلاً بان نفقده منفصلين عن محبته. فلهذه الغاية ينبغى لنا ليس فقط ان نجتهد دايمًا فى طلب نعمة الثبات الاخيرة مع سايرِ النعم الضرورية لخلاصنا. بل فلنلتمسن ايضًا التماسًا سابقًا من الرب. النعمة فى ان نداوم على الصلوة. وهذه هى تلك النعمة نفسها التى وعد هو بها لمختاريه بفم نبيه زخريا (ص ١٢ ع ١٠) قايلاً: وافيض على بيت داود وعلى سكان اورشليم روح النعمة والصلوة: فيالها من موهبة عظيمة موهبة روح الصلوة. اى النعمة التى يمنحها الله للانسان فى ان يثابر على الصلوة. فلا نهملنَّ اذًا ان نتوسل لله باتصال فى ان يهبنا هذه النعمة وهذا الروح بان نصلى بلا فتور. لاننا ان واظبنا على الابتهالات دايمًا. فامرٌ موكد هو اننا ننال من الله نعمة الثبات الاخيرة وكل موهبة اخرى نحن نرغبها. لانه تعالى لا يستطيع ان يخرم فى مواعيده بان يستجيب لمن يطلب منه: اذ اننا انما خلصنا

بالرجا : (رومیه ص ٨ ع ٢٤) فاذًا نحن بهذا الرجا الذی به نداوم علی الصلوة نقدر ان نکون متاکدین امر خلاصنا . کما یقول المعلم بیدا المکرم : ان الرجا هو الذی یعطینا مسلکًا رحبًا الی مدینة السما : ای ان هذا الرجا بالمواظبة علی الصلوة یعطینا الدخول الامین الی الفردوس السماوی .

القسم الثانی

فی ان الله قد منح لکل واحد من البشر النعمة فی ان یصلی . لینال النعم الاخر التی هو بحتاج الیها لحفظ الوصایا . وللفوز بالخلاص الابدی . ثم فی موضوعات اخر. وفیه مقدمة واربعة روس وخاتمة

المقدمة

فی موضوع هذا القسم

انهُ من حین اننا اوردنا قبلًا الشی الحقیقی . وهو ان الصلوة هی ضروریة مطلقًا النوال الحیوة الابدیة . حسبما برهنا فی الراس الاول من القسم الاول من هذا

هذا الكتاب. فيلزمنا الان ان نفترض بنتيجة واضحة الامر الاخر الذى هو ايضًا حقيقى. وهو ان كلّ من البشر هو حاصل على المعون الالهى فى ان يصلى فعليًا. من دون ان يحتاج فى ذلك الى نعمة خصوصية. ثم انه بواسطة الصلوة يستطيع ان يستمد النعم الاخر الضرورية له. لكى يحفظ الوصايا بثبات. وهكذا يكتسب الحيوة الابدية. ومن ثمّ فكل من يمضى هالكاً. لا يقدر ان يعتذر ولا بنوع واحد من الاعتذار. بانه قد هلك لاجل نقص حصوله على المعونات الضرورية لخلاصه. على انه كما ان الله فى رتبة الطبيعة قد رسم ان الانسان يولد عاريًا ومحتاجًا الى اشيا كثيرة لقيام حياته. ولكنه تعالى قد اعطاه عقلاً به يهتم فى احتياجاته. ويدبن بهما يكسى عراه ويمارس ما يلزمه. فهكذا فى رتبة النعمة التى هى رتبة فايقة الطبيعة. فالانسان يولد عديم المقدرة بذاته على نوال الحيوة الابدية. غير ان الله بصلاحه يهب كلّ من البشر نعمة الصلوة. التى بواسطتها يقدر اىّ كان ان يستمد منه تعالى سابر النعم الاخر. المحتاج هو اليها ليحفظ الوصايا ويفوز بالخلاص الابدى *

ولكن قبل ان ناتي الى ايضاح هذه القضية . فامرٌ مفيدٌ هو ان نتكلم فى الراسين الاولين التابعين عن شيين خصوصيين . اولهما ان الله يريد خلاص الناس اجمعين . ولاجل ذلك المسيح مات عن الكل. ثانيهما ان الله نظرًا الى ما يختص به يهب الجميع تلك النعم الضرورية لخلاصهم . ولهذا كل انسان يستطيع ان يفوز بالخلاص . اذا هو سعى مع

❋ هذى النعم الموهوبة ❋

❋ له من الله ❋

الراس الاول

❋ فى ان الله يريد خلاص البشر اجمعين ❋

❋ ولذلك يسوع المسيح قد مات عن ❋

❋ الكل ❋

فالله يحب الاشيا التى خلقها كافةً . كقول الروح القدس فى سفر الحكمة (ص ١١ ع ٢٥) : لانك يارب تحب الموجودات كلها . ولم تبغض شيئًا مما خلقت . ولو بغضت شيًا لما كنت خلقته : والحال ان

ان الحب لا يمكنه ان يمكث بطالاً . كما يقول القديس اوغوسطينوس : ان الحب من اى نوع كان هو. توجد فيه افعاله. ولن يلبث خاليًا من العمل: على ان الحب يوجد دايمًا متحدًا بالانعطاف نحو خير موضوعه. وبالتالى ان المحب لا يمكنه ان يهمل عمل الخير مع الشخص المحبوب منه . كل مرة يقدر هو على ذلك. حسبما كتب اريسطوتاليس الفيلسوف بقوله: ان المحبة تدرس لتصنع الخيرات التى تظنها ملايمةً مع الموضوع الذى هى تحبه : فاذًا ان كان الله يحب البشر كلهم . فبنتيجة واضحة يريد انهم جميعًا يكتسبون الحيوة الابدية . التى هى خير الانسان الاعظم والوحيد. لانها هى الغاية الوحيدة التى من اجلها عزَّ وجلَّ خلق الانسان . كقول الرسول الالهى: ان ثمراتكم لكم للقداسة. وغاياتها حيوة موبدة : (روميه ص ٦ ع ٢٢) *

فهذا التعليم اى ان الله يريد الكل ان يخلصوا . وان يسوع المسيح قد مات من اجل خلاص الجميع. هو الان تعليم الكنيسة الكاثوليكية المعافىَ الاكيد. حسبما يقول براى عام اللاهوتيون باطافيوس. وغونات وغيرهما مع طورنيلى. الذى يضيف

الى ذلك قوله : ان هذا العليم هو قريب من الايمان. ومن ثمَّ بكل صواب قد شُجب اوليك الملقبون : بالسابق تحديدهم : الذين من جملة اضاليلهم كانوا يزعمون (كما يوجد مدونًا عند العلما نوريس وباطافيوس وطورنيلى خاصةً) : ان الله لم يرد خلاص الكل : وهذا قد شهد به عليهم ابنكماروس ربيس اساقفة رامس . فى رسالته الى البابا نيقولاوس الاول بقوله : ان القدما فى المسمابيين: السابق تحديدهم: يقولون . ان الله لا يريد ان الجميع يخلصون بل اوليك فقط الذين يفوزون بالخلاص : فهولا الضالون قد شُجبوا اولًا من مجمع ارلس الملتيم سنة ٣٧٥م حيث كُتب فى التحديد هكذا : ان الذين يزعمون ان المسيح لم يمت من اجل الكل . ولم يرد تعالى ان الجميع ينالون الخلاص . فليكونوا محرومين : ثانيًا من مجمع ليون الملتيم سنة ٤٩٠م وفيه قد اضطر لوجيدوس الى ان يرجع فى تعليمه معلنًا بقوله : انى اشجب لاعنًا كل من يقول ان المسيح لم يحتمل الموت من اجل خلاص الجميع : ثالثًا ان اوداسكالكوس اذ جدد فى الجيل التاسع الضلال المقدم ذكره ، قد شُجب فى مجمع كاربسيا . الذى

قد

قد حدد فى العدد الثالث قايلاً : ان الله قد اراد ان البشر اجمعين من دون تمييز يكونون خالصين. ولو انهم لا يخلصون جميعًا : بل قال فى العدد الرابع : انه لا يوجد احد من البشر إ يتمم المسيح من اجله . ولو ان الجميع لا يستثمرون سر افتدايه تعالى : رابعًا ان الضلال المذكور عينه قد شُجب اخيرًا فى القضيتين الثانية والعشرين ثم الثلثين من قضايا كوازناليوس القايل فى الاولى منهما : ان الله حيثما يريد خلاص نفسٍ فمفعول ارادته من دون ادني ريب يبلغ بالتمام : وفى الثانية قال : ان كل الذين يريد الله خلاصهم بالمسيح . يخلصون بلا بد : فهاتان القضيتان قد حُرمتا بكل عدلٍ لاجل هذى الغاية عينها وهى لانهما يشيران الى ان الله لايريد خلاص الجميع لانه اذ يقال بهما. ان الذين يريد الله خلاصهم انما يخلصون مطلقًا بلا بد . فيُفهَم من ذلك ان الله لا يشاء خلاص المومنين اجمعين . ولا البشر كلهم *

ثم ان المجمع النربدنتينى قدتكلم واضحًا عما نحن فى صدده بقوله : ان يسوع المسيح قد مات . حتى ان الجميع يقتبلون البنوة بالوضع : (جلسة ٦ راس ٢)

وقال هذا المجمع (جلسة ٩ راس ٣) : انه ولئن كان المسيح قد مات عن الكل . فليس الجميع يستثمرون موهبة موته عنهم : فاذا هذا المجمع المسكوني يفترض امرًا اكيدًا . ان فادينا قد مات ليس من اجل المختارين فقط . بل من اجل اوليك ايضًا الذين بذنبهم لا يقتبلون نعمة الفدا . وهنا لا يفيد شيًا الادعا بان المجمع بكلامه المذكور قد اراد ان يعنى هذا لا غير . وهو ان المسيح قد اعطى بموته ثمنًا يكفى لخلاص العالم اجمع . والحال انه بهذا المعنى يمكن القول . ان المسيح قد مات من اجل خلاص الشياطين ايضًا . هذا ماعدا ان المجمع بكلماته المقدم ايرادها قد قصد ان يوبخ الضالين . الذين لم ينكروا ان ثمن دم المسيح كان كافيًا لخلاص الكل . بل كانوا يزعمون ان هذا الدم الكريم ما اهُرق حقًا . ولا اُعطى من اجل الجميع . فالسنيودوس التريدنتينى اذًا قد اراد ان يشجب هذا الضلال بقوله . ان المخلص قد مات عن الكل . والابلغ من ذلك هو ان هذا المجمع قد اعلن فى الراس ٩ من الجلسة المذكورة : ان الخطاة يرتقون الى الرجا . اذ يثقون بدالة فى ان الله يشفي

يشفق عليهم لاجل المسيح : والحال انه لو كان المسيح لم يخصص الجميع باستحقاقات موته . فمن حيث انه لا يمكن لاحد ان يتاكد ذاته (خلوًا من اعلان الهى خصوصى) انه هو من عدد اوليك الذين اراد المسيح ان يخصصهم باثمار استحقاقاته . فلما كان يمكن لاحد من الخطاة ان يتاهب للتبرير بالرجا المذكور . اذ ليس له اساس اكيد حقيقى (الامر الذى هو ضرورى للرجا) بان الله يريد خلاص الكل . ويشا حقًا ان يغفر لاجل استحقاقات المسيح لجميع الخطاة المتاهبين . هذا ماعدا ضلال بايوس المشجوب بقوله : ان المسيح لم يمت الا من اجل المنتخبين : كما ان هذا الضلال قد شُجب فى قضية جانسانيوس الخامسة المقول بها : انه لرأى البيلاجيين المتوسطين هو القول . ان المسيح مات من اجل البشر كلهم . او ان دمه سُفك من اجلهم كافةً : فالبابا اينوشانسيوس العاشر فى براته المبرزة سنة ١٦٥٣ قد اعلن صريحًا . ان القول ان المسيح لم يمت الا من اجل خلاص المنتخبين . هو قول اثيم اراتيكى ❁

فضدًا للضلال المقدم شرحه توكد لنا نصوص

الكتاب المقدس . واقوال الابا القديسين . ان الله يريد حقيقةً بارادة صادقة خلاص كل البشر . وتوبة جميع الخطاة . طالما هم احيا فى هذى الارض . ففى اثبات ذلك توجد عندنا شهادة الرسول الالهى القايل : الاله مخلصنا المريد جميع الناس ان يخلصوا . والى معرفة الحق يقبلوا : (تيموثاوس اولى ص ٢ ع ٤) فحكومة هذا الرسول هى مطلقة بقوله : المريد جميع الناس ان يخلصوا : لان معنى هذه الكلمات الخصومى الحرفى هو . ان الله يريد حقًا خلاص جميع البشر. اذ انها لقاعدة مقبولة من كل اللاهوتيين هى . انه لا ينبغى ان تتفسر كلمات الكتاب المقدس بمعنىً مختلف عما تدل هى عليه ذاتيًا . ماعدا هذا الحادث فقط . وهو حينما يكون المعنى الحرفى مضادًا للايمان او للاداب . ومن ثمَّ مطابقةً لذلك كتب القديس يوناوننورا قايلاً : انه اذ قال الرسول الالهى ان الله يريد جميع الناس ان يخلصوا . فيلزمنا بالضرورة ان نسلم بان الله هكذا يريد : فالى نعم ان القديسين اوغوسطينوس . وتوما اللاهوتي يوردان التفسيرات المختلفة . التى فسر بها بعض لكتبه

الكنيسة الكنايسيين النص الرسولى المذكور. غير انهما اثنيهما قد فهماه بمعناه الحقيقى. ان الله يريد حقًا خلاص الجميع من دون استثناء. لانه نظرًا الى احدهما القديس اوغوسطينوس. فمما عتيدون ان نورده من اقواله يبان واضحًا. ان هذا هو رايه الخصوصى. ولذلك القديس بروسباروس يرذل كامر ظالم لشان القديس اغوسطينوس. ذاك الشى الذى نسبه البعض اليه. وهو انه مرة ما كان هو يرتاى بان الله لا يريد بارادة حقيقية خلاص الكل. اى جميع البشر بافرادهم. ولذلك القديس بروسباروس التلميذ الامين للمذكور قد كتب قايلًا: انه يُعتقَد باستقامة وبروح صادق. بان الله يريد الجميع ان يخلصوا. تبعًا لقول الرسول (الذى هذه هى حكومته) الواضح من وصيته بالصلوة لاجل الكل: فهذا البرهان المورد من القديس بروسباروس هو واضح يقينى. على ان الانا المصطفى. قبل كلماته المذكورة قد كتب هكذا لتلميذه تيموثاوس قايلًا: اسالك قبل كل شىء ان تعمل طلبات. صلوات. تضرعات. شكريات. من اجل الناس

كلهم . . . . لان هذا هو جيد ومقبول امام الاله مخلصنا . المريد جميع الناس ان يخلصوا : فاذًا قد اراد الرسول ان يُصلّى من اجل الناس كلهم . لاجل ان الله يريد الجميع ان يخلصوا . بل ان القديس يوحنا فم الذهب ايضًا قد استند على هذا البرهان قايلًا : ان كان الله يريد جميع الناس ان يخلصوا . فباستحقاقٍ يلزم ان نصلى من اجل الناس كلهم . ومن حيث انه تعالى يشاء خلاص الجميع . فانت ياهذا طابق ارادتك مع ارادته : ثم اذا اتفق ان يوجد فيما بين تاليفات القديس اوغوسطينوس بعض كلمات . فى مجادلاته ضد البيلاجيين المتوسطين . تشير الى ان تفسير النص الرسولى المذكور هو بمعنى مختلف . اى ان الله لا يريد ان يخلص كلّ من البشر بمفرده . بل البعض فقط منهم . فالعلّامة باطافيوس حسنًا يفتكر . بانه فى كلمات القديس المومى اليها لم يقصد هو شيًا مخصوصًا معينًا منه . بل قالها استطرادًا . او انه قصد بها نعمة ارادة الله المطلقة الفعالة المنتصرة . التى بها يريد الله مطلقًا البعض ان يخلصوا . اذ انه يقول هناك هذا القديس : ان ارادة

ارادة الله القادرة على كل شئ هى دايمًا غير مغلوبة : ❋
ثم فلنسمعنَّ كيف ان القديس توما اللاهوتي يورد على نوعٍ اخر . معنى كلمات القديس اوغوسطينوس المشار اليها انفًا . مع كلمات القديس يوحنا الدمشقى التى بها يوضح رايه . فى ان الله بارادته المتقدمة يريد جميع البشر . وكل واحد منهم بمفرده ان يخلصوا كافةً . اذ يقول : ان الله بارادة سابقة اراد جميع الناس ان يخلصوا . لكى يجعلنا ان نشترك بخيريته بحسبما هو صالحٌ . واما ارادته فى ان يعاقب الخطاة . فانما هى بحسب كونه عادلاً : والحال ان كلمات القديس اوغوسطينوس المذكورة قبلاً يبان انها ليست كذلك . اما القديس توما فيوفق الرايين الى واحد ويقول . ان القديس يوحنا الدمشقى قد تكلم عن ارادة الله المتقدمة . وبهذه الارادة حقًا اراد تعالى خلاص الناس اجمعين . واما القديس اوغوسطينوس . فتكلم عن ارادة الله التابعة . ثم انه اى هذا المعلم المليكى يشرح ما هى ارادته عز وجل المتقدمة . وما هى ارادته التابعة قايلاً : ان الله بارادة متقدمة على كل شئ قد اراد جميع الناس أن يخلصوا . ولكن اذ تامل

سبحانه ظروف كل شخص منهم بمفرده جميعها .
ثم يرُ حسنًا انهم كلهم يخلصون . لانه امرٌ حسن
هو ان يخلص ذاك الذى يستعد للخلاص ويهتم
ساعيًا نحوه . لا ذاك الذى لا يريد ولا يسعى
بل يصرّ على عمل الاثم . . . فعن هذه الارادة
يقال انها ارادة تابعة مفترضة فيه تعالى .
لسابق علمه بالاعمال . وهذه ليست هى علة
لارادته . بل هى على نوعٍ ما برهانها : ❊
فاذًا القديس توما هو من اصحاب الراى عينه
المقول به . ان الله يريد خلاص جميع الناس كلٌ
منهم بمفرده . ويثبت ذلك من اقواله المورودة فى
امكنه مختلفة من تاليفاته . لانه فى تكلمه عن
قوله تعالى : ان الذى يقبل الىَّ لا اخرجه خارجًا :
فاذ يستخدم هو برهان الذهبى الفم . يجعل فادينا
متكلمًا هكذا : فاذًا انا انما تجسدت متانسًا من
اجل خلاص البشر . فكيف يليق بى ان اطردهم .
وقد قلت ان الذى ياتي الىَّ لا اخرجه خارجًا .
لانى نزلت من السما لاعمل مشية الاب الذى يريد
جميع الناس ان يخلصوا : وقال فى محل اخر : ان
الله بارادته الكلية السخا قد اعطى النعمة للكل
تاهبًا

تائبًا . لانه يريد جميع الناسَ ان يخلصوا ولهذا نعمة الله لم تنقص عن احد . بل نظراً اليها تشرك هى الجميع بمفعولها : ولكنه بنوع خصوصى يوضح حقيقة رايه المذكور فى تفسيره النص الرسولى عينه المقدم ذكرهُ قايلاً : ان خلاص البشر اذا اعتُبر فى الله بحسبما هو فى ذاته . يوجد له سببٌ واجب بان الله يريده . وهذه هى الارادة المتقدمة فيه تعالى . واما اذ يُعتبَر ما يخص صلاح العدل . وعقاب الذنوب . فلا يريد هو خلاص الكل . وهذه هى ارادتهُ التابعة : فمن هنا يظهر ان القديس توما . هو ثابت على ايضاح ماذا يفهم هو بالارادة المتقدمة . واى شىء يعنى بالارادة التابعة . لانه ههنا قد اثبت ما قاله هو فى محل اخر كما ذكرنا انفًا . وقد اضاف الى ذلك هذا الشى فقط . وهو مثل التاجر الذى يريد بارادة متقدمة خلاص بضايعه كلها . ولكن بعد حدوث هيجان البحر بالعواصف . لم يعد هو يريد خلاص بضايع متجره . بل يسمح بطرحها فى البحر لاجل خلاص حياته . فعلى هذى الصورة اذ يلاحظ الله ماثم بعض البشر انما يريد عقابهم لصلاح عدله . وبالتالى لا يريد

خلاصهم . ولكن قبلاً فبارادة متقدمة حقيقية نظرًا الى ذاتها اراد خلاص الجميع . فاذًا كما كتب هذا القديس فى مكان اخر . ان ارادة الله فى خلاص الجميع هى مطلقة نظرًا الى ذاتها . وهى شرطية نظرًا الى الموضوع المراد فقط . اى ان كان الانسان يريد ان يسعى بموجب ما يقتضيه الترتيب المستقيم . لكى ينال الخلاص . لانه يقول : ان النقص ليس هو من قبل الارادة الالهية . بل من قبل الموضوع المراد . الذى لا يُقبَل بموجب كل الظروف المقتضية للترتيب المستقيم فى نوال الخلاص: ثم انه فى المباحثة التاسعة عشرة يوضح من جديد باكثر تمييز . ماذا يُفهَم بالارادة الالهية المتقدمة . وماذا تعنيه الارادة التابعة قايلاً : انه كما ان القاعى يريد بارادة متقدمة ان البشر كلهم يعيشون . ثم بارادة تابعة يريد ان يستثنى من الحيوة القاتلين . فهكذا الله بارادة متقدمة يريد جميع الناس ان يخلصوا . وبارادة تابعة يريد ان يهلك البعض حسبما يقتضى عدله : ❋

فانا لا اقصد هنا ان اشجب راى اوليك الذين يعلمون بالانتخاب السابق الى المجد . قبل النظر الى الاستحقاقات .

الاستحقاقات . ولكننى اقول هذا الشى فقط . وهو اني لا اقدر ان افهم كيف ان اوليك الذين يقولون. ان الله من دون اعتبار الاستحقاقات قد اختار البعض للحيوة الابدية . ونفى من المجد السماوى الاخرين . يقدرون ان يقتنعوا بان الله يريد خلاص الكل . هذا ان كانوا لا يريدون ان يفهموا. ان ارادة الله هذه هى رمزية استعارية . او مجازية . اى اني اقول لا اعلم كيف انهم يستطيعون ان يقولوا . ان الله يريد خلاص الكل . وان البشر اجمعين يشتركون بالمجد الابدى . فى الوقت الذى فيه قد نفى الله اكثر الناس من هذا المجد . من دون ان يلاحظ افعالهم . وقبل ان ينظر الى اعمالهم الاتية . فيقول العلامة باطافيوس فى محاماته عن رايه المضاد لراى هولا هكذا : ترى ما المنفعة. وما هى الفايدة من ان الله قد اعطى البشر كلهم اشتها الغبطة الابدية . والارتياح اليها . فى الوقت الذى فيه هو سابقًا . ومن دون ملاحظة لعدم استحقاقاتهم . قد نفى من الحصول على هذه الغبطة اكثرهم . ثم ماذا لكانت الافادة من مجى سيدنا يسوع المسيح الى العالم ليخلص الجميع بموته عنهم . لو

كان قبلاً قد اعدم الله من نوال الخلاص عدداً عظيمًا من البشر المساكين . لانه ترى ما الغاية من انه تعالى يعطيهم الوسايط . ان كانوا سابقًا قد نُفوا من البلوغ الى الغاية : ثم بعد هذا يضيف باطافيوس عينهُ هذه الملاحظة التى هى ذات اعتبارٍ عظيم قايلاً : انه لو كان الامر حقًا حدث على هذى الصورة . لكان يلزمنا ان نقول . ان ذاك الاله الذى يحب الاشيا كلها المخلوقة منه . فاذ خلق الانام بعد صنيعه البرايا الاخر . ما كان يحبهم كلهم . بل كان يبغض الاكثرين منهم بغضًا كليًا . بنفيه اياهم من مجده . وباعدامهم الحيوة الابدية التى قد كان هو خلقهم لاجلها : على انه لامرٌ اكيد هو ان سعادة الخليقة هى قايمة فى انها تبلغ الى الغاية التى من اجلها هى خُلقت . وهكذا امرٌ لا يجامره ريبٌ هو . ان الله قد خلق البشر لاجل الحيوة الابدية . والحال لو كان الله قد خلق البعض من البشر لاجل الحيوة الموبئة . وبعد ذلك من دون ملاحظة خطاياهم قد اعدمهم اياها . لكان تعالى فى ابداعه اياهم قد بغضهم مجانًا بغضًا فايق كل الحدود . بصنيعه معهم ضررًا لا يمكن ان يتصور العقل

العقل اعظم منه . وهو نفيهم من البلوغ الى الغاية التى خُلقوا لاجلها . وهى المجد الابدى : فهنا باطافيوس لا يعنى بالضرر الاعظم المومى اليه الهلاك الابدى الذى يحدد الله البعض ليرسلهم اليه . بل بقصد النفى من المجد السماوى . على انه يقول المعلم ترتوليانوس : ترى ماذا لكان يفيدنا كون ان الله ما خلقنا ليرسلنا الى جهنم . لو كان حين خلقنه ايانا قد نفانا من عدد المختارين للمجد . لان الانفصال عن المنتخبين . يتضمن بتاكيد خسران الخلاص الابدى . والحصول على الهلاك . اذ انه فيما بين هذا وذاك لا يوجد حدٌ متوسط : ثم ان باطافيوس يختتم كلامهُ بقوله : ان كان الله اذًا يحب البشر كلهم . كما ان ذلك هو امرٌ حقيقى . فيلزمنا ان نيقن بانه يريد ان جميعهم يخلصون . وانه لم يرد عزَّ وجلَّ ان يبغض احدًا بغضًا هذا حدهُ . حتى انه صنع مغه هذا الضرر العظيم بنفيه اياه مطلقًا من الحيوة الابدية . خلوًا من ان يلاحظ عدم استحقاقاته :

فاذًا انا اكرر قولى بانى لا اعلم كيف يمكن توفيق ذلك . لانه نظرًا الى باقى ما يخص قضية

الانتخاب والرذل. فهذا كله هو شيء لا يُدرَك منا. بل انه قد اوجب في الرسول الالهي عينه ان يقول هاتفًا: يالعمق ثروة حكمة الله ومعرفته. يالاحكامه الغير المُدرَكة وسبله الغير المفحوصة. لان من ذا عرف فكر الرب ام من صار مشيرًا عليه: (روميه ص ١١ ع ٣٣) فيلزمنا ان نخضع لمشية الله الذي اراد ان يترك هذا الشيء الغامض السري مظلمًا في كنيسته. حتى اننا جميعًا نواضع ذواتنا تحت احكام عنايته الالهية العالية على طور عقولنا. لاسيما لان النعمة الالهية التي بواسطتها فقط يمكن للبشر ان يكتسبوا الحيوة الابدية. فهذه خلوًا من ارتياب تتنوزع من الله اكثر او اقل مجانًا محضًا. ومن دون ادنى ملاحظة لعدم استحقاقنا. فمن ثَمَّ لاجل نوال الخلاص دايمًا ضروري هو ان نسطرح ذواتنا بين يدي الرحمة الالهية. لكي يساعدنا الله بنعمته على ربح الخلاص. اذ نثق بدالة وننترجى بثبات. مفعول مواعيده الالهية الصادقة. بأن يستجيب لنا ينتضرع اليه بالصلوة. ويهبه الحيوة الابدية ✻

فلنعودن الان الى موضوع هذا الجزء. وهو ان الله بارادة صادقة يريد جميع الناس ان يخلصوا. ملاحظين

ملاحظين ما هى نصوص الكتاب المقدس الاخر التى تؤيد هذه القضية . فيوجد عندنا ثانيًا قوله تعالى بفم نبيه حزقيال (ص ٣٣ ع ١١) : حى انا يقول الرب الاله لست اريد موت المنافق . بل ان يتوب المنافق فيعيش : فهوذا الله يعلن ليس فقط انه لا يريد موت الخاطى . بل ايضًا يريد ان يحيى . حتى انه جلت رحمته يحلف على حقيقة ذلك بقوله : حى انا : لكى يصيّر حقيقة ارادته هذه باكثر سهولة مصدقةً . كما يقول المعلم ترتوليانوس : ان الرب حلف اذ قال : حى انا : ليُعتقد جدًا على كلامه : ✻

ثالثًا قال المرتل عن الله : ان سخطًا فى غضبه وحيوةً فى رضاه : (مزمور ٢٩ ع ٥) لانه ان كان تعالى يعاقبنا . فانما يفعل ذلك لاجل ان خطايانا تحركه الى الغضب علينا . ولكن نظرًا الى ارادته فهو لا يريد موتنا . لان حيوةً فى رضاه . فالقديس باسيليوس الكبير اذ يفسر هذه الكلمات الداودية يقول : ان حيوةً فى رضاه . فاذًا اى شىء يريد ان يقول . فانما يعنى ان الله يريد ان الجميع يكونون احيا مشتركين بحياته : بل ان المرتل عينه يقول

: ليسهل الله لنا خلاصنا . الهنا اله السلام . وللرب للرب مخارج الموت : (مزمور ٦٧ ع ٢٠) فالكردينال بالارمينوس يفسر هذا النص قايلاً : ان هذه هى خصوصية الله الموجودة فيه طبيعيًا . وهى ان الهنا هو اله مخلص . وله مخارج الموت . اى انه ينقذ من الموت : فاذًا انها لصفةٌ خاصة بالله ان يخلص الجميع . وينقذهم كافةً من الموت الابدى ❁ .

رابعًا قد قال الرب : تعالوا الىَّ ياجميع المتعوبين والثقيلى الحمل وانا اريحكم : (متى ص ١١ ع ٢٨) فان كان الله يدعو الجميع الى الخلاص . فلا ريب فى انه حقًا يريد خلاص الكل . كما يوكد لنا ذلك هامة الرسل بقوله : ان الرب يتمهل علينا . غير مريد ان يهلك احدٌ . بل يوثر الكل ان يقبلوا الى التوبة : (بطرس ثانية ص ٣ ع ٩) فاذًا الله لا يريد هلاك احد . لكنه يروم حقًا ان الجميع يرجعون اليه تايبين . وبواسطة التوبة يخلصون ❁

خامسًا قال الله : هوذا انا قايم على الباب وادق . فان كان احدٌ يسمع صوتي . ويفتح لى الباب . فانا ادخل اليه : (ابوكاليبسى ص ٣ ع ٢٠) : ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الردية . ولماذا تموتون يابيت

اسرائيل

اسرائيل : (حزقيال ص ٣٣ ع ١١) : ماذا وجب ان اعمل بكرمى ولم اعمله : (اشعيا ص ٥ ع ٤) : ياورشليم ياورشليم . . كم من مرة اردت ان اجمع بنيك . كما تجمع الدجاجة افراخها تحت جناحيها ولم تريدوا : (متى ص ٢٣ ع ٣٧) فاذًا كيف لكان بقدر السرب ان يقول . انه هو قايم يقرع على ابواب قلوبنا نحن الخطاة . وكيف لكان يمكنه ان يحرضنا بهذا المقدار على الرجوع الى بين يديه . ثم كيف لكان يستطيع ان يوبخنا بقوله . انه ماذا كان يجب ان يعمله لاجل خلاصنا ولم يعمله . واخيراً كيف لكان ممكنًا له ان يقول . انه اراد ان يجمعنا نظير اولاده . لولا تكون له ارادة حقيقية فى ان يخلص الجميع . ثم ان الابلغ من ذلك هو ما اخبرنا عنه القديس لوقا (ص ١٩ ع ٤١م) ان مخلصنا لما قرب من مدينة اورشليم بكى عليها . عند تامله خرابها المسبب عن الخطية . فيقول ثاوفيلكطوس جملةً مع الذهبى الفم : ترى لماذا بكى مخلصنا حينيذ على دثار العبرانيين . الا لانه حقًا كان يريد خلاصهم : فاذًا كيف من بعد ايضاحات هكذا عديدة وجلية اعلنها لنا الرب . وبها اشهر انه يريد خلاص

الجميع . يمكن القول ان الله لا يريد خلاص الكل . فمن ثَمَّ يقول العلّامة باطافيوس : انه نظرًا الى نصوص الكتاب المقدس المذكورة . التى يعلن الله بواسطتها ارادتهُ هذه . باحكام هكذا واضحة ومتكررة منه مرات عديدة . حتى بالدموع والقَسَم . فلو كان جايزًا تحريفها وانقلاب فحواها الى معنى اخر . كانَّ البارى تعالى قد حدد حكم الهلاك على الجنس البشرى جميعه (الا القليلين) ولم تكن له ارادة قط فى خلاص الكل . فاية قضية فى مواد الايمان بهذا المقدار واضحة . لغاد يمكنها ان توجد ناجيةً من اهانة افترايةٍ ومحاولة خبيثة مثل هذى : فالقول اذًا ان الله لا يريد بالحقيقة خلاص الجميع هو حسب راى هذا المعلم العظيم . قول افترابى ومحاولة اثيمة ضد احكام الايمان الاكثر وضوحًا . اما الكردينال سفودراتى فيضيف الى ذلك كلامهُ قايلًا : انه يظهر لى . ان اوليك الذين يرتاون الخلاف . فانما يبرقعون صورة الاله الحقيقى . جاعلينهُ بصورة اله وهمى كفى خيال الازار . بالنوع الذى به تتشكل الأشخاص فى خيال الازار بشكل ملاطين . فى الوقت الذى هم فيه ليسوا كذلك اصلًا .

ثم ان هذه الحقيقة . اى ان الله يشاء الكل ان يخلصوا . قد تثبتت برأى عام من الاباء القديسين . فلا احد يرتاب فى ان جميع الاباء الروم قد اتفقوا كافةً على هذا التعليم . وهو ان الله يريد خلاص الكل اجمالاً . وكل واحد من البشر افراداً . وهولا الاباء هم القديسون يوستينوس . وباسيليوس الكبير . وغريغوريوس الثاولوغوس . وكيرللس . ومتوديوس . ويوحنا فم الذهب . حيث توجد اقوالهم فى هذا الشان مجموعةً من العلامة باطافيوس . فلنسمعنَّ الان ما قالتهُ فى هذا الموضوع الاباء اللاتينيون ايضًا . فقد كتب القديس ايرونيموس قايلاً : ان الله يريد خلاص جميع الناس . ومن حيث انه لا يمكن لاحد ان يخلص خلوًا من ارادته هو الانسانية الخصوصية . قد شاء الرب اننا نريد الصلاح . وعندما نحن نريده فالله معنا يشاه ويلهمنا اليه : وقال فى محلٍ اخر : ان الله قد اراد خلاصنا على هذى الصورة بمشيتنا . وهو يحرضنا على ان نريد الخلاص . لكى تحصل ارادتنا على المكافاة بالثواب : ثم كتب القديس ايلاريوس بقوله : ان الرب يشاء خلاص كل احد

من البشر. ليس فقط اوليك المختصين بعدد القديسين . بل الجميع بوجه العموم والخصوص من دون استثناء احد : وقال القديس باولينوس : ان المسيح يقول للجميع . تعالوا الى الخ . لانه نظرًا الى ذاته . فكما انه تعالى خلق الناس اجمعين . هكذا يريد الناس كلهم ان يخلصوا : اما القديس امبروسيوس فيقول : انه سبحانه قد الزم ذاتهُ بان يعلن ارادتهُ بخصوص الائمة ايضًا . ولهذا ما كان ينبغى له ان يهمل (بهوذا) خائنهُ . حتى بانتخابه ذاك الذى كان مزمعًا ان يسلمه . يفهم الجميع انه كان هو مستعدًا لان يخلص الكل . . . فاذ اذًا قد اظهر للجميع ارادته فى خلاصهم كافةً : واما مصنف المولف الملقب بتفاسير القديس امبروسيوس (ويُظَن به انه هو الدياكونوس ايلاريوس . كما يقول باطافيوس) فهذا فى تكلمه عن النص الرسولى. وهو ان الله يريد جميع الناس ان يخلصوا . يسال هو كمعترض بقوله : انه ان كان الله يريد خلاص الكل. وارادته الالهية هى قادرة على كل شىء . فلماذا كثيرون يهلكون . ولا يفوزون بالخلاص : ثم انه هو نفسهُ يعطى

يعطى الجواب عن ذلك قايلاً . انه تعالى يريد الكل ان يخلصوا . اذا كانوا هم ايضًا يريدون . ولكن ولا واحد من البشر قد استثناه الله من المجد الابدى. ويعطى النعمة للجميع لاجل الخلاص . الا انه عزَّ وجلَّ يعطى نعمته شرطيًا . اى تحت شرط ان كنا نحن نسعى معها . لان نعمته الالهية لا تفيد ذاك الذى يرفضها . وهكذا القديس الذهبى فمهُ ايضًا يسال قايلاً : لماذا لا يخلص الناس كلهم . مع ان الله يريد خلاص الجميع : وهو يجيب عن هذا بقوله: لانه ليس جميعهم يريدون ان يتبعوا مشيته . لانه جلت عدالته لا يغتصب هو ارادة احد : وقال القديس اوغوسطينوس : ان ارادة الله هى ان جميع الناس يخلصون . ولكن ليس بنوع ان يسلب هو عنهم حرية مشيتهم المطلقة : وهذا عينه بقوله القديس المذكور فى امكنة كثيرة ياتى ذكر بعضها بعد قليل ✠

واما نظرًا الى القول ان يسوع المسيح قد مات من اجل الناس كلهم . ومن اجل كل واحد منهم . فهذا هو شئ واضح من نصوص الكتاب المقدس . ومن اقوال الاباء القديسين . على ان الدثار الذى

سببته للجنس البشرى باسره خطية ادم هو عظيم جدًا. غير ان يسوع المسيح بنعمة سر الفداء. قد اصلح جميع الاضرار التى جلبتها لنا هذه الخطية الجدية. ولذلك قد اوضح لنا المجمع التريدنتينى سمو تنقية النفس بالمعمودية. وعدم ضررها من الم الشهوة الباقى فيها. بل ان هذا يورثها اكليلًا من المجد السماوى اذ يقول هكذا: لان الله لا يبغض شيًا فى الذين قد تجددوا بحميم الميلاد الثاني المقدس.. لانهم يصيرون ابرارًا اطهارًا انقيا خالين من العيب. وبريين من الدنس محبوبين من الله تعالى.. ولكن هذا المجمع المقدس يعترف مرتابًا بانه فى المعمدين تبقى الام الشهوة. او اخرتها التى اذ تبقى لاجل المحاربة. فليس فقط لا يمكنها ان تصنع ضررًا لاوليك الذين لا يرتضون بها. بل ايضًا ان ذاك الذى يحارب مجاهدًا حسب السنة ينال الاكليل: (جلسة ٥ فى المرسوم المختص بالخطية الاصلية) حتى ان القديس لاون الكبير يقول: ان الخير الذى حصل لنا من نعمة يسوع المسيح. هو اعظم جدًا جدًا من الضرر الذى سببه حسد الشيطان للطبيعة الانسانية: وهذا قد اعلنه حسنًا الرسول

الرسول الالهى بقوله : ان الهفوة ليست هكذا نظير الموهبة . لانه ان يكن الاكثرون قد ماتوا بهفوة واحد . فكم بالحرى نعمة الله وموهبته ان تفضل كثيرًا بالنعمة التى للانسان الواحد يسوع المسيح . . وقد تزايدت النعمة فضلاً : (رومية ص ٥ ع ١٥ ع ٢٠) بل ان مخلصنا عينهُ قد اوضح ذلك قايلاً : اما انا فانما اتيت لكيما تكون لهم الحيوة ويكون لهم افضل : (يوحنا ص ١٠ ع ١٠) وقد كان المرتل قبلاً سبق بقوله : لان من الرب النجاة الكثيرة : (مزمور ١٢٩ ع ٧) وقال الله بفم نبيه اشعيا (ص ٤٠ ع ١) : عزوا شعبى عزوه الله يقول. ايها الكهنة تكلموا فى قلب اورشليم وعزوها. لانه قد كمل تواضعها . وقد انحلت خطيتها . لانها قد تسلمت خطاياها من يد الرب مضعفةً : ففى تفسير هذى الكلمات يوجد مدونًا عند كورنيليوس الحبرى هكذا : انه على هذه الصورة قد حل الله المالم فى كنيسته لاجل المسيح . وغفرها مضعفةً (اى كثّر فيها الخيرات والمواهب) مسلمًا اياها عوضًا عن العقاب ما هو اعظم خيرًا من الضرر الذى حدث لها من قبل الخطية : ❋

فاذًا كما سبق القول ان المسيح مخلصنا قد مات عن الكل . وانه قدم لله ابيه اعمال الفدا عن كل واحد من البشر بمفرده. وهذا توكده لنا نصوص الكتاب المقدس . لان الله يقول : انما جاء ابن الانسان ليخلص الهالك : (متى ص ١٨ ع ١١) : هذا الذى بذل نفسه فداءً عن جميع الناس : (تيموثاوس اولى ص ٢ ع ٦) : وانما مات المسيح عن الكل . لتعيش الاحيا لا لانفسهم ايضًا . بل لمن مات عنهم وقام : (قرنتيه ثانية ص ٥ ع ١٥) : اننا لهذا نتعب ونُعيَّر. لاننا توكلنا على الاله الحى الذى هو مخلص الناس كافةً. لاسيما المومنين : (تيموثاوس اولى ص ٤ ع ١٠) : وهو اغتفارٌ من اجل خطايانا . وليس من اجل خطايانا فقط . بل ومن اجل العالم اجمع : (يوحنا اولى ص ٢ ع ٢) : لان محبة المسيح تمسكنا اذ نحكم بهذا . بانه ان كان واحدٌ مات عن الكل . فالكل اذًا قد ماتوا : (قرنتيه ثانيه ص ٥ ع ١٤) فانا اذ اتكلم عن هذا النص الرسولى الاخير فقط. اسال مستفهمًا كيف ان الاناء المصطفى من البرهان الذى هو يستند عليه . وهو ان المسيح قد مات عن الكل . يمكنه

ان

ان يستنتج ان الكل اذًا قد ماتوا . الَّا لاجل ان هذا الرسول كان متحققًا بتاكيد . ان يسوع المسيح بالحقيقة قد مات عن جميع الناس * وهذا يتضح بابلغ بيان من قبيل ان الرسول نفسه من البرهان المذكور عينه . يستنتج عظم الحب الذى تضرمه فى قلوبنا نحو يسوع المسيح هذه الحقيقة . اى كونه تعالى مات عن جميعنا * ولكن الشى الاعظم من هذا كله . الذى يفسر كم هو الشوق والارادة الحقيقة فى الله نحو خلاص كل البشر . يظهر جليًا جدًا مما كتبه رسول الامم المذكور الى اهل روميه (ص ٨ ع ٣٢) قايلًا : ان الله الذى ما شفق على ابنه بل اسلمه من اجلنا كلنا . فكيف لا يهب لنا معه كل شى : فلا ريبَ فى ان الكلمات الاخيرة من هذا النص : اى فكيف لا يهب لنا معه كل شى : تعطى قوةً اشد لصحة ما نحن فى صدده . لانه ان كان الله قد وهبنا كل شى . فكيف يمكننا ان نخاف من انه تعالى يكون انكر علينا الانتخاب الى المجد . بشرط مساعدتنا نحن فى عمل خلاصنا * ومن ثَمَّ العلامة الكرديناال سفودراتي . اذ يتكلم عن النص الرسولى المذكور

يقول هكذا : ان هذا النص يرشدنا الى ان الله لا ينكر ان يصنع معنا الشى الاقل . بعد صنيعه اكيدًا فى خيرنا الشى الاعظم . اى انه عزَّ وجلَّ لا ينكر علينا نعمة الخلاص . بعد ان اعطانا ابنه نفسه مخلصًا : وبالحقيقة كيف لكان القديس بولس يستطيع ان يقول . ان الله اذ وهبنا ابنه قد وهبنا معه كل شئ . لو كان هو يصدّق ان الرب قد نفى كثيرين من ميراث الحيوة الابدية . التى هى الخير الوحيد والغاية الوحيدة . التى من اجلها هو خلقنا . افهل انه تعالى قد وهب اذًا هولاء الكثيرين كل شى . وبعد ذلك قد نكر عليهم الشى الافضل الذى هو الملكوت السماوى . الذى من دونه (لانه لا يوجد حدٌ اوسط) لا يمكنهم ان يكونوا الا تعيسين الى الابد . هذا اذا لم نرد ان نقول شيًا اخر عديم اللياقة باقوى حجة (حسبما يلاحظ ذلك معلم اخر شهير) اى ان الله يعطى النعمة للجميع لكى يكتسبوا لذواتهم المجد الابدى . ولكنه بعد هذا ينكر عليهم الدخول اليه . وبالتالى يهبهم الواسطة ولكنه ينفيهم من البلوغ الى الغاية ❋

وماعدا

وماعدا ذلك ان الاباء القديسين اجمعين يتفقون برأى عام . على ان يسوع المسيح قد مات لكى يكتسب الخلاص الابدى لجميع الناس . فقال القديس ايرونيموس : ان المسيح قد مات بدلاً من الكل وعن الجميع . فوجد هو وحده الذى يقدم ضحيةً من اجل كل اوليك الموتى بالخطية : وقال القديس امبروسيوس : ان المسيح قد جاء لكى يعالج اسقامنا . ومن حيث انه لم ترد الناس اجمعون ان يقبلوا الادوية . . . فلهذا الذين ارادوا . قد عالجهم : وقال فى محل اخر : ان الرب قد هيأ العدة للجميع . حتى ان كل من يموت هالكاً . فانما يموت بالعلة التى هو سببها لذاته . لانه يكون هو اهمل علاج نفسه . مع ان الدواء الشافى هو فى يده . فليُنذر اذاً بمراحم المسيح المعلنة لكل احد . لانه سبحانه يريد الكل ان يخلصوا : وقال ايضاً فى مكان اخر : ان المسيح لم يدوّن وصيته الاخيرة لوريث واحد . ولا لورثة قليلين . بل انه كتب الجميع ورثاه . فلهذا وُجدت وصيته الاخيرة عمومية مشاعةً . وحق الميراث هو لكل احد . والوراثة هى عامة للجميع . وهى ثابتة اكيدة لكل

واحد منهم : فلاحظ ايها القارى كلمات هذا القديس التى بها يقول . ان المسيح كتب الجميع ورثاه . فاذًا مخلصنا قد اقام البشر اجمعين ورثة ملكوته السماوى . وقال القديس لاون الكبير: انه كما ان المسيح لم يجد احدًا ناجيًا من الخطية . فهكذا هو جاء الى العالم لكى يخلص الجميع : اما القديس اوغوسطينوس . فاذ يفسر كلمات الانجيل المدونة من البشير يوحنا (ص ٣ ع ١٧) وهى : ان الله لم يرسل ابنهُ الى العالم ليهلك به العالم . بل ليخلص به العالم : يقول هو هكذا : فاذًا نظرًا الى ما هو مختص بالطبيب . فانما ياتى ليشفى العليل : فلنُلاحظ كلماته المذكورة . وهى : نظرًا الى ما هو مختص بالطبيب: فاذًا الله نظرًا الى ذاته يريد بارادة فاعلة خلاص الجميع . ولكن لا يمكنه تعالى ان يشفى من لا يريد الشفاء (كما يضيف القديس المذكور هذه الكلمات الى قوله السابق) : فالله يشفى شفاءً مطلقًا . غير انه لا يشفى من لا يروم الشفاء . لانه ترى من هو طوباوى اكثر منك باهذا . اذ انه كما ان الحيوة هى فى يدك . فكذلك يوجد فى يدك الشفاء : فاذًا اذ يقول هذا القديس

القديس: ان الله يشفى: انما يتكلم عن الخطاة المسقومين الذين لا استطاعة لهم على ان يشفوا انفسهم بذواتهم. اما قوله: شفاء مطلقًا: فيوضح انه من قبل الله. لا يوجد مانع مطلقًا عن شفاء الخطاة وخلاصهم. واما كلماته الاخيرة اى: كما ان الحيوة هى فى يدك. كذلك يوجد فى يدك الشفاء فتشير الى ان الله بارادة حقيقية يريد من قبله خلاص الجميع. والا لما كان فى يدنا ان نكتسب لذواتنا الشفاء والحيوة الابدية. وقال هو فى محل اخر: ان ذاك الذى افتدانا بثمن هكذا عظيم لا يريد هلاكنا. لانه ما اكتسب لذاته اناسًا لكى يهلكهم. بل انما امتلك لنفسه الذين هو يريدهم احيا. وبالتالى قد فدانا كلنا ليخلصنا اجمعين: ثم ان هذا القديس يشجع الناس كافةً على الرجا فى نوالهم السعادة الابدية. بتلك الحكومة الشايعة الصيت التى بها يقول هو هكذا: قوم ايها الانسان فيك ضعف الطبيعة الانسانية. ولا تقل انى لست طوباويًا . . . لانه اكثر مما فعل المسيح. واعظم مما وعد به ترى ماذا يكون. فما الذى صنعه تقدس اسمه. انه قد مات من

اجلك . وما الذى وعدك به . انه وعدك بان تحيى معه موبدًا : ❋
فقد وُجد البعض الذين ارادوا ان يقولوا . ان يسوع المسيح قد سفك دمه من اجل خلاص الجميع. لكى يكتسب لهم النعمة . لا الخلاص . غير ان اللاهوتى باطروكورانسه اذ يتكلم ضد هولا . لانه لم يحتمل رايهم . يهتف قايلًا : باله من زعمٍ فاسد . لانه ترى كيف يمكن لحكمة الله ان يخترع لنا الواسطة للخلاص . ولا يريد خلاصنا : واما القديس اوغوسطينوس . فاذ يتكلم ضد العبرانيين يقول لهوهم : ان جنب المسيح الذى انتم سببتم فتحه بالحربة . انما طُعن عنكم . وفُتح من اجل خلاصكم: فلو ان المسيح لم يكن بالحقيقة سفك دمه من اجل الجميع . لكان يمكن للعبرانيين ان يجيبوا هذا القديس قايلين . اى نعم اننا نحن فتحنا جنب المسيح . ولكن لم يُفتح هذا الجنب من اجلنا نحن اليهود ❋
ثم ان القديس توما شمس المدارس . كذلك لم يرتب فى حقيقة ان المسيح قد مات من اجل الكل . ومن ثم يستنتج انه عز وجل يريد خلاص الكل قايلًا : ان يسوع

يسوع المسيح هو الوسيط فيما بين الله والبشر. فهو ليس وسيطاً بالبعض منهم فقط. بل هو وسيط فيما بين الله وبين البشر كلهم: وهذه الحقيقة تزيد ثباتاً. كما قلنا سابقاً. من قبل الشجب الذى به تحرمت قضية جانسانيوس الخامسة القايل هو بها: انه لضلال البيلاجيين المتوسطين هو القول ان المسيح قد مات من اجل خلاص البشر كلهم. او انه سفك دمه عنهم اجمعين: فمعنى هذى القضية. تبعاً للقضايا الاخر المحرمة. وحسب مبادى جانسانيوس هو. ان المسيح لم يمت لكى يكتسب للجميع كل النعم الكافية لخلاصهم. بل انه صنع ذلك من اجل المنتخبين فقط. كما يوضح هذا جانسانيوس عينه فى احد الامكنة بقوله: انه لا يوافق مبادى القديس اوغوسطينوس ولا بنوع من الانواع الاعتقاد. بان يسوع المسيح قد مات. او سفك دمه لاجل الغير المومنين الذين يموتون فى ضلالهم خارجاً عن الايمان. او لاجل الابرار الذين لا يدومون فى حال الثبات: فالمعنى الكاتوليكى اذاً. المضاد للقول المذكور هو هذا. اى انه ليس بضلال مختص بالارانقة البيلاجيين المتوسطين. بل

هو امرٌ حقيقي القول ان يسوع المسيح قد مات . ليكتسب النعم لنوال الخلاص الابدى حسب عناية الله الحاضرة . ليس للمختارين فقط . بل لجميع البشر حتى للمرذولين ايضًا ❁

وما عدا ذلك نظرًا الى ان الله من قبله يشا ان يكون الجميع مخلصين . وان المسيح قد مات من اجل خلاص الكل . فتثبت هذه الحقيقة من قبل وصية الرجا المرسومة من الله على الجميع . والبرهان على ذلك هو واضح بذاته . لان الرسول الالهى يسمى الرجا المسيحى . مرسًى حريزًا ثابتًا متينًا بقوله : نحن الذين لجاءنا الى مسك الرجا المنصوب الذى هو لنا كمرسى للنفوس حريز ومتين : (عبرانيين ص ٦ ع ١٨) والحال انه من اين لكان يوجد لنا هذا الرجا الامين الوطيد فى نوال الحيوة الابدية . لولا يكون الله حقًا يريد جميع الناس ان يخلصوا . ومن ثَمَّ يقول العلامة باطروكورانسه : ترى باية ثقة . وباى اتكال لمكن هو للبشر ان يترجوا الرحمة الالهية . لو انه لم يكن اكيدًا ان الله يريد بالحقيقة ان جميع الناس يخلصون . وباى رجاء لكان يقدر الخطاة ان يقدموا ٨٨ المسيح ضحية لينالوا

به الغفران . لو كان غير اكيد ان هذه الضحية قد قُدمت عن جميعهم : ثم ان الكردينال سفوندراتي يقول : انه لو يكون امرًا حقيقيًا ان الله قد انتخب البعض من البشر الى الحيوة الابدية . والبعض قد نفاهم مطلقًا منها . لكان يوجد لنا سببٌ اقوى لان نقطع رجانا من نوال الغبطة الدهرية . اخرى مما نرجوها . لاجل معرفتنا الاكيدة بان المختارين هم اقل عددًا من الهالكين : وماعدا ذلك لولا يكون المسيح مات من اجل خلاص الجميع . فكيف لكان يوجد عندنا اساسٌ واهن فى ان ننال الخلاص باستحقاقات المسيح . من دون اعلان الهى خصوصى . والحال ان القديس اوغسطينوس لم يرتب فى هذى الحقيقة قايلاً : ان رجاى كلهُ وحقيقة ايماني باسره هما موسسان فى دم المسيح الكريم الذى سفكه هو من اجلنا ومن اجل خلاصنا : فاذاً هذا القديس كان يضع رجاه كله فى استحقاقات يسوع المسيح . لان الايمان كان يوكد له ان المسيح قد مات من اجل الكل . غير انه يخصنا ان نتكلم باكثر تدقيق عن هذا الرجا فى الراس الثالث من القسم الثانى الحاضر . عند شرحنا ما يخص الموضوع الاساسى الذى

هو نعمة الصلوة المعطاة من الله للجميع ❁
ولكن بقى علينا ان نرد ههنا الجواب على الاعتراض المختص بالاطفال. الذين بموتهم خلوًا من اقتبال المعمودية. وقبل بلوغهم سن التمييز بعدمون الخلاص الابدى. فيقال فى هذا الاعتراض. انه ان كان الله يريد الجميع ان يخلصوا. فكيف هولا الاطفال يهلكون من دون ذنبٍ خصوصى منهم. اذ انهم معدومون المعونات الالهية للبلوغ الى الحيوة الابدية. فالجواب عن ذلك هو نوعان. وكلٌ منهما هو اكثر عدالةً من الاخر. وها انى اختصرهما بقدر مكنتى. فالجواب الاول هو ان الله بارادته المتقدمة اراد خلاص الكل. ولهذا قد اعطاهم الوسايط الكافية عمومًا لخلاصهم جميعًا. فهذه الوسايط بعض الاحيان لا تبلغ مفعولها. اما من قبل ارادة الاشخاص الخصوصيين الذين لا يريدون ان يستخدموا تلك الواسطات لفايدتهم. واما من قبل ان الناس الاخرين لا يقدرون ان يستخدموها لاجل العلل الثانية (نظير الموت الطبيعى الذى يحدث للاطفال) فى الوقت الذى فيه لا يلتزم الله بان يمنع مجرى هذه العلل الثواني. لانه تعالى قد رتب كل شى

حسب

حسب احكام عنايته العمومية العادلة . وهذا جميعه يُوخذ مما يقوله القديس توما اللاهوتي . فاذًا ان يسوع المسيح قد قدم استحقاقاته من اجل الجميع . ورسم سر المعمودية لخلاص كل البشر . واما استعمال هذه الواسطة الخلاصية نظرًا الى الاطفال الذين يموتون قبل بلوغهم سن التمييز . فليس هو ممنوعًا عنهم بارادة الله المستقيمة . بل بارادة سماحية محضًا . لانه اذ كان عزَّ وجلَّ هو المرتب العام للاشيا كلها . فليس هو ملتزمًا بان يبلبل نظام الكاينات العمومى . لاجل الاشيا التى تحدث على وجه الخصوص ❊

واما الجواب الثاني فهو انه شيٌ هو عدم الحصول على الغبطة الابدية فى السما . وشيٌ اخر هو الهلاك فى جهنم . وليسا هما شيًا واحدًا هو نفسه . لان الغبطة السماوية هى موهبة مجانية بكليتها . ولهذا عدم الحصول عليها ليس هو امرًا عقابيًا . ثم ان الحكومة الموردة فى هذا الشان من المعلم المليكى هى عادلة جدًا بقوله : ان الاطفال الذين يموتون بدون المعمودية قبل بلوغهم سن التمييز . لا يتعذبون لا بعذاب الحس . ولا بعذاب الخسران . فلا

يتعذبون بعذاب الحس . لان هذا العذاب بلابد تعلق قلب الانسان الخاطى بمحبة المخلوقات . والحال انه بالخطية الاصلية فى الاطفال لا يوجد تعلق قلوبهم بالمخلوقات (لانها ليست منهم بذنب خصوصى) فاذًا الخطية الاصلية لا توجب عقاب الحس : لان الخطية الاصلية لا تحتوى على فعل ما من الافعال فى المولودين من ادم . فاصحاب الراى المضاد يعترضون بتعليم القديس اوغوسطينوس . الذى فى بعض امكنة من تاليفاته يشير الى ان هولا الاطفال يتعذبون بعذاب الحس ايضًا . فالجواب هو انه فى موضع اخر يعلن هذا القديس عينه . انه فى هذه القضية قد كان هو مبلبلًا جدًا . حيث يقول هكذا : انى حينما بلغت الى اعطا الراى الاخير بخصوص عذاب الاطفال . صدقنى ايها القارى انى قد وُجدت متبلبلًا لا اعلم اصلًا ماذا اجاوب : وكتب فى موضع اخر قايلًا : انه ليس خارجًا عن الصواب ان يُعطى بخصوص الاطفال حكمٌ متوسط فيما بين العذاب وبين الثواب . بحسبما ان حياتهم هى فى حد اوسط فيما بين الخير وبين الشر : اى يمكن حسنًا ان يقال عن هولا الاطفال . انهم لا ينالون

ينالون المجد السماوى . ولا يتعذبون بعذاب ما .
وهذا الراى يعلّم به واضحًا القديس غريغوريوس النزينزى قايلاً : ان على هولا الاطفال لا يحكم القاضى لا بالعذاب ولا بالدخول الى المجد السماوى : وهذا هو حكم القديس غريغوريوس نيصص ايضًا اذ يقول : ان موت الاطفال فى بداية حياتهم يوضح . انه لا يلتحق بهم عذاب الاحزان والاوجاع المستقبلة : ❋

واما نظراً الى عذاب الخسران . فانه وليُن كانت الاطفال تُنفَى من الدخول الى المجد السماوى . فمع ذلك يعلّم القديس توما اللاهوتي بحسن تمييز وبكل صواب . فى انه لا يحزن احدٌ قط على كونه معدومًا من خير ما لم يكن هو موضوعًا قابلاً لامتلاكه . ومن ثم كما انه ولا واحدٌ من البشر يحزن متوجعًا من قبيل عدم مقدرته على الطيران . او لاجل انه لم يصر ملكاً . مع انه يكون هو من عموم الشعب . فهكذا الاطفال لا يحزنون لحال كونهم معدومين المجد السماوى . الذى هم قط ما حصلوا موضوعًا قابلاً له . منذ خُلقوا الى حين موتهم . وبالتالى ليس لهم حقٌ عليه . ولا ادعاء فيه . لا

من قبل المبادى الطبيعية . ولا من قبل استحقاقاتهم الخصوصية التى لا وجود لها فيهم . ثم يضيف الى ذلك القديس توما نفسهُ برهانًا اخر بقوله . ان معرفة المجد السماوى التى هى معرفة فايقة الطبيعة . ليست هى فى البشر الا من قبل الايمان الحالى فقط . لانها معرفة فايقة سموًا على كل نوع من المعرفة الطبيعية . ولهذا لا يمكن ان يحصل عند الاطفال ولا نوع من انواع الغم . على كونهم خالين من هذى السعادة السماوية . لانهم قط ما حصلوا بخصوصها على معرفةٍ ما فايقة الطبيعة . وبالتالى ان هولا الاطفال ليسَ فقط لا يحزنون اصلًا على كونهم عادمين ان يوجدوا فى المجد الابدى . بل ايضًا يتمتعون بخيراتهم الطبيعيه . ويتنعمون بالله على نوعٍ من الانواع نظرًا لما هو مختص بالمعرفة الطبيعية . وبالحب الغريزى نحوه تعالى . عند ملاحظتهم الطبيعية فيه عظم صلاحه وكمالاته الالهية . بل ان هولا الاطفال ولئن كانوا منفصلين عن الله نظرًا الى الاتحاد المجيد به جلت عظمته . فمع ذلك هم يتحدون به بالاشتراك الطبيعى فى خيراته . وهكذا يمكنهم ان يتنعموا به بمعرفة طبيعية

طبيعية . وبابتهاج ولذة ذاتيه غريزية يسرون بها ❋

الدرس الثانى

فى ان الله بوجه العموم يعطى النعمة الضرورية للابرار كلهم . ليمكنهم ان يحفظوا الوصايا . ويمنح النعمة للخطاة اجمعين فى ان يرجعوا اليه تعالى

❋ تايبين ❋

انهُ ان كان الله يريد الناس كلهم ان يخلصوا . فبالتالى يعطيهم جميعًا النعمة والمعونات الضرورية ليفوزوا بالخلاص . والا لما امكن ان يقال عنه عزَّ وجلَّ انه حقًا يريد خلاص جميع الناس . قال القديس شمس المدارس : ان مفعول ارادة الله المتقدمة . التى بها يريد هو خلاص الكل . انما هى رتبة الطبيعة المتجهة نحو غاية الخلاص . ثم هى الوسايط الطبيعية . والمنعم بها من الله . وهذه كلها قد اعُدت منه تعالى للجميع : فامرٌ حقيقى هو . ضدًا لما جدف به لوتاروس وكلفينوس . ان الله لا يرسم شريعةً لا يستطاع مطلقًا حفظها . وكذلك بالخلاص امرٌ حقيقى ايضًا هو . انه خلوًا

من معونة النعمة لا يستطاع حفظ الشريعة : كما اعلن ذلك البابا اينوشانسيوس الاول قايلًا ضد البيلاجيين : انه ضروري لنا هو كما اننا بمعونة الله ننتصر . كذلك اذا لم يساعدنا تعالى نُغلب : ومثله قد اعلن البابا سيلستينوس . فاذا ان كان الله يعطي الجميع ناموسًا يمكن حفظه . فيعطيهم كافةً بالنتيجة النعمة ايضًا الضرورية لحفظه . اعطاءً اما خلوًا من واسطة . واما بواسطة الصلوة . كما اوضح ذلك جليًا جداً المجمع التريدنتيني (جلسة ٦ راس ١١) قايلًا : ان الله لا يامر بشيء لا يمكن حفظه . ولكنه تعالى اذ يامرك بهذا . انما ينبهك على ان تصنع ما تقدر عليه . وان تطلب منه ما لا تستطيع صنيعه . وهو يساعدك على ان تقدر : والا . فان كان الله ينكر علينا النعمة قريبةً كانت او بعيدة لاجل حفظ الناموس . فحينيذ اما ان يكون الناموس رُسم باطلًا . واما انه تكون الخطية ضروريةً . وان كانت هي كذلك فليست بخطية . كما مزمعون نحن ان نوضح هذا باسهاب فيما ياتي ذكره ❋

فهذا هو راي ابا الكنيسة اجمعين . حسبما نرى من

من اقوالهم. فالقديس كيرلس الاسكندري يقول: كيف يمكن ان يشكو من يسوع المسيح. ذاك الخاطئ الذي نال منه معونة النعمة بنوع متساو للاخرين الذين وُجدوا امنا. وهو اراد اختيارياً ان يخطئ. مع انه تعالى يكون نظرًا الى ذاته قد خلصه بقوة الوسايط والمعونة التي وهبه اياها: اما القديس يوحنا فم الذهب. فيسال قايلاً: كيف ان البعض هم انية للسخط. والبعض هم انية للرحمة: ثم يجيب هو عن ذلك بقوله: ان هذا هو من قبل حرية الارادة الشخصية. لانه من حيث ان الله هو كلي الصلاح. يوضح نحو هولا واوليك على حد سواء حنوًا متساويًا: ثم بعده اذ يتكلم هذا القديس عن فرعون. المقول عنه في الكتاب المقدس قد قسى قلبه يضيف كلامًا بكلام قايلاً: انه ان كان فرعون لم يخلص. فهذا كله انما صدر من قبل سوء ارادته. لانه لم يُعطَ له اقل مما اُعطي لمن خلصوا: ويقول في موضع اخر عند تكلمه عما اجاب به مخلصنا لام ابني زبدى انه ليس لي ان اعطي الخ: انه عزَّ وجلَّ بهذا الجواب قد اراد ان يبين. انه ليس فقط مختصًا به تعالى ان يعطي. بل هو مختص

بالمجاهدين ايضًا ان يقبلوا منه العطا . لانه لو كان هذا الامر هو متعلقًا به هو وحده . لكانت البشر كلهم يفوزن بالخلاص : واما القديس ابسيدوروس بالوسيوطا فيقول : ان الله اراد بكل نوع ان يساعد اوليك الذين يتمرغون فى الرذايل ايضًا . لكيلا يوجد لهم ما يعتذرون به : وقال القديس كيرللس الاورشليمى : ان الله قد فتح باب الحيوة الابدية . حتى ان البشر اجمعين مهما كان فيهم لا يوجد لهم ذلك مانعًا عن الدخول اليها : ❁

غير ان تعليم هولا الابا القديسين الروم . ما ارضى خاطر المعلم جانسانيوس . الذى قد تجاسر على ان يقول . ان الابا الروم قد تكلموا بخصوص النعمة بنوع غير كامل جدًا . فاذًا اهل لا يلزمنا فيما يخص مادة النعمة ان نتبع تعاليم الابا القديسين الروم . الذين هم المعلمون الاولون وعواميد الكنيسة الجامعة . او هل ان تعليم الروم . خصوصًا فى هذى القضية المهمة فى الغاية . قد كان مختلفا عن تعليم الكنيسة اللاتينية . والحال انه امر اكيد واضح هو ان تعليم الايمان الكاتوليكى الحقيقى قد اتصل الى الكنيسة اللاتينية من الكنيسة الروميه . ومن ثم كما كتب القديس اوغوسطينوس

اوغوسطينوس ضد يوليانوس الذى كان يعترض عليه بتعليم الابا الروم) لا يمكن ان يوجد تحت الريب . ان ايمان اللاتينيين هو نفس ايمان الروم . ولكن على زعم جانسانيوس ترى ماذا يلزمنا ان نصنع . اهل اننا نتمسك بتعاليمه المرذولة المشجوبة من الكنيسة كاراتيكية. لانه اتصل هو بجسارته الى ان يقول . انه حتى عن الابرار انفسهم تنقص نعمة الله التى تجعل لديهم ممكنة البعض من الوصايا . وان الانسان ولو انه يمارس اعماله مضطرًا . فيمكنه ان يستحق الثواب او العقاب حسب افعاله . بحيث انه لا يكون هو مغتصبًا . اما غلطاته هذه الفظيعة فهى صادرة من قبل مبداه الكاذب بجملته . المختص باللذة المنتصرة . الامر الذى ياتي عنه الكلام باستطالة فى الراس الثالث التابع عندما ندحض اقواله ❋

ولكن من حيث ان اقوال الابا الروم لا يشفون مرغوبات جانسانيوس . فلنسمعنّ ماذا قاله الابا اللاتينيون عن هذى المادة . والحال ان هولاء لا يختلفون فى التعليم عن اوليك . فقد قال القديس ايرونيموس : انه لا يمكن لانسان ان يصنع شيئًا

من الخير خلوًا من ذاك الذى اعطاه حرية الارادة .
ولا ينكر عليه نعمته في كل عمل هو يمارسه : فلاحظ
ايها القارى كلماته الاخيرة. بان الله لا ينكر نعمته
التى يعطيها للانسان فى كل عمل يمارسه . وقال
القديس امبروسيوس : لانه تعالى قد جاء ليقرع
الباب. وبالتالى يريد دايمًا ان يدخل الينا. ولكن
نحن هم السبب فى انه عزَّ وجلَّ لا يدخل الينا
دايمًا : اما القديس لاون الكبير فيقول : انه بكل
عدلٍ يطلب ان تطاع اوامرهُ بالعمل . ذاك الذى
يهبى المعونة لاتمام ما يامر هو به : واما القديس
بلاريوس فيقول : انه الان بالانسان الواحد تفضل
بضخاء فى الجميع موهبة نعمة التقديس : وقال
البابا اينوشانسيوس الاول : انه يوميًا يُعطى
الانسان الادوية . التى خلوًا منها . ومن دون
الاستناد عليها ولا واحدٌ من البشر يقدر ان ينتصر
على الضلال : وقال القديس اوغوسطينوس : انه
لا يُحسَب عليك ذنبًا ما انت تجهله ضد ارادتك .
بل انما انت تذنب حينما تهمل ان تفحص
عما تجهله . ولا خطية عليك ان كنت انت لا
تضمد جراحات اعضايك وتربطها بالعصايب
حسنًا

حسنًا. بل انك تخطى حينما بارادتك تحتقر الشفا وتنبذه. فانما خطاياك الخصوصية هى هذه اى اهمالك. لانه ما مُنع انسانٌ قط عن ان يعلم ان يفتش على خيره بافادة: وقال هو فى محلٍ اخر: فاذًا انما تجهل النفس ماذا ينبغى لها ان تصنع. من حيث انها لم تكن هى بعدُ اقتبلت المعونة. ولكن هذه المعونة سُتعطى لها. ان كانت هى تستخدم حسنًا الشى الذى حصلت عليه قبلًا. فهى اعطيت ذاك الشى لكى تطلب باجتهاد وبحسن تدبير ما ينقصها. هذا اذا هى شاءت: فلاحظ ايها القارى كلمات القديس الاخيرة وهى: لكى تطلب باجتهاد وبحسن تدبين ما ينقصها. هذا اذا هى شاءت: فاذًا كل واحد من البشر يقتبل قلما يكون النعمة البعيدة. وهى ان يطلب. واذا كان هو يستخدمها جيدًا فينال بعد ذلك النعمة القريبة. لكى يمارس بواسطتها ما لم يكن قبلًا يمكنهُ ان يفعله * وهذا كلهُ يوسسه القديس المذكور على ذاك المبدا وهو: انه لا خطية على احد فيما لا مكنة له على منعه: فاذًا (يضيف القديس الى كلامه السابق هذه الكلمات بقوله) ان كان الانسان يخطى فى

شيء ما . فانما يخطى من قبيل امكانه على منع ذاك الشى بواسطة نعمة الرب التى لاتنقص عن احد : فهذا البرهان هو يقينى واضح بذاته . وبواسطته يظهر جليًا . انه لو نقصت النعمة الضرورية لحفظ الوصايا . لما كانت وجُدت على احد خطية (كما نحن عتيدون ان نلاحظ ذلك باكثر اسهاب . عند تكلمنا عن خطايا الناس المصرين على ذنوبهم) ✻

وهذا عينه يعلّم به القديس توما اللاهوتي فى امكنة كثيرة من تاليفاته . ففى احدها اذ يفسر هو كلمات الرسول الالهى . بان الله يريد جميع الناس ان يخلصوا . يقول هكذا : انه من ثَمَّ لا تنقص النعمة عن احد . بل ان الجميع يشتركون بها (نظرًا الى ذاتها) كما ان الشمس تمد اشعتها الى الكل . الم يوجد مَن يغلق عينيه عنها : فاذًا كما ان الشمس تشرق باعثةً انوارها الى الجميع . ولا يوجد احدٌ معدومًا من ضياها . الاّ الذين اختياريًا يعمون ذواتهم . فهكذا الله يفيض انعامهُ على الكل لحفظ الشريعة . واما الهالكون فانما يهلكون لانهم لا يريدون ان يستخدموا تلك النعم .

وقال

وقال القديس المذكور فى محلٍ اخر : ان هذا الامر هو مختص بالعناية الالهية . وهو انها تهتم باعطاء كل ما هو ضرورى للخلاص . بشرط ان الانسان لا يضع لذلك من قبله مانعًا من الموانع : فان كان الله اذًا يعطى الجميع النعم الضرورية لخلاصهم . فاذ افترضنا يقينًا ان النعمة الحالية هى ضرورية لنا للانتصار على التجارب . ولحفظ الوصايا. فيلزم بالضرورة ان نستنتج انه تعالى يمنح الكل النعمة الحالية لعمل الصلاح . اما بدون واسطة . او بواسطة . ولكن خلوًا من احتياج الى نعمة اخرى لاستخدام الواسطة بالعمل (وهذه الواسطة هى الصلوة) لاكتساب النعمة القريبة الحالية . ثم فى مكان اخر اذ يتكلم عن قوله تعالى : من يأتي الىَّ لا اخرجه خارجًا : يقول هو هكذا : ان كان القلب الانساني لا يرتفع الى الله . فهذا ليس هو من نقص الجاذب القلوب . الذى نظرًا الىَّ ذاته لا نقص فيه . بل هو من قبيل المانع الذى يضعه المجذوب : وهذا نفسه يعلنه العلامة سكوطوس بقوله: ان الله يريد جميع الناس ان يخلصوا نظرًا الى ما هو مختص به ومن جهته ومن قبل ارادته

المتقدمة. ولذلك هو اعظام المواهب المشاعة الكافية للخلاص: وقال مجمع كولونيا: انه ولين كان لا ياتي احدٌ الى الرب تايبًا . الَّا من يجتذبه الاب . فمع ذلك لا يعتذرنَّ احدٌ عن نفسه بانه ما اُجتذب هو منه تعالى . الذى يوجد دايمًا على الباب يقرع بالكلمة الباطنة والخارجة : ✻

ثم ان الابا القديسين ليس بطريق الصدفة قد تكلموا عن هذى الحقيقة . لكنهم قد استندوا على نصوص الكتاب الالهى . لان الرب بنوع واضح جدًا فى امكنة كثيرة قد وكّد لنا . انه لا يتركنا هو من مساعدة نعمته . ان كنا نريد ان نستخدمها بافادة فى الثبات على البر . اذا كنا ابرارًا . او فى الرجوع اليه تايبين ان كنا خطاة. كقوله تعالى : هوذا انا واقفٌ على الباب وادق ان كان احد يسمع صوتى ويفتح لى : (ابوكاليبسى ص ٣ ع ٢٠) فالكردينال بالارمينوس يبرهن جيدًا على هذه الكلمات الالهية قايلاً : انه اذ كان الرب يعلم حسنًا ان الانسان لا يمكنه ان يفتح له عزَّ وجل خلوًا من نعمته . فلقد كان عبثًا ومن دون فايدة يدق باب قلب الانسان . لولا يكون

يكون هو قبلاً منحه النعمة فى ان يفتح له الباب متى اراد : وهذا الامر بالحصر قد علّم به القديس توما اللاهوتي بتفسيره النص المذكور نفسه . بان الله يعطى كلاً من الناس النعمة الضرورية للخلاص. لكى يسعى هو معها ان اراد قايلاً : ان الله بارادته الكلّية السخاء شاء ان يعطى النعمة لكل مستعد (هوذا انا واقف على الباب واقرع) ولهذا نعمة الله لا تنقص . بل كل انسان يشترك بها نظرًا الى ذاته : ويقول فى محل اخر: ان هذا هو مختص بالعناية الالهية . ان الله يهبى النعم الضرورية للخلاص ويمنحها : فاذًا كما كتب القديس امبروسيوس: ان الرب انما يقرع الباب. لانه يريد حقًا ان يدخل . ولكنه لا يدخل. او ان كان دخل لا يستمر مع انفسنا. لاننا نحن نمنعه عن الدخول . او نطرده بعد دخوله الينا :

فقد قال الله : ماذا وجب ان اعمل بكرمى ولم اعمله . لاننى صبرت له ليفرع عنبًا فافرع شوكًا : (اشعيا من ٥ ع ٤) فعن هذى الكلمات الالهية قال الكردينال بالارمينوس : انه لولا يكون تعالى اعطى الكرم قوةً فعالةً لعمل العنب .

فلماذا كان يصبر له ليفرغ هذا الثمر. وهكذا لولا يكون الله اعطى الجميع النعمة الضرورية للخلاص. لما امكنه جلت عدالته ان يقول نحو العبرانيين: ماذا وجب ان اعمل بكرمى ولم اعمله: لانه لكان يستطيع هولا ان يجيبوه قايلين. اننا انما لم نعطك ايها الرب اثمارًا. من حين انه نقصتنا معونتك الضرورية لنا فى ذلك. وهذا عينه يعلّم به الكرديناال المذكور فى تفسيره كلمات الرب القايل: كم من مرة اردت ان اجمع بنيك فيك. كما تجمع الدجاجة افراخها تحت جناحيها ولم تريدوا: (متى ص ٢٣ ع ٣٧) مستفهمًا بقوله: كيف اراد الرب ان يجمع بنى اورشليم فاحصًا عمَّن لا يريد. فى الوقت الذى فيه هم لا يريدون ان يستفيدوا من ارادته: ❁

قال المرتل: قبلنا يالله رحمتك فى وسط هيكلك: (مزمور ٤٧ ع ١٠) فالقديس برنردوس فى تفسيره هذه الاية يقول: ان رحمة الله هى فى وسط هيكله. فليست هى فى احد جوانبه. او هى متبددة فيه. لان ليس عند الله اخذ بالوجوه. بل ان رحمته هى موضوعة فى الوسط مشاعةً للجميع. مقدمةً للكل. ولا

ولا يعدم هو احدًا منها. الا ذاك الذى هو يرفضها ولا يقبلها : ❋

وقال الرسول الالهى لكل من الناس : العلك تستهون ثروة خيرية الله واحتماله وامهاله . غير عالم ان صلاح الله انما يقتادك الى التوبة : (روميه ص ٢ ع ٤) فهوذا الخاطى لا يتوب . وذلك من قبل رداوته. اذ يحتقر ثروة صلاح الله الذى يدعوه. غير متغافل عن ان يحركه بنعمته الى عمل التوبة . فالله يبغض الخطية . ولكنه فى الوقت عينه لا يهمل ان يحب خير النفس الخاطية. طالما الانسان يحيى فى الارض. باعطايه لهذه النفس المعونات الضرورية لخلاصها. كما كُتب فى سفر الحكمة (ص ١١ ع ٢٧) : وتشفق على البرايا كافةً ايها السيد المحب الانفس لانها لك هى : فيقول الكردينال بالارميتوس . انه من هذا يظهر ان الله لا ينكر اعطاء النعمة لمقاومة التجارب . ولا على واحد من الخطاة مهما كان مصرًا على الاثم واعمى فى حب الخطية . وهذه هى كلماته : ان المعونة على التكره من ارتكاب الخطايا الجديدة تُعطى للجميع دايمًا. سواء كان ذلك من دون واسطة . او بواسطة (وهى الصلوة) التى بها يمكنهم ان

ينالوا من الله عنايةً اعظم. واذ هم حاصلون على العون فيكرهون الخطايا: ثم انه يتوطد ما سبق ايرادهُ مما قاله الله بفم نبيه حزقيال (ص ٣٣ ع ١١): حي انا يقول الرب الاله لست اريد موت المنافق. بل ان يتوب المنافق من طريقه فيعيش: وهذا عينهُ اوضحه هامة الرسل بقوله: ان الرب يتمهل علينا غير مريد ان يهلك احدٌ. بل يوثر الكل ان يقبلوا الى التوبة: (بطرس ثانية ص ٣ ع ٩) فان كان الله اذًا يريد ان الكل يرجعون اليه بالفعل تائبين. فيلزم بالضرورة الافتراض انه تعالى يعطى الجميع النعمة التى بها حاليًا يعودون اليه بالتوبة ❋

فانا اعلم جيدًا انه يوجد لاهوتيون يحامون عن هذا وهو: ان الله ينكر على بعض الخطاة المصرين على ذنوبهم النعمة الكافية ايضًا: مستندين فيما بين الاشيا الاخر على ما قاله القديس توما اللاهوتي هكذا: انه ولئن كان اوليك الذين هم فى حال الخطية. لا يقدرون بقوتهم الذاتية ان يكفّوا عن وضعهم مانعًا للنعمة. الّا اذا حصلوا على معونة النعمة المتقدمة كما سبق الشرح. فمع ذلك جميعه يُحسَب عليهم

عليهم هذا الامر ذنبًا . لان النقص المذكور هو ناتج فيهم فضلةً باقيةً عندهم من خطاياهم . كما ان من يوجد سكرانًا . وفى حال سكره يقتل انسانًا ما . فهذا لا يُعذَر من الذنب الناتج من قبل السكر الذى هو سقط فيه بذنبه . وماعدا ذلك امرٌ حقيقى هو ان من يكون فى حال الخطية . فليس لم يكن فى مقدرته بنوع من الانواع اصلًا ان يمتنع عن الخطية مطلقًا . فمع ذلك هو حاصل على المقدرة فى ان يمتنع عن هذه الخطية او تلك . كما سبق القول . فمن ثَمَّ ان كل ما يصنعه هو فانما يفعله بارادته . وهكذا ليس من دون عدلٍ تُحسَبُ عليه الخطية ذنبًا : (انتهى) فمن هذا الابراد يزعم هولا اللاهوتيون . ان القديس المذكور قد اراد ان يشير . الى ان البعض من الخطاة يمكنهم ان يمتنعوا بنوع خصوصى عن الخطايا . ولكن لا عن كل الخطايا . لانهم عقابًا عن خطاياهم السابقة يوجدون معدومين من كل نعمة حالية *

غير اننا نجيب عن ذلك قايلين . ان القديس توما لا يتكلم هنا عن النعمة الحالية . بل عن النعمة الملكية او المبررة . التى اذا عدمها احدٌ

فلا يمكنه ان يحفظ ذاته زمنًا مديدًا من دون ان يسقط فى خطايا جديدة . حسبما يعلم القديس عينه فى امكنة كثيرة . واما حقيقة الامر فى ان هذا المعلم المليكى يقصد فى كلامه المقدم ايرادهُ الشى نفسه الذى نحن قلناه . فهذه تظهر واضحًا من كلماته المتقدمة عليه . التى نحن ههنا نحررها بجملتها . لكى يُعرَف معنى هذه القضية وفحواها . فاولاً قد عيّن هذا القديس عنوان الفصل المعترَض به هكذا : فى ان الانسان الكاين فى حال الخطية لا يقدر خلوًا من النعمة ان يمتنع عن ارتكاب الخطايا : فهوذا من العنوان عينه يتضح ان القديس لم يقصد فيما قاله هناك . سوى ماكتبه فى امكنة اخر . كما قلنا انفًا ثانيًا انه بعد مطلع الفصل قد كتب هو هكذا : انه من حيث ان العقل البشرى قد سقط عن حال الاستقامة . فامرٌ ظاهر هو ان الانسان قد ابتعد عن ترتيب الغاية الواجب حفظه . . . فاذًا قد يتفق بعض الاحيان ان الانسان يختار شيًا ما ملايمًا لغاية ما رديئة . ومضادا للغاية الواجبة . هذا اذا لم يرتجع هو الى الترتيب الواجب . بتفضيله الغاية الواجبة على

على كل ما سواها . الامر الذى هو مفعول النعمة فلهذا من يختار لذاته شيًا مضادًا لغايته الاخيرة . يضع مانعًا للنعمة التى تقوده الى غايته المذكورة. ومن ثَمَّ امرٌ واضح هو انه بعد سقوط الانسان فى الخطية . لا يمكنه الامتناع عن ارتكاب ماثم اخر مطلقًا قبل ان يقاد من مفاعيل النعمة الى الترتيب الواجب . . وبالتالى من هنا يظهر جليًا كم هى حماقة راى البيلاجيين القايلين . ان الانسان الكاين فى حال الخطية يستطيع من دون النعمة ان يمتنع عن ارتكاب المائم : ثم يضيف القديس الى هذا التعليم كلماته السابقة المستند عليها اللاهوتيون الموى اليهم . فاذًا ليس هو مقصوده ان يثبّت ان البعض من الخطاة هم معدومون النعمة الحالية بانواعها مطلقًا . ومع ذلك جميعه فلانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عن كل اثم فيخطون ويستحقون العقاب . بل ان مرام القديس هو ان يثبّت ضد الارانقة البيلاجيين . ان الانسان اذ يكون خاليًا من نعمة التقديس . لا يستطيع ان يحفظ ذاته من السقوط فى الخطية . ولهذا يبان صريحًا ان المعلم المليكى المذكور انما يتكلم هنا

عن النعمة المبررة. لان هذه النعمة هى التى تبلّغ الانسان الى الترتيب المستقيم . فاذًا عن هذى النعمة المبررة هو اشار بقوله السابق . وهو: الا اذا حصلوا على معونة النعمة المتقدمة: مبتدًا بهذا ان الخاطى اذا لم تسبق النعمة وتاهبه مرتّبةً اياه فى ان يجعل الله غايته الاخيرة . لا يقدر هو ان يمسك ذاتهُ عن التوهط فى مالم جديدة . فعلى هذا النوع العلما التوماويون يفهمون القول المعترضَ به. نظير المعلمين فرابازه وغونات. ولكن من غير ان نحتاج الى سندات اخر تظهر واضحًا هذه القضية من اقوال القديس توما نفسه . فى كتاب المجموع الذى فيه يتكلم عن المادة المرقومة عينها . مثبتًا اياها بالبراهين ذاتها الموردة منه فى كتابه ضد الامم . فى الراس ١٤٠ المحرر به كلامه السابق ذكره . وهناك كتب جليًا عن النعمة الملكية او المبررة لا غير ❁

بل انه لمن المحال ان هذا القديس يكون قصد بكلامه المذكور غير ذلك . من حيث انه فى امكنة اخر يعلّم هو من الجهة الواحدة. ان نعمة الله لاتنقص عن احد اصلاً. اذ يقول فى تفسيره الاصحاح الاول

من

من بشارة يوحنا هكذا : انه لكيلا تظن باصلح ان هذا هو صادر من ابتعاد النور الحقيقى عنك . فالابجيلى نفيًا لظنك المذكور قد قال : كان النور الحقيقى الذى يضئ لكل انسان : فالكلمة الازلى حقًا ينير كل احد نظراً اليه . لانه من قبله لا يمنع شيًا من ذلك . بل بالاحرى يريد كل الناس ان يخلصوا . ومن ثَّم اذا وُجد البعض الذين لا يستنيرون . فهذا هو من قبل البشر الذين يضادون نور المنير . ثم من الجهة الاخرى يعلّم هو بانه لا يوجد خطاء ما قد اهمل بهذا المقدار متروكًا من النعمة . حتى انه ما عاد يقدر ان يكف عن اصراره على الاثم . راجعاً الى الله ومتحدًا مع مشيته الالهية . الامر الذى خلوًا من كل ريب لا يقدر هو ان يصنعه من دون النعمة اذ يقول : انه فى طريق هذى الحيوة لا يعجز احد عن ان يرفض الاصرار على الخطية . وهكذا يطابق ذاته مع ارادة الله : ثم كتب هو فى موضع اخر قايلاً : انه طالما يمارس الانسان حرية ارادته المطلقة فى هذى الحيوة . . قد يمكنه ان يهب ذاتهُ ماهبًا اياها الى نعمة الندامة على خطاياه : والحال ان الندامة على الذنوب . لا يستطاع ابرازها

خلوًا من النعمة . وقال فى مكان اخر: ولا واحد من البشر فى طريق الحيوة الحاضرة. يقدر ان يكون بهذا المقدار مصرًا على الاثم. حتى انه لا يمكنه ان يساعد ذاته على انقاذ نفسه من تلك الحال: فلا ريب فى ان هذه المساعة تستلزم ضرورة. ان يكون الانسان حاصلًا على معونة النعمة . ثم فى تكلمه عن النص الرسولى . بان الله يريد جميع الناس ان يخلصوا . يقول هو: انه لاجل هذا نعمة الله لا تنقص عن احد . بل ان كلًا من البشر نظرًا الى ذاته يشترك بها : وفى غير محل حين تفسيره الكلمات الرسولية المذكورة عينها كتب قايلًا : ان الله من قبله هو مستعد دايمًا لان يعطى النعمة لكل انسان . . وبالتالى ان البشر انفسهم هم الذين يعدمون ذواتهم النعمة . وذلك بوضعهم اختياريًا مانعًا للنعمة . ولهذا لا يمكنهم ان يعتذروا عن ذواتهم اذا اخطاءوا : فاذًا القديس توما بقوله . ان الله من قبله هو مستعد دايمًا لان يعطى النعمة . لا يعنى بها النعمة الفعلية . كما لاحظنا انفًا . بل يتكلم عن النعمة المبررة لا غير . ولهذا بكل عدالة الكردنيال غوتى فى دحضه

البعض

البعض الذين يزعمون . ان الله قد هيأ عنده المعونات الضرورية للخلاص . الا انه تعالى لا يعطيها بالحقيقة لجميع الناس يقول : ترى ماذا يفيد العليل كون الطبيب هيأ عنده جميع الادوية الضرورية لشفايه . خلوًا من ان يعالجه بها فعليًا: وبعد هذا اذ يتكلم هو عن الموضوع الذى نحن فى صدده . يختتم قوله بانه يلزم بالضرورة ان يُسلَّم : بان الله ليس يهبى فقط . بل يعطى ايضًا لكل واحد من البشر . حتى الغير المومنين . والمتصلبين فى الاثم . المعونات الكافية سواء كانت القريبة او البعيدة لحفظ الوصايا : وماعدا ذلك يقول المعلم المليكى : ان خطايا الشياطين والهالكين فى جهنم هذه فقط لا يمكن محوها بدموع التوبة . واما الخطايا الاخر المصنوعة فى الحيوة الحاضرة . فمن يقول انه توجد فيما بين هذى الخطايا . ولو واحدة منها . لا يمكن للانسان ان يتوب عنها . فهو ضال ... لانه بهذا القول يضعف هو مفعول قوة النعمة . والحال انه لا ريب ولا اشكال فى ان من تنقصه النعمة . لا قدرة له على ان يتوب : هذا ماعدا ان القديس المذكور نفسهُ كما قلنا قبلاً يعلّم علانيةً فى

اقواله العديدة . خاصةً فى تفسيره الاصحاح ١٢ من رسالة القديس بولس الى العبرانيين . بان نعمة الله لا تنقص عن انسان مطلقًا . بل ان كل احد من البشر يشترك بها نظرًا الى ذاته . ولهذا بكل صواب يقول المعلم باطروكورانسة فى كتابه اللاهوتى المصنوع لمدارس الابرشية : فاذًا ليس هو شيًا اخر الَّا تهمةً باطلةً للقديس توما . القول عنه انه يرتاى . بان البعض من الخطاة يُهمَلون بالكلية من الله خلوًا من معونة : واما الكردينال بالارمينوس . فاذ يتكلم عن هذى المادة يقول : ان المعونة الضرورية والكافية للامتناع عن الخطايا . فكل واحد من البشر . وفى كل زمن هو حاصل عليها قلما يكون بواسطة . من قبل السخا الالهى المملوحنوًا . وانما قلنا بواسطة . لانه امر حقيقى هو ان البعض لا يحصلون على معونة خالية من واسطة . بها يمتنعون عن ارتكاب الخطية . ولكن مع هذا ينال هولاء معونةً بواسطة . بها باعظم مثابرة يلتمسون ذلك من الله بالصلوة . ومنه يحصلون على هذى المعونة التى تساعدهم على الكفاف عن الاثم : ثم يقول عن نعمة التوبة هكذا : ان هذه

النعمة

النعمة لا تُعطى للخاطى فى كل زمن . ولكن ولا واحد من البشر يحيق به اهمال الله اياه الى هذا الحد . حتى انه يعود حقيقةً . وبلا ريب متروكًا تركًا مطلقًا فى مدة حياته كلها . عادمًا معونة الله . بنوع انه يضحى مقطوع الرجا من الخلاص : *

وهذا يقوله اللاهوتيون التوماويون انفسهم * قال الاب العلامة سوطوس : اننى لمتاكدٌ غاية التاكيد . ولمومنٌ بثبات بانه ما وُجد قط انسان مهملاً من الله فى هذه الحيوة الزايلة . وكذلك اعتقد بانه ولا واحد من العلما الذين بواجبٍ قد استحقوا لذواتهم تسمية علما قد اختلف عن هذا المعتقد . بل كلهم اتبعوه بثباتٍ . والبرهان على صحة ذلك هو واضح . لانه لو كان الخاطى يوجد مهملاً بالكلية . ومعدومًا مطلقًا نعمة الله . فاما انه لا يعود ممكنًا ان تُحسَب عليه ذنوبًا الخطايا التى هو يرتكبها . اذا واظب هو على افتعال الاثم . واما انه يضحى هو ملتزمًا بما لا قدرة له على اتمامه . اذ انها قضية خالية من كل ارتياب هى . التى بموجبها يعلم القديس اوغوسطينوس : بانه لا يُرتكَب خطاء اصلاً فيما لا يقدر الانسان

بوجه من الوجوه ان يمتنع عنه : وهذا هو موسس على قول الرسول الالهى : انه لصادق هو الله الذى ما يهملكم ان تُمتَحنوا بما يفوق طاقتكم . بل يصنع لكم مع المحنة مخرجًا لتستطيعوا ان تحتملوها: (قرنتيه اولى ص ١٠ ع ١٣) فلفظة مخرجًا هنا تفهم واضحًا عن العون الالهى الذى الرب يعطيه دايمًا للمجرَّبين . لكى يقاوموا التجربه . كما يفسر ذلك القديس كبريانوس قايلًا : ان الله يصنع مع المحنة استطاعةً على الهرب من السقوط : وباكثر ايضاح قال عن هذا النص العلامة بريماسيوس : انه تعالى يصنع معنا ذاك الشى الذى نحن نقدر ان نحتمله . اى يهبنا معونة نعمته التى تقوينا على مقاومة التجربة : ثم يضيف الى ذلك القديسان اوغوسطينوس وتوما قولهما . انه لكان الله ظالمًا قاسيًا . لو كان يضطر احدًا على حفظ وصية لا مقدرة له على اتمامها . فاولهما يقول : انه اثم عظيم هو ان يُحسَب مذنبًا بالخطية . ذاك الذى لا يعمل ما لا استطاعة له على عمله : وقال ثانيهما : ان الله ليس هو نظير انسان مشترعٍ قاسٍ . بل انه عزَّ وجلَّ هو نفسه يوجب الذنب والقساوة على

على الانسان . اذا الزم احداً بحفظ وصية ليس فى مقدرته تكميلها . فاذا هذا الشى لا يمكن اصلاً تصديق وجوده فى الله : ولكن (يتبع القديس كلامهُ بقوله) ان الامر هو بالخلاف حينما يكون صادرًا من قبل كسل الانسان . عدم حصوله على النعمة اللازمة له لاجل حفظه الوصايا : فهنا يُفهَم كلام القديس هذا بنوع خاص عن الانسان الذى يهمل استخدام النعمة البعيدة . اى الصلوة. التى بواسطتها يمكنه حسنًا ان ينال النعمة القريبة لحفظ الناموس . حسبما يعلّم المجمع التريدنتينى بقوله : ان الله لا يامر بما لا يستطاع. بل اذ يامر انما ينصح منبهًا على ان يُعمَل ما هو ممكن . وان يُطلَب ما لا يمكن فعله . وهو يعين على اتمامه: (راس ١٣ جلسة ٦) ❋

ثم ان القديس اوغوسطينوس يثبّت فى امكنة كثيرة من تاليفاته قوله السابق ذكره . بانه لا خطية على احد فى عمله ما لا قدرة له على الامتناع عنه . فقد قال هو فى احد الامكنة المنوه عنها هكذا : انه لولا يكون فى مقدرتنا صنيع الخير والشر . لما كانت عادلةً لا المكافاة والثواب . ولا

العذابات والعقاب : وقال موضع اخر: انه لولا يُعطَى الانسان استطاعةً على اجتناب الشر فى افعاله . لما كان يُحسَب عليه الاثم اصلًا . ولا بخطية واحدة : ثم فى محل اخر كتب قايلًا : ان الشيطان اى نعم يهيج فى افكارنا مشوراته . ولكن نحن حاصلون بمعونة الله على الاستطاعة فى ان نختار ما نشاء . اما برفضنا هواجسهُ الشيطانية . واما بقبولها . فاذ كنت اذًا انت فايزًا من الله بهذى الاستطاعة . فلماذا لا تختار بالاحرى ان تطيع الله . من انك تطيع الشيطان : وقال فى غير مكان : انه ولا انسان واحد هو مذنب فيما لم يكن هو حصل عليه : ثم قال فى محل اخر: لا احد يستحق اللوم . اذا لم يفعل ما لا يقدر هو على صنيعه : ومثل ذلك يقول القديس ايرونيموس : انه لا يُذنَب احد بالضرورة . لا الى الفضيلة ولا الى الرذيلة . حينما لا يكون مضافًا الى هذه الضرورة . لا الكليل المجازاة ولا العقاب : وقال المعلم ترتوليانوس : انه لا توضع شريعة اصلًا على احد لا يكون فى سلطانه وقدرته ان يحفظها لحفظ الواجب : ويقول مرقص السابح : ان النعمة الخفية هى تساعدنا . ولكن يوجد فى استطاعتنا

استطاعتنا ان نعمل الخير. او لا نعمله : ومثل هذه الاقوال قد كتب القديسون ابربناوس . وكيرللس الاسكندرى . ويوحنا فم الذهب وغيرهم ❁

ثم لا فايدة بالاعتراض بما كتبه القديس توما اللاهوتى قايلاً : ان معونة النعمة لاى من اعطيت. انما تُعطى مجانًا من قبل رحمة الله ورافته . ومن ثمَّ اذا نُكرت على احد فانما تُنكر عنه عدلاً . كقصاص عن الخطايا السابقة . او عن الخطيئة الاصلية . كما يقول اوغوسطينوس : لان الجواب عن ذلك يعطيه العلامة الكردينال غوني بقوله : ان القديسين اوغوسطينوس وتوما. انما يتكلمان عن النعمة القريبة الحالية. المعينة على اتمام الوصايا المختصة بالايمان والمحبة . اللذين عنهما بالخصوص تكلم القديس توما فى المحل المذكور. ولكنهما لم يقصدا بهذا القول ان ينكرا . ان الرب يعطى لكل انسان النعمة الباطنة . التى بها قلما يكون بواسطة. يستطيع ان يستمد النعمة لاتمام واجبات الايمان ولنوال الخلاص . لاننا قد لاحظنا انفًا. كيف ان هذين القديسين لا يرتابان فى ان

الله يمنح لكل احد . فلما يكون النعمة البعيدة لاجل حفظ الوصايا : ثم انه يضاف الى ذلك ما كتبهُ القديس بروسباروس قايلًا : ان كل انسان عمومًا قد أُعطى دايمًا ذاك المقدار من التعليم السماوى . الذى ولَيْن كان مقترنًا بالنعمة القليلة. فمع ذلك هو كاف للبعض لاجل المداواة . وللجميع لاجل الشهادة عليهم : ❋

فالقول المذكور لا يمكن فهمهُ بمعنًى اخر. لانه لو كان حقيقيًا هو ان البعض انما يخطيُون لنقص النعمة الكافية ايضًا عنهم . المسماة النعمة البعيدة. وذلك لعلة الخطية الاصلية المحسوبة عليهم ذنبًا . لكان بلزمنا ان نقول . انها تكفى لارتكابه الخطاء . الارادة التى بخطيْة ادم نحن حصلنا عليها تفسيريًا . والحال ان هذا لا يمكن ان يقال . لانه قد تحرم واضحًا بواسطة شجب القضية الاولى من قضايا ميخاييل بايوس القايل هو بها هكذا : انه لارتكاب الخطية الصورية . ولاعدام الانسان الاستحقاقات . تكفى تلك الحرية التى توجد بها الخطية الصورية حرةً ومرادةً . بتلك الارادة الحرة التى توجد فى علتها . اى فى الخطية الاصلية. وفى حرية ادم

ادم الخاطى : فضد هذه القضية يصدق حسنًا ما كتبه الكردينال بالارمينوس بقوله : انه لارتكاب خطية شخصية متميزة من الخطية الجدية المرتكبة من ادم. يحتاج استعمال حرية الارادة الانسانية من جديد. بفعل ارادة متميزة من حرية ارادة ادم الخصوصية . والا فلا تكون الخطية شخصية متميزة : كما يعلّم القديس شمس المدارس قايلاً : انه لحقيقة الخطية الشخصية يُطلَب فعل القوة المطلقة بارادة شخصية : هذا ماعدا ان المجمع التريدنتينى قد اعلن بخصوص المعمدّين . انه لا يبقى فيهم شى ء يستحق الشجب . اذ يقول فى المرسوم المختص بالخطية الاصلية . المبرز فى الجلسه الخامسه هكذا : ان الله لا يبغض شيًا فى المولودين جديدًا . لانه لا يوجد شى يستحق الشجب فى اوليك الذين بالحقيقة قد دُفنوا مع المسيح بالعمودية للموت : ثم يردف هذا المجمع كلامهُ بكلامه . فى ان الام الشهوة ما بقين فينا قصاصًا اذ يقولُ : انه تبقى فى المعمودين الام الشهوة . او بجارها الذى اذ يستمر فيهم لاجل المجاهدة . فلا يقدر ان يضر احدًا من اوليك الذين لا يرتضون به : والحال انه لكان ضدًا

لذلك ومضرًا جدًا للانسان بحار الشهوة هذا . لو كان الله لاجله ينكر على البشر النعمة البعيدة ايضًا لاكتساب الخلاص الابدى ❁

فسندًا على ما قلناه حتى الان . كثيرون من اللاهوتيين يرتاؤن اخيرًا : بان القول ان الله ينكر على بعض الناس المعونة الكافية لحفظ الوصايا . هو قول مضاد الايمان . لانه ينتج منه ان الله يضطر الناس على ما لا يستطاع . فهكذا كتب الاب العلامة نونياس قايلًا : ان الله لن ينكر ابدًا اعطا المعونة الكافية لتكميل الوصايا . والا لما كان احد بالفعل يقدر ان يكملها . وهذا هو انما تكرار ما زعمه لوتاروس الاراتيكى . بان الله يلزم البشر بما هو غير مستطاع لديهم : ويقول فى موضع اخر : ان الايمان يعلّم . بان كل انسان طالما هو فى طريق هذى الحيوة يمكنه ان يصنع توبةً عن خطاياه . والقول المضاد لذلك هو ارتقة واضحة : وقال الاب لاداسام : انه لامر موكد بموجب الايمان . انه لا خطية على الانسان حيث ليس له حرية ارادته : ❁

فقد قال يوفانينوس . ان الخاطى حينيذٍ يذنب

ذنب

ذنب حرية العمل . وذلك بانتخابه لذاته اختياريًا ارتكاب هذه الخطية او تلك . ولكن كان هو وقتيذٍ بالضرورة يخطى . اذ تنقص عنه النعمة الحالية الكافية لنجاته من الاثم . غير انه بكل استقامة وعدالة . السيد داصالاون ربيس اساقفة فيانا التى فى فرنسا . يكره راذلًا هذا التعليم . وهو ان الانسان الساقط بالخطية . يرتكب الاثم لسبب انه لا تعود توجد فيه حرية ارادة . الا فى ان يختار من الخطايا هذه او تلك . لكونه مضطرًا لفعل الخطية . فالسيد العلامة المذكور فى كتابه الملقب : جانسانيوس المتجدد : قد كتب قايلًا : ترى كيف يمتطيع احد ان يحتمل سماع هذا القول . وهو ان الانسان الساقط . اذ هو خالٍ من النعمة . لا يتمتع بنوع اخر من انواع حرية الارادة . سوى بانه لكونه مضطرًا ضرورةً الى ان يخطى . فيقدر فقط ان يختار هذه او تلك الخطية : فاذًا ذاك الانسان الذى يكون حُكم عليه بالموت . واعطى له ان يختار بحريته هذا الشى فقط . وهو اما السيف . واما النار . او السم ليمات به . افهل يمكن ان يقال انه قد مات راضيًا بارادته . لاجل انه اختار الالة التى تعدمه

الحيوة. والاَّ فترى كيف يمكن ان يُحسَب خطيةً. فعل ذاك الذى يضطر ضرورةً بان يختار. او هذه او تلك الخطية ليفعلها. والحال انها قد تحرمت قضية بايوس السابعة والستون القايل هو بها: ان الانسان يخطى بنوع يستحق لاجله الهلاك. بذاك الشى الذى هو يأثم به مضطرًا بضرورة: فاين توجد اذًا حرية الارادة. اذا كانت الخطية مصنوعةً باضطرار ضرورةً. فيجيب جانسانيوس قايلاً: انها تكفى لارتكاب الخطية حرية الارادة الموجودة فينا تفسيريًا واحتسابيًا. وهى التى قد حصلنا عليها من خطية ابينا ادم: والحال ان هذا القول عينه قد تحرم فى قضية بايوس الاولى القايل هو بها: انه لارتكاب الخطية الصورية. ولاعدام الانسان الاستحقاقات. تكفى تلك الحرية التى توجد بها الخطية الصورية حرةً ومرادةً. بتلك الارادة الحرة التى توجد فى علتها. اى فى الخطية. وفى حرية ادم الخاطى: ❋

ثم ان اصحاب الراى المضاد يتبعون كلامهم السابق بهذا قايلين: ان الخاطى المُهمَل من نعمة الله. وليس كان لا يمكنه ان يمتنع عن الخطايا المميتة. نظرًا الى مجموعها كافةً. فمع ذلك يستطيع هو ان

يمتنع

يمتنع عن كل منها فرديًا . بواسطة توقيف الرضا بنوع بسيط . او بنكران الفعل : فالجواب هو انه لا يمكن ان يُسلَّم بهذا لحجج كثيرة . وهى اولاً لانه متى حصل الانسان متجربًا بتجربة قوية محتاجة الى قوة شديدة لمقاومتها . فهو ادبيًا لا يقدر ان ينتصر عليها الَّا بمعونة النعمة الالهية. ولا يمكنه ان يعدل عن اتمام ما تقوده هى اليه . الا اذا انتقل منها الى ما يجذبه اليه الم رذيلة اخرى مضادة لتلك التجربة (كما يعلم اللاهوتيون اجمعون) فعلى هذى الصورة اذًا لكان الخاطى الموى اليه المعدوم نعمة الله . يوجد مضطرًا بالضرورة الى ان يخطى لا محالة. اما بالنوع الواحد واما بالنوع الاخر. والحال انه تقدم القول ان هذا الراى لا يُحتمَل سماعًا. بل يُرذَل مكروهًا. ثانيًا لانه حيثما ينشغف قلب الانسان بالم شهوة ما قوية ذات اثم . منصبًا نحو البلوغ اليها . فليس دايمًا. بل بالاحرى امر نادر الحدوث هو ان يوجد فى هذا الانسان سببٌ اخر اثيم مضاد لتلك الشهوة. يحتوى على قوة هكذا شديدة . حتى انه يمنعه عن ان يرتضى بقبول الشهوة المشار اليها . فاذًا عندما

ينقص منه السبب المذكور. فلكان هو يوجد مضطرًا ضرورةً الى ان يرتكب ذاك الاثم. المنصب هو اليه بالم تلك الشهوة بخطية خصوصية (ضد زعم الاضداد) ثالثًا لان توقف الرضا بنوع بسيط. او بنكران الفعل كما يقول الاضداد. فهذا بالكاد يمكن تصورهُ بالعقل نظرًا الى الوصايا السلبية فقط. واما نظرًا الى الوصايا الموجبة. فحسب تعليم اللاهوتيين تورنيلى وغوتي. هو عديم الامكان مطلقًا. وذلك حينما تتضمن تلك الوصايا الموجبة. الالزام بابراز بعض الافعال الفايقة الطبيعة. نظير فعل الايمان. او الرجا. ام المحبة. او الندامة. لانه من حيث ان هذه الافعال هى فايقة الطبيعة. فبالضرورة يحتاج الانسان فى ابرازها الى معونة الهية فايقة الطبيعة. فاذًا قلما يكون فى هذا الحادث. لكان يخطى الانسان الفاقد نعمة الله خطاء اضطراريًا. بعدم تكميله الوصية الوضعية. ولو انه لم يكن قادرًا على الامتناع عن الخطية مطلقًا. والحال ان الذى يقول هذا القول. فانما يضل ضد الايمان حسب تعليم الاب باناس القايل هكذا: انه كل مرة يخطى الانسان فلا بد له من

ان

ان يكون رفض هو الالهام الالهى . لان هذه القضية هى اكيدة لدينا من قبل الايمان . وهى انه لا وجود للخطية فى عدم فعل ما لا يمكن فعله . الامر الذى يحققه لنا الايمان . والحال ان الانسان الذى لم يُعطَ شيًا اخر الا ما هو مختص بالطبيعة الانسانية فقط . لا يكون حاصلاً على ما به يستطيع ان يصنع ما هو فايق على الطبيعة الانسانية : ❁

وهنا لا يفيد الاضداد قولهم : ان الانسان المعدوم نعمة الله انما يكون هو عدمها بذنبه . ولذلك هو يخطى ولو كان مهملاً من النعة : لان الكردينال غوتي يرد الجواب عن ذلك بقوله : ان الرب يقدر بعدل ان يعاقب الانسان المنوه عنه . لاجل خطاياه السابقة . ولكنه تعالى لا يعاقبه عن اهماله العتيد . نظرًا الى ما به هو يتمم تلك الوصايا التى هو لا يستطيع اتمامها . فاذا فرضنا ان احد الموالى يكون ارسل عبدهُ الى مكان ما . وهذا العبد يكون بذنبه سقط فى حفرة عميقة لا يمكنه الخروج منها بذاته . فمولاه اى نعم يقدر ان يعاقبه على ذنبه العتيد ايضًا . ان كان هو

يعطيه الوسايط التى بها يقدر ان يخرج من الحفرة . نظير السلم . او الحبل . ويكون هو اى العبد لم يرد ان يستخدم تلك الوسايط لخروجه من الحفرة . ولكن اذا فرضنا ان المولى لم يمنح هذا العبد المعونات الضرورية لاخراجه من الحفرة . فلقد كان يُحسَب سيدًا ظالمًا قاسيًا . لو كان يريد ان يعاقبه على عدم تكميله المسير نحو المكان المامور بالذهاب اليه . فاذًا على هذى الصورة يقدر الله ان يعاقب ذاك الانسان الذى بذنبه يكون سقط فى حفرة الاثم . التى لا يمكنه هو بذاته ان يخرج منها ليتمم مسيره نحو الحيوة الابدية . ومثل ذلك يستطيع تعالى ان يلزمه باتمام هذا المسير . بعد ان يهبه معونة نعمته ليخرج من سقطته . ولكن لو كان عزّ وجلّ نفسه يريد ان يتركه مهملاً فى تلك الحفرة . فى حال عدم امكانه على الخروج منها بقوته الذاتية . فلما كان يقدر . من دون ظلم ان يلزمه بان يتبع مسيره ماشيًا نحو الخلاص الابدى . او ان يعاقبه اذا لم يمش الى ماقدام : (انتهى) ❋

فالاضداد يأتون لاثبات رايهم بما يفسرون به نصوصًا كثيرةً من الكتاب المقدس . التى منها يبان

يبان ممكنًا هذا الاهمال الالهى . كقوله تعالى : انا اعمى قلب هذا الشعب . واثقل اذانه . واغمض عيونه لئلا يبصر بعينه . ويسمع باذنه . ويفهم بقلبه. ويتوب فاشفيه: (اشعيا ص ٦ ع ١٠) : عالجنا بابل ولم تُشفَ فلنتركها : (ارميا ص ٥١ ع ٩): زد اثمًا على اثمهم ولا يدخلوا فى عدلك : (مزمور ٦٨ ع ٢٨) : فلذلك دفعهم الله الى الام الهوان : (رومية ص ١ ع ٢٦) : ان الله يرحم من يشا ويقسى من يشا: (رومية ص ٩ ع ١٨) هذا ماعدا نصوص اخر تشبه المذكورة . فالجواب عن هذى الاقوال الالهية يُعطى بسهولة وبراى عام . بان السماحات الالهية تُسمَّى مرات كثيرة فى الكتاب المقدس افعال الله . فمن ثمَّ لكيلا يحدث احد بما حدث به كلفينوس القايل : ان الله يحدد بمرسوم وضعى ايجابى بعض الناس لفعل الاثم : يلزمنا ان نقول . ان الله يسمح بان بعض الخطاة من الجهة الواحدة يُجرَّبون . قصاصًا عن ماثمهم الماضية بتجارب قوية جدًا . وهذا هو العقاب الذى نحن نطلب من الرب ان ينجينا منه بقولنا فى الصلوة الربية : لا تدخلنا فى التجارب : ثم بان

يبقوا من الجهة الاخرى متروكين ادبيًا فى خطاياهم. بمنوع انه ولَّين لم يكن الرجا مقطوعًا. لا من توبتهم . ولا من مقاومتهم التجارب . التى لكانوا يقدرون ان يحاربوها . فمع ذلك من قبل نقصهم. وتعتق الرذايل فيهم . تعود لديهم التوبة والمجاهدة شديدة الصعوبة . لانهم اذ يكونون حاصلين فى حال التراخى والكسل المنوه عنهما بسيرتهم الردية . فلا يعود يوجد فيهم من الاشواق لمقاومة التجارب . ومن الحركات للاقلاع عن عوايدهم الاثيمة . ولرجوعهم الى طريق الخلاص . الا ما قلَّ نادرًا وما ضعف جدًا . وهذا هو نوع قساوة القلب الغير الكاملة . التى عنها يتكلم المعلم المليكى قايلًا : ان الخاطى القاسى القلب بالاثم . هو ذاك الذى لا يقدر بسهولة ان يسعى فى ان يخرج من الخطية . وهذه هى الصلابة الغير الكاملة . التى بها يمكن للبعض ان يصروا على سيرتهم بنوع يتناكد منه . ان ارادتهم قد ثبتت على عدم الخروج عن الاثم . ولا تصدر فيهم حركة ما نحو الصلاح الاَّ ضعيفة جدًا : على انه توجد من الجهة الواحة عقولهم مظلمة. وارادتهم صلبة ضد الالهامات الالهية

الالهية . ومنعطفة بتعلق كلى نحو ملذات الحواس. وبالتالى تتنكره من الاشيا الروحية وتحتقرها . اذ ان الالام والتعطش نحو الموضوعات الحسية . تكون صارت فيهم ملكات متعتقة فتستولى على انفسهم . ثم من الجهة الاخرى توجد لديهم قليلة الفاعلية دعوات الله اياهم . واشراقات انواره الالهية امامهم. وذلك من قبل ذنوب نفوسهم . لسبب استخدامهم بيسما تلك الدعوات والانوار. بل قد تكون حصلت عندهم مقاومة لها وتكره منها . لكيلا تتقلق نفوسهم فى ملذاتها الحسية . فهذه الاشيا كلها تصور الترك الادبي . الذى مذ يحصل فيه الخاطى . فبصعوبة كلية يعود يمكنه الخروج من حاله هذى السيئة . والرجوع الى سيرة مرتبة ❋ على انه للخروج من ذلك . وللعودة عاجلاً الى طريق الخلاص . يحتاج الخاطى الى نعمة كلية الخصب غير اعتيادية . والحال ان نعمةً هذه صفتها نادرًا جدًا يمنحها الرب للخطاة المصرين على الاثم . فاى نعم كما يقول القديس توما اللاهوتي . ان الله يهب بعض الاحيان هذة النعمة للبعض منهم . منتخبًا اياهم اواني للرحمة حسب كلمات الرسول الالهى .

لكى يظهر بهم سمو صلاحه وخيريته . ولكن بعدلٍ واجب ينكرها على الاخرين . ويتركهم فى حالهم التعيسة . لكى يظهر مفاعيل عدله واقتدار سلطانه . وهذه هى كلمات المعلم المليكى عن ذلك اذ يقول : ان الله بعض الاحيان من قبل غنى خيرية صلاحه . يعطى نعمته لاوليك ايضًا الذين توجد فيهم موانع لاقتبال معونته . وهكذا يجعلهم ان يتوبوا . ولكن كما انه ليس لكل العميان يهب تعالى النظر . ولا لجميع السقما الشفاء . فهكذا ليس لكل اوليك الواضعين للنعمة موانع يمنح الله معونته للتوبة . . . وهذا هو معنى قول الرسول (روميه ص ٩ ع ٢٢) : ان الله اذ اراد ان يُرى السخط . ويعرّف بما يقتدر عليه . استحضر بامهالهِ الجزيل اوانى سخطٍ متقنة للهلاك . ولكيما يعرّف بثروة مجده السابغة على اواني الرحمة . التى سبق فاستعدها للمجد الخ : فاذًا (يتبع القديس توما كلامهُ) من حيث ان الله يجتذب من بين اوليك العايشين فى خطايا هى نفسها البعض منهم الى التوبة . ويترك الباقين منهم سامحًا بان يستمروا على حالهم . حسب مجرى اعمالهم . فمن ثمَّ ليس لاحد

لاحد حقٌ ان يفحص عنه تعالى . لماذا يجعل هولا ان يتوبوا . واوليك ان يلبثوا فى حال الخطية. لان هذا هو ما يعنيه الرسول بقوله : العمل الفاخورى لا سلطان له على الطين. ان يعمل من الفطرة نفسها اناءً للكرامة واناءً للاهانة : (انتهى) ❧

فلهذا نحن لا نتكر عند نهاية هذا الموضوع . انه يمكن ان يحدث اهمال ادبي . بترك البعض من الخطاة المصرين على الاثم . حتى تعود توبتهم ادبيًا غير ممكنة اى كلية الصعوبة . وهذا يكفى حسنًا لمقصود اصحاب الراى المضاد ونيتهم الصالحة . وهى ان يكبحوا طموح الام الاثمة بلجام الخوف الصوابي. من ان الله يهملهم الى الغاية . وهكذا ينتبهون لذواتهم قبل ان يبلغوا الى حال كذا تعيسة . ولكن فى الوقت عينه يلزمنا ان نقول مع العلامة براتروكورانسه . انها لقساوة ظالمة هى ان اصحاب الراى المذكور يقطعون عن هولا الخطاة الرجا مطلقًا من الخلاص . ويغلقوا فى وجوههم ابواب الرحمة . باعتدادهم اياهم مهملين اهمالاً مطلقًا . بنوع انهم معدومون كل صنف من

النعمة الحالية . لكى يمتنعوا عن السقوط فى خطايا جديدة . ولكى يتوبوا قلما يكون بواسطة . وهى الصلوة التى لا تُنكَر واسطتها على احد . كما نحن عتيدون ان نبرهن . اذ انهم بواسطة الصلوة يقدرون ان يستمدوا المعونات السخية . ليعودوا الى طريق الخلاص . على ان الخوف الذى يستحوذ على هولاء الخطاة بانهم مُهمَلون مطلقًا . فهذا يقودهم ليس فقط الى اليأس بقطع رجايهم . بل ايضًا الى التمرغ بابلغ نوع فى حماة الرذايل . اذ يظنون بنواتهم منفيين من النعمة بالكلية . وهكذا لا يبقى عندهم امل بنوع من الانواع اصلًا فى ان ❋ يفوزوا بالنجاة من الهلاك الابدى ❋

الراس الثالث

❋ فى ايضاح تعليم جانسانيوس بخصوص اللذة ❋
❋ المنتصرة اضافةً . وفى تفنيد هذا الراى ❋
❋ الوخيم ودحضه ❋

اننا كما نبهنا قبلًا مزمعون ان نبيّن فى الراس التابع . ان نعمة الصلوة هى معطاة لجميع البشر. غير

غير ان هذه الحكومة ما ارضت خاطر المعلم جانسانيوس . الذى اتصل الى ان يسميها ضلالا بقوله : انه لضلالٌ هو احتساب الناس حاصلين دايمًا على نعمة التوسل لله : لانه على زعمه يحتاج الانسان لكى يصلى . الى اللذة المنتصرة اضافةً . وان هذه ليست هى ممنوحةً للجميع . ولذلك يضيف هو كلامهُ الى قوله . انه ليست موهوبة لكل الناس . لا النعمة الكافية . ولا القوة على حفظ الوصايا . لان كثيرين تنقصهم النعمة البعيدة ايضًا . وهى نعمة الصلوة كما يجب . او نعمة الصلوة مطلقًا . ومن ثمَّ يردف هو زعمًا بزعم قايلًا : فهوذا اذًا كثيرون مع انهم لا يتوسلون . ينالون النعمة التى بها يقدرون ان يتمموا الوصايا . او انهم لا يلتمسون هذه النعمة كشىء طلبهُ هو ضرورى . بل ان الله لا يمنح الجميع ان يصلّوا متوسلين . واقل من ذلك ان يصلوا بحرارة . ولهذا امر واضح هو ان كثيرين من المومنين تنقص عنهم النعمة الكافية . وبالتالى ليس لهم دايمًا مقدرة على حفظ الوصايا كما يدّعى البعض : فاذًا ضرورى هو قبل ابتدائنا باثبات رايِنا المضاد . ان نفحص تعليم جانسانيوس

المضر. الذى منه صدرت اضاليله الاخر كلها .
وهكذا نصيّر القارين ان يعرفوا انه هو لا نحن
على ضلال فيما قاله ✠

خمس قضايا كورنيليوس جانسانيوس هى معلومة
لدى الجميع . وان كنيسة الله قد حرمتها كاراتيكية .
فهذه الخمس القضايا بجملتها هى نابجة . كما يبرهن
المعلم تورنيلى . من رابه المشار اليه بخصوص اللذة
المنتصرة . التى عليها يوسس هو تعليمه باسره .
وهذا نفسه يقوله الاب اغناتيوس كراڤاطون
هكذا : انه من هذا المبدا المفسود قد صدرت
نتايج اضاليل جانسانيوس وتلاميذه معه (بالخمس
القضايا) التى بهذا المبدا قد ارتبطت بوثاقٍ
شديد . ووُضعت ميراثًا لتابعيه : ومثل ذلك الاب
بارتي كتب قايلاً : ان اضاليل جانسانيوس كلها
هى صادرة من مبداه المختص باللذة العديمة
الانغلاب . ونابجة منها كمن اصلٍ قضاياه الخمس
التى الان هى محرمة : وكذلك الاب خورتوناتوس الذى
من مدينة براشيا فى تاليفه المشاع منذ قربٍ
الملقب : بدحض راى كورنيليوس جانسانيوس الخ :
يبرهن واضحًا بانه لو كان يُسلَّم براى جانسانيوس
ومبداه

ومبداه الاول المذكور. لكان بالضرورة يلزم ان يُسلَّم بصحة قضاياه الخمس: ❋

فلنوردنَّ اذًا بشرح كاف تعليم جانسانيوس هذا. فهو يقول. ان ارادة الانسان بعد خطية ادم لا تقدر ان تمارس افعالها بنوع اخر. الا اما باتباعها لذة النعمة المسماة منه لذةً سماويةً. واما بانقيادها الى لذة الشهوة المنعوتة منه بلذة ارضية. وذلك حسبما تقوى احدى هاتين اللذتين على الاخرى. فمع المنتصرة منهما تكون الارادة الانسانية مرتضية. فاذا ان كانت قوة اللذة السماوية هي الاعظم. فحينيذٍ تكون هي المنتصرة ضرورةً. وكذلك ان وُجدت اللذة الارضية هي الاشد. فوقتيذٍ ضروري هو ان الارادة تُغلَب منها ❋

ولكن هنا ينبغي ان يُنبَّه بان جانسانيوس لا يقصد بكلامه هذا ان يعني عن اللذة الواقع عليها الرضا من الانسان. ولا عن اللذة التي هي نتيجة الارتضا. لانه لو كان هذا قصدهُ. لكان هو متفقًا في تعليمه مع جميع اللاهوتيين الكاثوليكيين. لانه متى ما وُجدت اللذة مقبولةً من الارادة بتمام الحرية. خلوًا من اضطرار ولا بالضرورة

لكن بمجرد رضا الارادة. فحينئذٍ من دون ريب اى اشكال الارادة هى التى تمارس افعالها حسب اللذة. واما جانسانيوس فيعنى بقوله عن الارادة الغير المرتضية بعدُ. والتى هى فى ذاتها قبل الرضا او الرفض. فهكذا يُفهَم قول القديس اوغوسطينوس بكلماته الشايعة الذكر وهى: انه ضرورى هو اننا نمارس اعمالنا تبعًا لذاك الشى الذى يلذنا بالاكثر: وهذا القول يلزم بالضرورة ان يُفهَم. كما نحن عتيدون ان نبين. عن لذة الارادة المرتضية بعد الاختيار. وهى اللذة التابعة. غير ان جانسانيوس قد فهم كلمات هذا القديس المذكورة فهمًا كاذبًا. وعليها قد اسس هو تعليمهُ كلهُ زاعمًا. ان القديس قصد بها ان يعنى عن اللذة السابقة رضا الارادة مطلقًا. والغير الواقع عليها الحكم بسلب او بايجاب. فاذًا حسب زعمه هذا برتاى هو بانه لا وجودُ للنعمة الكافية. لان هذه النعمة اما هى ذات قوة اضعف. وحينئذٍ لا يمكنها اصلاً ان تكفى. واما هى ذات قوة اعظم ووقتيذٍ تكون هى بالضرورة النعمة الفعالة. لانه هو يجعل مفعول النعمة الفعالة كلهُ قايمًا فى هذا فقط

فقط . اى فى اللذة المنتصرة بالضرورة اضافيةً . وهى اللذة السابقة ارتضا الارادة حيث يقول هكذا : ان النعمة ليست هى الا اما فعالةً واما غير فعالة . ولا وجود للنعمة الكافية . بل ومن النعمة الغير الفعالة لا يمكن ان يحصل الفعل المقصود : * فاذًا من راى جانسانيوس هذا تصدر قضاياه الخمس المحرمة كلها . كانها نتايج ضرورية لازمة . فنحن نترك الثانية والرابعة والخامسة من قضاياه . ونتكلم هنا عن الاولى والثالثة لا غير . لانهما يلاحظان موضوعنا الحاضر . فيقول هو فى قضيته الاولى : ان البعض من وصايا الله هى غير ممكنة ان تُحفظ من الناس الابرار انفسهم . الذين يريدون حفظها . ويغتصبون ذواتهم على ذلك . حسب القوة الحالية الموجودة فيهم . وايضًا تنقص عنهم النعمة التى تجعل لديهم تلك الوصايا ممكن حفظها : ثم يقول : الا اذا كانت اللذة السماوية اشد قوةً من اللذة الارضية . وخلصوا من ذلك لا تقدر ان تغلب الارادة الذاتية المريضة : وقال فى موضع اخر : انه لمن المحال ان تُنتسب الفضيلة منتصرةً حينما توجد اللذة الحسية غالبةً : فاذًا

على زعمه ان النعمة نظرًا الى ذاتها مطلقًا . واذ تُلاحَظ منفصلةً عن الافعال وعن الظروف . فهذه وليُن كانت كلية الكفاية لان تحرك الارادة نحو الصلاح . فمع ذلك نظرًا الى الاضافة . اى حينما تكون اللذة الحسية اقوى من اللذة السماوية (فمن حيث ان اللذة الحسية توجد دايماً متحدةً مع الفعل لمضادتها النعمة كمسلطة) تكون النعمة وقتيذ خاليةً من كل كفاية ومفعول مطلقًا لاجتذاب الارادة الى الرضا بالصلاح . فالاب غرافاصون بكل فطنة كتب بقوله . انه نظرًا الى المقدرة المطلقة التى الانسان بها يحفظ الوصايا بقوة النعمة . فهذه المقدرة حينما تكون اتيةً عن نعمة اضعف من قوة الشهوة الحسية . فبالفعل لم تعد هى مقدرةً . بل هى عدم مقدرة حقيقى . فمن ثَم لا تستطيع حينيذ الارادة على عمل الخير . كما ان الثقل الاقل لا يمكنه ان يقوى على الثقل الاكثر ❋

ولكن ترى كيف هو ممكن فى هذى الحال ان يُحسَب الانسان مذنبًا . ان كان هو لا يحفظ الوصية . اذ تنقص عنه المعونة التى يلزم قلما يكون ان تكفيه

تكفيه لتكميل الوصية . فاعتراضنا هذا هو قوى جدًا . وواضحة عدالتهُ لدى الجميع . حتى ان جانسانيوس عينه سلَّم به معلنًا بقوله : فاذًا كيف لا يكون معذورًا من الخطا ذاك الذى تنقص عنه المعونة . فى الوقت الذى هو فيه خلوًا من هذه المعونة لا يقدر ان يحفظ الوصية : فلنسمعنَّ الان كيف هو يجاوب على هذا الاعتراض . الذى من حيث ان صعوبته هى عظيمة . قد احتال هو فى ان يهرب من تحتها بتقسيمه اياها الى عدة انواع . فيجيب اولاً : بان عدم المقدرة انما يعذر الانسان من الذنب حينما هو يريد ان يحفظ الوصية . ولكنه لا يقدر على حفظها . الا انه لا يعذره حينما هو لا يريد ان يحفظها : اما نحن فنرد الجواب على جانسانيوس . بانه بموجب مبدايه نفسه تلتزم الارادة بان تتبع بالضرورة لذة الشهوة الحسية السابقة الرضا . لاجل ان هذه الشهوة تغلب قوة النعمة . وحينيذ يوجد الانسان غير مستطيع طبيعيًا ان يريد تكميل الوصية . لانه اذ تكون وقتيذ مستولية فيه قوة الشهوة اللجمية . فتوجد النعمة خاليةً من القوة الفاعلية الكافية للانتصار

على الشهوة . بل ان جانسانيوس عينهُ لم يكن مرتابًا بذلك اذ يقول : ان اللذة الرياسية توجب ملزمةً الارادة بنوع ذاتي جوهرى باطن . وتجتذبها بحالٍ عديمة الانغلاب الى الرضا بالموضوع . وبالتالى تعودُ حينيذٍ الارادة معدومةً بالكلية من القوة الاضافية للمقاومة : فالاب غرافاصون يقول : ان الضرورة الموردة فى تعليم جانسانيوس وتلاميذه ليست هى ضرورةً ادبية . بل ضرورة متقدمة وعديمة الانغلاب . والحال انه لا يمكن ان يُسلَّم بهذى الضرورة خلوًا من السقوط واضحًا فى ارتقة مضادة الايمان : واما جانسانيوس فيقول : انه من دون ان توجد فى الانسان لذة النعمة المسلطة . لا يقدر هو مطلقًا ان يتمم الوصية . كما ان الطيران هو عديم الامكان لمن هو خالٍ من جناحين . والنظر لمن فقد بصرهُ . والسمع للاصم . والمشى مستقيمًا لمن تكون رجلاه مكسورتين : وهذا نفسهُ يصدق على من يكون حاصلاً على القوة الباصرة سالمةً فيه . ولكنه يوجد هو فى الظلام فاقد النور . لانه كما ان الاعمى هو عاجز طبيعيًا عن ان يشاهد الموضوعات الحسية . فهكذا هو عاجز عن مشاهدتها الانسان

الانسان الحاصل على البصر. ولكنه يكون هو فاقد النور. اذ ان عدم الامكان الطبيعى ليس هو شيًا اخر. الا ما يكون فايقًا على المقدرة الطبيعية كما هو واضح ❁

فعلى هذه الصورة كل انسان يقدر ان يلاحظ جيدًا. كيف ان جواب جانسانيوس هذا الاول هو فاقد الحقيقة. وخال من امكانية صحته. فلنسمعن الان جوابه الثاني الذى هو اشد اعدامًا من المقدم ذكره اذ يقول ثانيًا ان الوصايا كلها هى ممكنة للانسان. وهو يقدر ان يحفظها. نظرًا الى ان الله يقدر ان يعطيه النعمة لحفظها. وهذه هى كلماته: انه يقال عن البشر كلهم انهم قادرون ان يومنوا. مستطيعون ان يحبوا الله الخ. لان هذه المقدرة والاستطاعة ليسن هى شيًا اخر. الا مفهوميتهم المطيعة. او قابليتهم للاذعان بقدر امكانهم ان يقبلوا الايمان او المحبة: فاذًا على زعم جانسانيوس ان الانسان يخطى اذا خالف هذه الوصايا. من قبيل انه هو موضوع قابل لان ينال من الله النعمة لاجل حفظها. اما نحن فنجيب ضد قايلين. انه على هذى الصورة الاعمى ايضًا يقدر ان ينظر.

والامم ان يسمع . من قبيل ان الله هو قادرٌ ان يهب لذاك القوة الباصرة . ولهذا قوة السمع . فالقول اذًا انه يكفى لان تُسمَّى كل واحدة من الوصايا مستطاعةً . ان يكون الانسان قادرًا على حفظها متى اعطاه الله المقدرة على ان يحفظها . فانما هو قولٌ باطل او خبيث به يُخفَى الحق لكيلا يُعرَف . لانى انا اسال مستفهمًا . ترى اية معونة نعمةٍ يحصل عليها الانسان من قبيل انه هو موضوع قابل لان ينالها . ولكنه فى الحاضر هو خالٍ منها مطلقًا . فهذا هو عين القول ان الانسان لكان يقدر ان يحفظ الوصايا كلها . لو كان هو يقدر ان يحفظها . ولكنه الان لا يقدر على ذلك . قال القديس اوغوسطينوس : ان المريض المحتاج لاجل شفايه الى اخذ الادوية . فهذا لا يمكنه ان يُشفَى خلوًا من المداواة . ولئن كان هو يشتهى الشفا من كل قلبه : *

ثم ان جانسانيوس يجاوب ثالثًا بان حرية ارادة الانسان كلها هى قايمة فى معرفته الموضوع الملذ . واستحسانه اياه راضيًا به . اذ يقول هكذا : اننا بعد فحصنا الاسلسات التى عليها يستند القديس

اوغوسطينوس بخصوص الارادة المعتوقة . نحن نرتاى بان ذاك الشى الذى له قوة على الارادة المعتوقة. فى ان يجعلها ان ترتضى به . او لا تريده . ليس هو شيًا اخر اصلاً . الا معرفة الموضوع واللذة . اى الانعطاف نحو الموضوع الملذ . فنظرًا الى المعرفة لا يهمنا اى نسهب الكلام عنها . لانه لا احد ينكر كونها ضروريةً لاعمال الارادة : فاذًا تبعًا لتعليم جانسانيوس هذا . ان حرية ارادة الانسان توجد قليمةً فى معرفة الموضوع . وفى الالتذاذ به باستحسان لذته . او بالحكومة المتساوية الحال التى بها الانسان يعرف جودة العمل ثم رداوته . مثلاً فى قتل البشر يعرف هو شر الذنب ولذة الانتقام . ولهذا يقول هو اى جانسانيوس فى مكان اخر : ان الائمة انما يخطيون من قبيل انهم بواسطة الشريعة يفهمون شر الخطية : مستخدمًا بذلك كلمات الرسول الالهى القايل : اني لم اعرف الخطية الاَّ بالشريعة : الامر الذى قبل جانسانيوس كان قاله كلفينوس هكذا : ان الغاية بالشريعة اذًا انما هى ان يعود الانسان غير معذور ولهذا تُحدّ بكل صواب . ان هذه الغاية هى معرفة الضمير الذى يميّز فيما بين الخير والشر.

لكى يرتفع من الوسط الاعتذار بالجهل : اما نحن فنجيب قائلين . انه محالٌ هو ان الحكومة المتساوية الحال . اى معرفة الخير والشر المختصة بالعقل فقط . تقدر ان تصور الحرية المعتوقة التى هى بكليتها مختصة بالارادة . لان الحرية لا تتوقف على شى اخر الا على الاختيار المعتوق . الذى به الارادة تصيّر ان يُعمَل الشى او لا يُعمَل ✻

اما الجواب الرابع الذى يعطيه جانسانيوس . فهو خارج عن الصواب واللياقة والحقيقة اكثر من الاجوبة الثلثة المقدم شرحها . لانه يقول : ان حرية الاراة الموردة منا انفًا . ليست هى ضروريةً لارتكاب الخطية . اى لا يلزم ان يكون الانسان خاليًا من كل اضطرار للخطية . بل يكفيه لارتكابه الاثم ان يكون حرًا فى ممارسة العمل . او فى حرية الانتخاب التى بها يقدر ان يمتنع عن فعل تلك الخطية التى تجذبه اليها الشهوة . فى الوقت الذى فيه يلتزم هو بان يفعل خطيةً غيرها : ومن ثمَّ جانسانيوس بقوله هذا يجعل الانسان مضطرًا ضرورةً الى ان يرتكب اثمًا لا بد من فعله . لكى يمتنع عن اثمٍ غيره . ثم يقول هو . ان حريةً هذه صفتها

صفتها تجعل الانسان مذنبًا . وليس وُجد هو مضطرًا لا محالة الى فعل احدى الخطيتين . اى اما المُجرَّب هو لفعلها . واما الهارب هو اليها . وهذا الراى يفسره جانسانيوس فى موضع اخر باوفر ايضاح قايلًا : ان حرية ارادة الانسان الساقط لا تكف عن ان تكون هى ارادةً معثوقةً . فى اية خطية هو يأثم بها . وليس كان يوجد هو مرتبطًا على نوع ما بضرورة ان يخطى . لانه انما هو حرٌّ فى هذا الامر فقط . وهو انتخابه نوع الضرورة . كما يقال فى المدارس : فضدًا لهذا الجواب الرابع يمكن ان تُورَد البراهين كلها . المصرحة منا فى الراس الثاني من هذا القسم ضد يوفانيوس . الذى يرتاى بان البعض من الاثمة يخطون بواسطة حرية العمل المذكورة . وليس كانوا خالين من النعمة الكافية . ولكن ترى كيف يمكن لهذه ان تُسمَّى حريةً بها يقدر ان يخطى الانسان . بارًا كان او خاطيًا . فى الوقت الذى يوجد هو فيه مضطرًا ضرورةً الى ان يخطى . بارتكابه هذا الاثم او ذاك لا محالة . والحال ان القديس توما اللاهوتي يعلّم . بانها لارتقةٌ هى ان يقال عن الارادة انها تفعل ما به يوجَد

العقاب او يُستحق الثواب . ولكن كانت هى مضطرة باطنًا بالضرورة . لا مغتصبة خارجًا على العمل . وهذه هى كلماته فى ذلك : ان البعض يزعمون ان ارادة الانسان تنجذب متحركة من الاضطرار الى انتخاب الشى الذى تختاره . ولا يسلمون بان الارادة هى مغتصبة بذلك ... فهذا الراى هو اراتيكى . لانه يعدم علة استحقاق الثواب . او العقاب عن الافعال الانسانية . لانه ليس هو موضوعًا قابلاً للقصاص . او للاجر ذاك الشى الذى يُعمل باضطرار . ولا يمكن الامتناع عن فعله : هذا ما عدا ما اجمع عليه راى اللاهوتيين . فى انه متى وُجد الانسان مضطرًا لا محالة الى ان يفعل اما هذا الامر الاثيم . او ذاك الفعل الردى . فاذا هو اختار الشر الاصغر منهما لا يخطى ولو انه اختاره برضاه . . اذ انه يوجد هو حينيذ خاليًا من الحرية الضرورية لفعل الخطية . . وبالتالى نظرًا الى هذا الموضوع . فالانسان عندما توجد فيه قوة الم الشهوة فايقة على قوة النعمة . وهو لذلك يختار الخطية الاصغر ، لما كان يخطى ❁

ولكن اذ نضع نحن جانبًا هذه الملاحظات كلها .

نعطى

جعلى الجواب المستقيم قابلين . انه نظرًا الى مبدا جانسانيوس فى شان اللذة المنتصرة اضافةً. لايمكن على الاطلاق ان توجد حرية الممارسة الموردة منه . وهى الامتناع عن خطية لاجل فعل خطية غيرها . على ان مبداءهُ كما ذكرنا قبلًا . هو انه حينما توجد اللذة الجسمية ساميةً بقوتها على اللذة السمويـة . فحينئذ تعود الارادة مضطرةً ضرورةً الى ان ترتـضى رضاءً تحديديًا . بذاك الشى الـتى تـكـون هى مجذوبة اليه طبيعيًا.ولذلك يقول هو اى جانسانيوس فى احد الامكنة . معلمًا بان اللذة المتراسة تبيـد من الوسط عن الارادة حال كونها غير سالبـة ولا موجبة . فيما بين القبول والرفض . لانه كما ان الثقل الموضوع فى احدى كفتى الميـزان . يجـذب اسفلًا ناحية القبان التى كانت قبل وضـع هـذا الثقل معادلةً للناحية الاخرى فى التساوى . فهكذا اللذة تجذب الارادة الى الرضا بذاك الموضوع الحـسى الملذ الذى هى تحركها اليه . ثم يقول هـو عـن ذلك : ان هذه اللذة الجسمية تصير حركاتها محبوبةً مستحسنة . بنوع انها تضاد الحرية المطلقة . مانعةً اياها عن ان تمارس او لا تمارس ما يخصـها .

وجاذبة اياها اضطراريًا الى ان لا تعود تحفظ فيها مساواة الرضا او الرفض : ثم يقول فى محل اخر ما هو مطابق لهذا الايراد. اذ انه هناك يرذل هو راى اوليك القايلين . ان اللذة المتراسة انما تحرك الانسان ادبيًا لا اضطراريًا. وهو يعلن الخلاف بانها اى اللذة تجذب الارادة لا ادبيًا بل طبيعيًا. الى اعتناق الموضوع الملذ اعتناقًا تحديديًا قابلًا : انه يُسمّى عزمًا سابقًا ادبيًا ذاك العزم الذى من قبل الموضوع تشبه اللذة مَن يامر. او يتضرع . ام يقدم المشورة . ولكن هذه اللذة تفعل مفعولها فى الارادة . ومن شدة عذوبتها تجذبها الى ان تريد . وباجتذابها اياها تجعلها ان ترتضى . وهكذا تسبّب لها الاعتماد . وبالتالى هى سابقة عزمها : فاذًا حسب زعم جانسانيوس . ان اللذة هى التى تعزّم الارادة سابقًا وتجتذبها الى اعتناق الموضوع الذى هى تحركها اليه . وذلك قبل ان تكون الارادة عزمت واختارت . فالعلّامة دبرويسيوس لا يرتاب اصلًا فى ان هذا هو فحوى قول جانسانيوس. وهو المقصود منه . ولذلك يقول هو عنه . انه بتعليمه المذكور لا يختلف عن الفيزيونوميين. الذين

الذين كانوا يجعلون الارادة الانسانية خاضعة مطلقًا لمفاعيل الكواكب والنجوم. بنوع ان الارادة تعزم على انتخاب غايتها تبعًا لسبب ما يسبق عزمها . ومثل ذلك كتب السيد ربيش اسافقة فيانا مولف الكتاب المسمى ارا البايوسيين والجانسانيمتيين المتجددة قايلاً : ان اللذة حسن تعليم جانسانيوس اذ تكون حاصلة في درجة قوية سامية على الارادة . فهي توجد عديمة ان تغلب محددة الارادة على العمل خلوًا من ملاحظة ما . او اعتبار لتحديد الارادة نفسها في المستقبل : ❋

فان كان ذلك كذلك فاين توجد اذاً حرية العمل المُدَّعى بها من جانسانيوس في جوابه الرابع . لانه بموجب رايه هو ان اللذة المتغلبة هي وحدها التي تسبق وتحدد الارادة على قبولها . بنوع انه كما ان الثقل الاخف في الميزان . يلتزم بان يسلم ذاته للاثقل منه في ناحية الميزان الاخرى . ويعطيه الرجحان . فهكذا يلزم ضرورةً ان الارادة تسلم ذاتها لمفعول اللذة المنتصرة اضافةً . فاذًا ان اتفق مثلاً ان هذه اللذة تجتذب احد الناس الى الحصول

على مال القريب. فاى نعم انه لكان يمكن له ان يمنع ذاته عن السرقة. ملاحظةً لشانه وسمعته الخصوصية المحبوبة منه. ولكن اذا كان فيه ذلك اما ضعيفًا غير فايق على قوة اللذة. واما معدومًا منه لعدم مبالاته بشانه. فلا ريب فى ان محبته هذه الذاتية لا تنتصر حينيذٍ على اللذة فى السرقة. بل تُغلَب منها. وعلى هذى الصورة تكف وقتيذٍ اكيدًا حرية العمل ✻

فاذ تكلمنا لحد الان بكفاية عن قضية جانسانيوس الاولى. فلناتينَّ الى الخطابَ عن قضيته الثالثة. التى يقول هو فيها هكذا: انه فى حال الطبيعة الساقطة هذه لا يُطلَب فى الانسان لاجل امكانه ان يكتسب الاستحقاقات. او ليستوجب العقابات. ان يُوجَد هو حاصلاً على الحرية الخالية من الاضطرار. بل تكفيه لذلك الحرية العديمة الاغتصاب: فاذًا هنا جانسانيوس يرتاى بانه لاجل رج الاجر. او للسقوط فى الخطية. ليست ضروريةً حرية الارادة المعتوقة الخالية من القبول او الرفض. النافية الاضطرار والضرورة. بل يكفى ان الارادة لا تقاوم. والابلغ من ذلك هو انه اى جانسانيوس قد اتصل الى

الى ان يقول . انها لحماقة هى قضية اوليك الفايليين . ان فعل الارادة فى ذلك هو حرٌ. نظرًا الى ان الارادة تقدر اى تقبل الموضوع او ترفضه . فقضية جانسانيوس هذه الثالثة المحرمة كانها اراتيكية . انما هى ايضًا ناتجة من مبدايه عينه . لانه متى افترض ان الارادة اذ توجد محركةً من اللذة المتغلبة . تلتزم هى بان تطيعها ضرورةً . فينتج بلا بد حسب زعمه . انه يكفى لاكتساب الثواب . ولاستحقاق العقاب ان الانسان يريد ان يوافق اللذة . ولين لم يكن هو قادرًا على ان يترك الارتضا بالموضوع . بل يوجد هو مضطرًا ضرورةً وطبيعيًا بان يريد . ومن ثمَّ بالصواب قد سمى الاب العلامة ساري . تعليمًا ممسوخًا شنيعًا مرذولاً هذا التعليم القايم : فى انه يمكن اكتساب الاستحقاق بالفعل الاضطرارى ضرورةً : بل ان القديس توما اللاهوتي قد سماه قبلًا تعليمًا اراتيكيًا بكلماته الموردة مناسابقًا . التى فليسمح لنا القارى بان نكررها ههنا وهى : ان البعض يزعمون ان ارادة الانسان تنجذب متحركةً من الاضطرار . الى انتخاب الشى الذى هى تختاره .

ولا يسلّمون بان الارادة تُغتصَب . فهذا الراى هو اراتيكى . لانه يعدم علة استحقاق الثواب او العقاب عن الافعال الانسانية . لكونه ليس هو موضوعًا قابلًا للقصاص او للاجر . ذاك الشى الذى يُعمَل باضطرار . ولا يمكن الامتناع عن فعله : * فالبصواب يُسمَّى هذا الراى اراتيكيًا لانه مضاد لنصوص الكتاب المقدس كلها المدونة فى هذا الصدد . قال الرسول الالهى : لصادقٌ هو الله الذى ما يهملكم ان تُمتَحنوا بما يفوق طاقتكم . بل يصنع لكم مع المحنة مخرجًا لكى تستطيعوا ان تحتملوها : (قرنتيه اولى ص ١٠ ع ١٣) واما جانسانيوس فيرتاى بان الانسان يُوجَد بعض الاحيان مُهمَلًا بهذا المقدار من النعمة الالهية . حتى انه لا يقدر ان يقاوم التجربة . بل انه يضطر ضرورةً الى ان يسقط بها . ثم ان النبى موسى قال للشعب : ان الوصية التى انا اوصيك بها اليوم ليست ارفع منك ولا بعيدًا : (تثنية الاشتراع ص ٣٠ ع ١١) وقال الروح القدس : مغبوط الى الدهر الذى استطاع ان يُطغَى ولم يُطغَ . وان يسىء ولم يفعل : (ابن سيراخ ص ٣١ ع ١٠) فاذًا لا يكفى لاكتساب

لاكتساب الثواب ان الانسان يمارس عملهُ مريدًا . بل ضروري هو ان يمارسه بحرية واجبة . اى انهُ يقدر ان يهمل تكميل الوصايا . ولا يكون هو مضطرًا ضرورةً الى حفظها . وهذا عينه يجرى نظرًا الى فعل الخطية بالعكس . اى ينبغى ان يكون الانسان حاصلًا على النعمة لكى يجتنب الخطية . وهو بذنبه لا يجتنبها . وهنا لا فايدة من الاعتراض الذى كان يستخدمه ثاودوروس باظا المنافق . بان الاضطرار ضرورةً المورد انفًا لا يختص بالطبيعة . لكن بالخطية الاصلية التى بها الانسان اختياريًا قد اعدم ذاتهُ الحرية . ولذلك قد عُوقب بعدلٍ فى انه حينما يخطى انما يخطى ضرورةً لا بحرية . فنحن نعطى الجواب عن هذا القول . بانه اذا اتفق لاحد العبيد ان يكسر رجليه بذنبه . فلقد كان يُحسَب سيدهُ ظالمًا . لو انه بعد ان كان غفر له ذنبهُ المذكور . يريد ان يحتم عليه بان يمشى راكضًا كالسابق . وان يعاقبه ان كان هو لا يجرى مسرعًا . ولهذا يقول القديس اوغوسطينوس : انها لحماقة فظيعة . واثم كلى الشناعة هو . ان يُحسَب مذنبًا تحت خطية . ذاك الذى لا يفعل ما لا يقدر على

فعله : ✻

ثم ما عدا ذلك اذا افترضنا المحال . وهو ان الانسان يمكنه ان يكتسب الثواب ويستحق العقاب . اذا مارس هو اعماله اضطراريًا ضرورةً . من دون مقدرة اضافية مضادة . فانا لا اعلم كيف يمكن ان يتفق هذا مع نصوص الكتاب المقدس الاخر القايلة : ان كان يشق عليكم ان تعبدوا الرب . فُيعطى لكم ان تختاروا لانفسكم ما تبتغون لكم . فاختاروا يومنا هذا ما يسركم مَن يجب انكم بالحرى تعبدونه . ان كان الالهة التى عبدها اباوكم فى بين النهرين . ام الهة الاموريين الذين انتم ساكنون ارضهم . فاما انا وبيتى فانما نعبد الرب : (يشوع بن نون ص ٢٤ ء ١٥) والحال انه لا يمكن ان تُعطى الحرية بانتخاب هذه صفتهُ . حيثما تُمارَس الاعمال باضطرار ضرورةً خلوًا من حرية . هذا مع انه فى النص المقدم ذكره تثبت واضحًا الحرية المطلقة . التى للانسان . متميزة من الضرورة . ولهذا يقول باطافيوس فى تفسيره الاية المذكورة : انها لظاهرة واضحًا هى المقدرة التامة على الانتخاب باختيار احد الشيين .

بنوع

بنوع ان الارادة تعود متعلقةً فى الوسط لنريد ما نشاء منهما : ثم يقال فى امكنة اخر من الكتاب الالهى مثل ذلك هكذا : انا اليوم استشهد السما والارض . بانى جعلت امامكم الحيوة والموت . البركة واللعنة . فاذًا اختر لنفسك الحيوة فتحيى انت ونسلك : (تثنية الاشتراع ص ٣٠ ع ١٩) : ان الله منذ البدء صنع الانسان وتركه بيد مشورته . ثم اوصى بوصاياه واوامره . فان احببت حفظ الوصايا فهى تحفظك والى الابد امانة رضية. جعل امامك الماء والنار. فامدد يدك الى ما تريد منهما. امام البشر الحيوة والموت. الخير والشر. فما يرضاه اياه يُعطَى : (ابن سيراخ ص ١٥ ع ١٦) فيضيف باطافيوس الى هذا النص ايضًا كلامه قايلًا : انه لو كان هذا الكاتب الالهى (اى ابن سيراخ) عايشًا الان فيما بيننا . ومختبراً سيرتنا لبحكم عليها . لما كان امكنه ان يورد بكلمات اكثر وضوحًا مما كتبه . فى ان يحدد هو خاصيات الحرية الانسانية . وصفات الارادة المعتوقة : ومثل ذلك تعنى الكلمات الالهية الاخر وهى قوله تعالى :دعوتكم فابيتم : (امثال ص ١ ع ٢٤) : وهم

كانوا متمردين فى النور: (ايوب ص ٢٤ ع ١٣) : صبرت له ليخرج عنبًا فافرع شوكًا :(اشعيا ص ٥ ع ٢): انتم دايمًا تقاومون الروح القدس : (ابركسيس ص ٧ ع ٥١) فامرٌ حقيقى هو ان الاستدعا . وانارة العقل . وتحريك الارادة نحو الصلاح . فهذه كلها هى افعال الروح القدس . ولكن كيف يمكن ان يقال ان الناس يابون الدعوة . ويتمردون وهم فى النور . ويقاومون نعمة الروح القدس . مع انهم يكونون معدومين النعمة المنتصرة . ولذلك يلتزمون ضرورةً بان يسلّموا ذواتهم لالام الشهوة المتغلبة ❋

اما جانسانيوس فيزعم قايلًا : ان الشى الذى انا اوردته قد قاله قبلى القديس اوغوسطينوس . وهو اننا نحن نلتزم ضرورةً بان نفعل ما يلذنا اشد لذةً اذ يقول ما تكرر منا ايراده : انه ضرورى هو اننا نمارس اعمالنا تبعًا لذاك الشى الذى يلذنا بالاكثر : اما انا فقبل ان ارد الجواب على جانسانيوس عن قوله المذكور . يلزمنى ان انبّه بان القديس اوغوسطينوس . لسبب انه التزم فى تلك الازمنة بان يكتب ضد ارتقات مختلفة عن بعضها

بعضها بخصوص نعمة الله . فهكذا قد احتاج هو وقتيذ الى ايرادات مختلفة ذات اسهاب . ولذلك قد تكلم فى امكنة كثيرة عن هذى المادة بمعانى عويصة معتمة بانواع عديدة . ومن ثم حدث فيما بعد ليس فقط ان العلما المدارسيين الكاتوليكيين فى كل من المدارس . قد افتخروا فى انهم مستندون فى ارايهم على اقوال هذا القديس . وليس كانت ارا المدارس مختلفة . وهولاء يضادون اوليك . وكل منهم متخذه سندًا له . بل ايضًا كلفينوس وجانسانيوس المحرمة تعاليمهما من الكنيسة . قد تجاسرا على ان يدّعيا بان هذا القديس هو عضدهما فيما زعماه . على ان كلفينوس يقول فى كتابته ضد بيكيوس هكذا : اننا ما اتبعنا فى اقوالنا الا اوغوسطينوس . . . فاذًا صراخ بيكيوس لا يقدر ان يختطف منا هذا . وهو ان يكون اوغوسطينوس خاصتنا : واما جانسانيوس فيدّعى بان القديس اوغوسطينوس هو معلمه الوحيد . ولذلك قد لقب هو كتابه : باوغوسطينوس : بل ان الجانسانيستيين لا يسمون ذواتهم بلقب اخر الا باوغوسطينيين . فانا من هذا التنبيه لا اقصد ان انتج شيئًا ما

سوى انه لكيلا يحدث الضلال. ينبغي ان تتفسر نصوص كثيرة من اقوال هذا القديس. باتفاق المعاني الموردة منه في نصوص اخر غيرها. يكون هو اوضح فيها حقايق المعاني المبهمة. والآن نرجع الى الموضوع ❋

فنحن قد ابنّا قبلاً كيف ان تعليم القديس المذكور. لا يجب ولا يمكن ان يُفهم عن اللذة المتقدمة على كل عمل. والغير المنتهية بحكم سلبي او ايجابي من قبل الارادة الانسانية. بل انه يلزم ان يُفهم عن الحرية التابعة. لانه في حدوث ان الانسان يقتبل بحريته المطلقة تلك اللذة. فحينيذ بالحقيقة امر ضروري هو ان يمارس عمله تبعًا لها وبموجبها. وهذا يثبت بما قاله القديس عينه في امكنة اخر. حيث يمزج اللذة مع المحبة. او بالاحرى يفسر ان اللذة المتغلبة ليست هي شيئًا اخر. الا ذاك الحب الواقع عليه الرضا. وذاك التعلق القلبي المتسلط فينا بانتخابنا اياه الحر. ونحن اذ نستلذ اختياريًا في اللذة المذكورة. فبالضرورة نمارس عملنا بموجبها. فاذًا القديس لا يقصد بالحصر ان يقول شيئًا اخر. سوى انه ضروري هو ان

ان الارادة تبرز افعالها تبعًا للموضوع . الذى بعد ارتضايها به تحبهُ اكثر مما سواه . لان معلم الكنيسة هذا يقول فى احد المواضع : ان اللذة هى نظير الثقل على النفس يجتذبها معه : كما انه قال فى محل اخر : ان حبى هو ثقلى : وهذا يفسره هو نفسه فى غير موضع واضحًا بقوله : انه يلزم ان يكون حرصنا قايمًا فى هذا الامر وهو اننا بمعونة الله نرتب ذواتنا . بنوع اننا لا نضر انفسنا بمحبة الاشيا السفلية . بل ان نستلذ فى الاشيا العلوية فقط : فها هوذا يعنى القديس بكلامه واضحًا عن اللذة الواقع عليها الارتضا تحديديًا . المقبولة بحرية تامة . ثم قال ايضًا : ترى ما هو الانجذاب الى اللذة . فيجيب المرتل قايلًا : تنّعم بالرب وهو يعطيك سوال قلبك : (مزمور ٣٦ ع ٤) فانظر الاب يجتذب الانفس بالعذوبة واللذة . لا بالاضطرار والسطوة . فان كنا نروم ان نستلذ . يلزمنا ان نكبح اللذة الغير الجايزة . مثلًا حينما نحن نصوم . فمع الصيام اذا شعرنا بالميل الى الخمرة . فهذا يصدر من اللذة الخالية من سلب او اجاب . التى نحن نقدر ان نهذّبها كايجبن بواسطة نور العقل

الرباسى : فاذًا حسب راى هذا القديس ان اللذة الجاذبة الى ما ليس بجايز. يستطيع الانسان حسنًا ان يهذبها بحربة. بواسطة العقل المتراس. وبمعونة النعمة. ولهذا يعرضنا هو قايلاً : ان البر يلذنا بهذا المقدار. حتى اننا نفضله على اللذه الجايزة ايضًا : ثم ان معنى كلمات القديس المذكورة المعترض بها جانسانيوس سندًا له. يتضح باجلى بيان من كلماته التابعة لها. لانه بعد ان قال هذا القديس : انه ضرورى هو اننا نماوس اعمالنا تبعًا لذاك الشى الذى يلذنا بالاكثر: قد اردف كلامهُ بكلامه قايلاً: لانه بالحقيقة ظاهرٌ هو حسب نوع عيشتنا التى نحن نسير فيها. اننا نتبع ما يلذ لدينا. ولهذا اذا اتفق لنا ان نوجد فيما بين موضوعين. احدهما يتضمن وصيةً عادلةً. وثانيهما يحتوى على عادة لحمية. ويكون الموضوعان حاويين ما يلذنا. فحينيذ نحن نتبع احدهما الحاصل على ما يلذنا اكثر لذةً : فاذًا حينما قال هذا القديس : انه ضرورى هو اننا نمارس اعمالنا تبعًا لذاك الشى الذى يلذنا بالاكثر: لم يقصد بذلك شيًا اخر. الا

الا ان الارادة تلتزم ضرورةً بان تمارس افعالها بموجب الشى المحبوب لديها اشد حبًا . وهنا لا يفيد شيًا قول جانسانيوس: أن ذاك الشى الذى يلذ اكثر لذةً . يُحَبّ اعظم حبًا : لاننا نجيب بان هذا المبدا ليس هو صادقًا على الدوام . وفى كل الاشيا . بل ان القديس اوغوسطينوس نفسه يقاوم هذا المبدا بتكلمه عن ذاته فى كتاب اعترافاته قايلًا: اني ما كنت اصنع ما كان يلذني باشد حب وباعظم التذاذ فايق الشبه . مع اني لو اردت لفعلته : مريدًا ان يفهمنا بذلك ان الله قد كان يحركه الى عمل الصلاح بمحبة غير محدودة فايقة الشبه . الامر الذى كان يصيّر لديه الفضيلة محبوبةً ملذةً اكثر من الرذيلة . ولقد كان بمكنه حسنًا ان يفعل البر لو اراد . ولكنه اذ كان هو يقاوم نعمة الله . فكان يرفض الفضيلة ويعتنق الرذيلة ✻

وماعدا هذا لو كان القديس المذكور معتقدًا بانه ضرورى هو باضطرار ان تُمارَس الاعمال حسب تفاضل شدة اللذة . لما كان أستطاع ان يقول هكذا : انه عندما تحرك اللذة الغير الجايزة الام الشهوة

مدغدغةً اياها . فانت قاومها . عاركها . اطردها . لا ترتضي بها . وهكذا تحفظ انت الوصية . ولا تذهب وراءَ شهواتك : ثم قال هو فى موضع اخر : انه يتفق احيانًا ان يوجد شخصان مجربين بتجربة دنسة . متساوية درجتها وقوتها فيهما كليهما . فاحدهما يرفضها راذلًا . والاخر يقبلها معتنقًا . فلما ذلك . لان اولهما يريد ان يحفظ العفة . وثانيهما لم يرد حفظها : قَالَى نعم انه يمكن لمن يقرأ قول هذا القديس المعترَض به (اى : انه ضرورى هو اننا نمارس اعمالنا تبعًا لذاك الشى الذى يلذنا بالاكثر :) ان يرتاب فى هل انه قصد هو بذلك ان يعنى اللذة السابقة الارتضا . او التابعة له . فنحن نقول فى هذا الافتراض هكذا . انه ان كان هو اراد ان يعنى اللذة السابقة الرضا . فلقد كان هو يريد ان ينكر بالتالى . ان الارادة لكى تكون معتوقةً حرةً بالحقيقة . يلزم بالضرورة ان تكون هى معتوقةً ليس من الاغتصاب فقط . بل من لالزام ضرورةً باضطرار ايضًا . والحال اننا نقرأ فى ميات امكنة من تاليفاته . كيف هو يعلّم ما يضاد ذلك بقوله : ان الانسان كما فى الخير كذلك

فى

فى الشر يمارس اعماله خلوًا من اضطرار. او ضرورة : فاذًا حينما هو تكلم عن اللذة المتغلبة المنتصرة. فانما يلزم لا محالة ان يُفهَم قوله هذا عن اللذة التابعة الرضا. والمُحدَّدة من الارادة . وان سالت ياهذا عن الامكنة التى بها القديس يقول ما اشرنا اليه. فانا الان اورد لك بعضها . فقد كتب هو قايلًا : ان ارادتنا لما كانت بالحقيقة ارادةً. لولا تكون هى تحت سلطاننا. لانه ليس هو فى حريتنا الشى الذى ليس هو تحت سلطاننا : واذ يتكلم هو عن قول القديس متى الانجيلى المدون فى الاصحاح v بايراده ان الشجرة الصالحة تخرج ثمرًا صالحًا. والشجرة الردية تخرج ثمرًا رديًا . كتب هو هكذا : فاذًا اذ يقول لك الرب اصنع هذا. او ذاك. انما يوضح انه فى سلطان البشر ان يصنعوا اعمالهم . . فالذى لا يريد ان يحفظ الناموس. فالامر هو فى سلطانه ان اراد : اما كلفينوس فنجيب على ذلك قايلًا: ان اوغوسطينوس يتكلم بهذا عن الانسان بوجوده فى حال البر الاصلى : غير ان الكردينال بالارمينوس قد وجه بكل صواب على زعمه المذكور موضحًا كيف ان القديس اوغوسطينوس . قد

تعاطى فى المحل الموى اليه كلام الا نجيل . حيث تكلم الرب ضد اليهود قايلاً : فمن اثمارهم تعرفونهم : ومن ثمّ لا امكانية مطلقًا للقول ان القديس المذكور قصد بكلماته المقدم ايرادها ان يشير الى ادم . ثم ان هذا القديس بعد كتابته الكلمات المذكورة ضد الاراتقة المانيين . قد كررها جوهريًا فى دحضه الاراتقة البيلاجيين قايلاً : انه حيثما يقال فى الاوامر الالهية . لا ترد لا هذا ولا ذاك : او اينما يقال : افعل هذا الأمر ولا تفعل ذاك : فانما تُطلَب فى الاعمال الارادة . وهنا يظهر بكفاية احتياج الرضا المعتوق . وحرية الارادة : فجانسانيوس المغرض الاخص مع كلفينوس ياخذ بالمقاومة بقوله : ان القديس اوغوسطينوس هنا يتكلم عن الارادة المُغتصَبة . لا عن الاحتياج البسيط الى الرضا : فالجواب هو ان جانسانيوس قد ضل فى هذا ايضًا . لان القديس فى ذلك لم يكن مقاومًا للبيلاجيين . بل كان يسلّم معهم بان حرية المشية هى معتوقة . كما فى الاحتياج الفعّال . كذلك فى البسيط . ولهذا اذ كتب هو ضد يوليانوس . لم يرتَب فى ان يقول : انما كلينا معًا نرتاى

ـ ترتاى بان الحرية الانسانية هى معتوقة . واما ان حرية الارادة تقدر ان تمارس كل نوع من الخير . خلوًا من معونة الله الخ . فهذا انتم تقولونه . وبذلك انتم تابعون الضلال البيلاجى : فاذا قول القديس اوغوسطينوس : اننا كلينا معًا نرتاى ان الحرية الانسانية هى معتوقة : يوضح انه كان هو يسلّم بالحرية المطلقة عينها على العمل او عدمه . الامر الذى كان البيلاجيون يسلمون به . ويريدون الحرية معتوقةً من كل اضطرار ضرورةً . ولهذا لا يوجد ارتياب اصلًا فى ان القديس كان متمسكًا بان الحرية الانسانية هى معتوقة . لا من الاغتصاب فقط . بل من كل نوع من الاضطرار والضرورة ايضًا . وانما كان هو يضاد البيلاجيين فى هذا لا غير . وهو فى زعمهم ان حرية الارادة هى معتوقة حرة فى ان تمارس اعمال البر ايضًا . خلوًا من نعمة الله ومساعدته اياها ❊

ثم ان القديس المذكور اذ تكلم عن حرية الارادة الانسانية . وعن النعمة الفعالة . قد قال : انه لامرٌ عسرٌ جدًا هو توفيق الامرين معًا . وهذه هى كلماته فى ذلك : انه يوجد جدال ومحاورات

بخصوص توفيق حرية الارادة مع نعمة الله . الامر الذى يوجب صعوبات فى الفحص عنه . لانه واضحٌ هو انه حينما يُحامَى عن حرية الارادة . يحال انه يُنكرَ مفعول النعمة الالهية . وعندما يُناضَل عن نعمة الله . يظهر كانه تُسلَب عن الارادة حريتها: فاذًا لو كان هذا القديس يفترض ان حرية الارادة لم تكن معتوقةً من الاضطرار او الضرورة البسيطة. بل هى ناجية من الاغتصاب فقط . لما كان امرًا عسرًا . بل لكان سهلًا هو ان يُفهَم كيف تمارس النعمة مفعولها . فحينما هو يقول ان توفيق ذلك صعب هو جدًا . فانما يقصد ان يبين كيف ان النعمة الفعالة تحصل بتاكيد على مفعولها فى الاعمال الصالحة . واذ تمارس ذلك الارادة بحرية مطلقة . فانما تمارسه خلوًا من ضرورة واضطرار يحجزها عن ان تقدر ان تمارس شيًا غير تلك الاعمال التى تحركها النعمة اليها . او تستطيع ان تريد شيًا اخر غيرها ❁

وما خلا هذا فالقديس كان متاكدًا بانه فى حفظ الوصايا يوجد الانسان حرًا فى تكميلها بمعونة نعمة الله الاعتيادية . او قلما يكون حرًا فى ان يستمد

يستمد معونةً اعظم لاجل حفظها . والاَّ : لما كان الله يامرنا بان نحفظها لو كان تعالى يحتسبها عديمة الامكان للانسان ان يتممها : *

فلنلاحظنَّ الان كيف ان القديس المذكور يثبت رايه المومى اليه نفسه . اى ان حرية الارادة الانسانية هى معتوقة من كل اضطرار . اذ يقول : انه ليس هو بخطية ما لا تفعله الارادة . ولذلك لكان العقاب ظالمًا . لولا يكون الانسان حاصلا على ارادة معتوقة . ولقد كان يوجد هذا الظلم حقًا . لو كان ما يُعمَل من خير وشر انما يُعمَل ضرورةً باضطرار : وقال فى موضع اخر : ترى من لا يسمى احمق ذاك الذى يرسم على احد شريعةً . ولا تكون لهذا حريةٌ بها يقدر ان يعمل ما الشريعة ترسمه . ومن لا يدعو اثيمًا ظالمًا ذاك الذى يعاقب احدًا . من اجل ما لم تكن له استطاعةٌ على ان يتمه : وكتب فى مكان اخر قايلًا : انه لو ان الحركة التى تجذب الارادة الى الابتعاد عن الخير العديم الغيار . تكون طبيعيةً او اضطرارية ضرورةً . لما كان يوجد بهذه الحركة ذنبٌ ما اصلًا : ثم بعد ايراده ان النعمة المتقدمة هى ضرورية لاجل عمل الخير يقول : الى

اقتبال دعوة الله او رفضها . انما هو خاص بالارادة : وبذلك يعلم هو واضحًا ان الارادة تستطيع بكل حرية ان تطيع النعمة . وان تقاومها . وهنا لا يفيد جانسانيوس شيًا زعمه الباطل . ان القديس اوغوسطينوس لم يقصد بكلماته هذه الاخيرة ان يبيّن شيًا اخر . سوى ان القبول والرفض انما هما مختصان بوظيفة الارادة . والحال انه لا يمكن لاحد ان يصدّق . ان القديس قد اهتم خلوًا من غاية فى ان يبين . ان القبول والرفض هما مختصان بوظيفة الارادة . لا بوظيفة العقل . الامر الذى لا يجهله ولا الفارغون من كل علم . بل الابلغ من ذلك هو ان القديس قبل ان يورد الكلمات المذكورة قال : انه لا سلطان لاحد على ما ياتي فى عقله : فاذًا يظهر جليًا انه يتكلم هو من دون ريب عن سلطان الارادة الحر . فى ان تقبل او ترفض ذاك الشى الذى ياتي فى العقل . واذ يورد هو ما يلاحظ الشجرة الصالحة التى تاتى باثمار صالحة . والشجرة الردية التى تخرج ثمرًا رديًا يقول : انه لا يقدر احد ان يصنع الشجرة الا لله . وتوجد فى ارادة كل احد ان يختار لذاته الصالحة

الصالحة او الردية منها. فاذًا مما قاله الرب اصنع هذا او ذاك. يستبين واضحًا ان العمل هو تحت سلطان المشية: وفى تفسيره العون المسمّى من دونه يقول: انه من دونه لا تستطيع المشية ان تريد. وبه يبقى الامر تحت سلطان الارادة فى ان تريد او لا تريد. وان تشاء بهذا النوع او بذاك ام لا تشا: فمن جميع ما تقدم ايراده يبان جليًا جدًا. كم كان القديس اوغوسطينوس بعيدًا بعدًا شاسعًا عن راى جانسانيوس الزاعم. ان الارادة الانسانية ليست هى معتوقة فى افعالها من الاضطرار. وبابلغ من ذلك هى مضطرة ضرورةً الى ان تتبع اللذة المتغلبة. التى تحركتها تجتذب المشية الى الرضا بنوع عديم ان يُغلَب ❋

اما نحن فلكى نختتم الخطاب فى هذا الشان حسب مقصودنا. الذى اردنا ان نثبت به ان الرب يمنح لكل من البشر اما. النعمة القريبة. واما النعمة البعيدة التى هى الصلوة لاجل حفظ الوصايا. (لانه لو كان الامر بالخلاف لما امكن ان يُحسَب على احد خطيةً اهماله حفظها) نقول انه يكفى ان نضع هنا القضيتين الكاتوليكيتين المضادتين

لقضيتى جانسانيوس الاولى والثالثة . فهو يقول فى الاولى : ان البعض من وصايا الله هى غير ممكنة ان تُحفظ من الناس الابرار انفسهم . الذين يريدون حفظها . ويغتصبون ذواتهم على ذلك حسب القوة الحالية الموجودة فيهم . وايضًا تنقصهم النعمة التى تجعل لديهم تلك الوصايا ممكنًا حفظها : اما القضية الكاثوليكية المضادة هذا الضلال فهى هذه : انه ولا واحدة من وصايا الله هى غير مستطاعة ان تُحفظ . قلما يكون من الابرار . الذين يريدون حفظها ويعتصبون ذواتهم على ذلك . وانه لا تنقص عنهم حتى ولا حسب القوة الموجودة عندهم فى الحال الحاضرة عينها . النعمة (اما القريبة او قلما يكون البعيدة) التى بها يمكنهم . اقله بواسطة ان يستمدوا المعونة الاقوى لكى يتمموا الوصايا : وهنا ينبغى تحديد التنبيه . بانه لاجل الاحتراس من السقوط فى الضلال الجانسانيستى المحرم . لا يكفى ان يُسلَّم بالاستطاعة العمومية على حفظ الوصايا . لان استطاعةً هذه صفتها يسلم بها الجانسانيستيون انفسهم . بل يلزم اكثر من ذلك ان يُسلَّم بالاستطاعة الاضافية ايضًا الى اللذة الجمية الحالية .

التى

التى تفوق استطاعة النعمة لحفظ الوصايا . حيثما هذه تحوج قلما يكون لاستمداد النعمة الضرورية لحفظها . لانه فى هذا الامر بالحصر هو قايم ضلال جانسانيوس . اى فى نكرانه الاستطاعة . لا العامة بل الاضافية ✠

اما قضية جانسانيوس الثالثة فيقول هو فيها هكذا : انه فى حال الطبيعة الساقطة هذه . لا يُطلَب فى الانسان لاجل امكانه ان يكتسب الاستحقاقات . او ليستوجب العقابات . ان يوجد هو حاصلًا على الحرية الخالية من الاضطرار . بل تكفيه لذلك الحرية العديمة الاغتصاب : فاذًا القضية الكاثوليكية المضادة هذه هى : انه فى حال الطبيعة الساقطة هذى ايضًا . يُطلَب فى البشر ابرارًا كانوا او اشرارًا . لامكانية اكتسابهم الاستحقاقات . او لكى يستوجبوا العقابات . ان يكونوا حاصلين على حرية الارادة ناجيةً . ليس من الاغتصاب فقط . بل من الاضطرار البسيط ايضًا : على انه بموجب التعليم الكاثوليكى هو ان للشى المراد طالما يكون مختارًا ضرورةً . ليس هو حرًا بتلك الحرية الكافية لان يُكتسَب فى هذه الحيوة

الاستحقاق . او ليُستوجب العقاب . ولكنه يحتاج لعمل البر. او لارتكاب الاثم . ان تكون الارادة معتوقةً من كل اضطرار. تلتزم هى به بان ترتضى تحديديًا باحد الموضوعين المضادين *

وبالاجمال ان الاب فورتوناتوس الذى من مدينة براشيا . الممدوح جدًا من كل العلما المتاخرين . لاسيما من العلامة موراطورى . يقول فى تاليفه المشتهر حديثًا الملقب : بدحض تعليم كورنيليوس جانسانيوس : انه لو اتفق ان يكون تعليم جانسانيوس حقيقيًا . لكانت الشريعة الالهية اما باطلةً . او ظالمةً : لانه تبعًا لتعليمه ان كانت اللذة السماوية تتغلب فى الانسان . فحينيذ وليس لم تكن الشريعة فى الوجود . فالارادة الانسانية هى مضطرة ضرورةً الى ان تتبع تحديديًا حركة اللذة المذكورة . وعلى هذى الصورة لكانت الشريعة باطلةً . واما اذا تغلبت فى الانسان اللذة الارضية . فلكانت وقتيذ الشريعة ظالمةً . لانه لكان يصدق القول ان الله يرسم على البشر ناموسًا غير مستطاع طبيعيًا ان يحفظ منهم . اذ ان الارادة حينيذٍ تلتزم باضطرارٍ ضرورةً بان تسلم ذاتها

للتجربة

للتجربة راضيةً بها . وفى هذى الحال لكانت عديمة الافادة التهديدات كلها . والنصايح باجمعها . المدونة فى الكتاب الالهى . بل ولما كان وجودٌ ما لفعلٍ بشرى على الاطلاق . يستحق الانسان به الثوابَ . او يستوجب من اجله العقاب . لانه لقد كانت توجد افعال البشر كلها اضطرارية ضرورةً . ومن ثَمَّ لكان يمكننا ان نرد الجواب على من ينصحنا بان نعيش بالصلاح . بما كان يقوله ابو المورخين اوسابيوس ضد الفطاليستيين هكذا : ان هذا ليس هو فى سلطانى، يا معلم . لان القدرات تفعله اذا اردنَ (اى ان كانت اللذة الجمية لا تتغلب) لانه انما يحدث ضرورةً ذاك الشى الذى يكون مُقدَّرًا : اى اننى مضطر ضرورةً الى ان اتبع اللذة الغالبة . ثم يقول الاب المقدم ذكره . اننا اذا سلمنا بتعليم جانسانيوس . فيلزمنا بالضرورة ان نسلم بضلال المانيين . المتضمن التعليم بوجود مبدايين للخليقة . احدهما صالح وثانيهما طالح . ثم على زعمهم من حيث ان الاعمال كلها انما تصدر من احد هذين المبدايين . فيلتزم الانسان بالضرورة ان يتبع فى اعماله ذاك

المبدا الغالب منهما . وهنا لا فايدة للهرب من ذلك بالقول . ان هذه الضرورة فى شان اللذة المنتصرة . لا تصدر لا عن المبدا الصالح . ولا عن المبدا الطالح كما يرتاى المانيون . بل انها صادرة عن خطية ادم التى هى العلة فى ذلك . والحال ان الجدال هنا ليس هو واقعًا على اىّ مبدا تمارس الارادة افعالها بالضرورة . حيثما تكون هى محركة منه . لكن على ان كانت الارادة بعد خطية ادم قد بقيت خاليةً من الاضطرار فى اعمالها ام لا . فهذا هو ذاك الشى الذى ينكره جانسانيوس وتلاميذه . الذين يرتأون بان الارادة تقدر جيدًا بافعالها ان تستحق الثواب . وان تستوجب العقاب . ولَيْن كانت مضطرةً ضرورةً الى ان ترتضى بذاك الموضوع المحدود لها من قبل اللذة المتراسة . غير انه كما ينبه حسنًا الاب فورتوناتوس المقدم ذكره . بان كتب الجانسانيستيين كلها . لاسيما تلك المولفة من ارنالدوس . وابربناوس . وفانتروكيوس . انما قد تحرمت لاجل انه فيها وُجد مثبتًا مبدا جانسانيوس بخصوص اللذتين المغير المغلوبتين حسب علو درجاتهما . ثم نعلم ايضًا انه لهذا السبب

قد

قد تحرمت قراءة التاليف اللاهوتي المصنف من يوفانينوس . الذى ولو انه لم يكن هو متمسكاً بالمبدا المذكور بنوع صريح . فمع ذلك قد تكلم هو بعدم فطنة عن هذا الموضوع كلاماً مظلماً مبرقعاً قايلاً : ان النعمة الفعالة طبيعيًا لا توجد فى شى اخر. الا فى اللذة المنتصرة التى العقل يتجنب بها نحو الخير: فاى نعم انه لم يقل هذا عن اللذة المنتصرة اضافةً . ولكنه بعد ذلك يثبّت هو غضيته هذه بكلمات القديس اوغوسطينوس المعترض بها من جانسانيوس . والموردة منا عدة مرات وهى : انه ضرورى هو اننا نمارس اعمالنا تبعاً لذاك الشى الذى يلذنا بالاكثر: ولهذا قد استمرت ممنوعةً قراءة التاليف المذكور زمناً مديدًا ولم يُعطَ فيما بعد السماح بقرائته . الا غب ان اضيف اليه ملحقٌ واسع معنون : تعليم الكنيسة الحقيقى : ماخوذ من لاهوت العلامة تورنيلى . الذى بنوع فريد ذى اسهابٍ قد دحض المبدا المرقوم . ثم ان الاب فورتوناتوس يختتم اخيراً اقواله هكذا : انه لواضح هو ان التعليم الجانسانيستى قد بقى ملايمًا لهم (اى للكلفينيين واللوترانيين ثم

ليوفانينوس)واعطاهم سبيلاً رحبًا.ولهذا لا يقدر الرجل الكاتوليكى ان يناصل عنه خلوًا من ان يقسط تحن ذنب انثلام الايمان . لانه لا يمكن ان يستمر الايمان اكيدًا . والديانة سالمةً . عند من يحامى عن هذا التعليم . الذى يضع اساسات هكذا سندًا عليها تُشجب بالضرورة قواعد الايمان المثبتة : ومثل ذلك قصد المعلم طورنيلى بكلماته القايل هو بها : ان الكنيسة قد شجبت خمس قضايا جانسانيوس بالمعنى المقصود منه . لانها اى الكنيسة كانت بالضرورة شجبت فى تعليمها من قبل تعليمه هو بخصوص اللذة المتغلبة بتاكيد . والمنتصرة اضافةً . الامر الذى هو اساس اقواله كلها : ❀

ثم لا اعتبار مطلقًا للقول : انه شئٌ هو تعليم جانسانيوس عن اللذة المُفترضة منه منتصرةً باضافة سابقة العزم . اى التى تاتي الينا خلوًا من قبول ما صادر عن ارادتنا . وشئ اخر هو التعليم بان هذه اللذة هى المنتصرة اضافةً نظرًا الى علو درجاتها . ولكن هى بعد العزم . لان هذه اللذة لا تنتصر وحدها وبقواها الذاتية (كما يقول المعضدون للتعليم المذكور

المذكور) ولكنها تغلب بمساعدتها من قوى الارادة المرتضية: ولذلك يقول هولا. ان اللذة المتغلبة ولين كانت تنتصر لا محالة. وبنوع عديم الارتياب. فمع ذلك لا تنتصر هى اضطراريًا بضرورة. حسبما كان يزعم جانسانيوس. فالجواب عن ذلك يعطيه حسنًا المعلم طورنيلى: بان تلك النعمة (او بالحرى اللذة) التى هى فعالة بنوع عديم الزلل. ومجتذبة الارادة باسلوب عديم الانغلاب. لاجل تراس درجات قوتها. لا يمكنها ان لا تكون مضطرة الارادة ضرورةً على الارتضا بها: ثم يثبت هو قوله هذا هكذا: ان النعمة المضطرة. او الملزمة ضرورةً انما هى تلك التى تفترض ان الارادة هى عديمة من القوة الحقيقية على المقاومة. فهذه هى بالحصر النعمة الفعالة بنوع عديم الزلل وفاقد الانغلاب. لاجل تراس درجات قوتها. لان نعمةً هذه صفتها تفترض ان الارادة لا توجد حاصلةً الا على قوى ضعيفة دنية للمقاومة. والحال انه لامر مضاد نور العقل هو ان القوى الرياسية التى تبرز افعالها بقوة التراس. تحصل مغلوبةً من قوى ضعيفة دنية مرؤسة. والا لكان امرًا ضروريًا

هو ان القوى المروسة تبرز افعالها بنوع يفوق درجات القوة الفاعلية الموجودة فيها : ❋

وهنا لا يفيد قول مَن يزعم تكرارًا . انه اى نعم ان قوى النعمة المنتصرة اضافةً هى رياسية. ولكن هذا نظرًا الى مقابلتها مع الشهوة الالمية فى ذاتها . وملاحظةً الى قوى هذى الشهوة وحدها . قبل ان تضاف اليها قوى الارادة . فالجواب يعطيه المعلم تورنيلى نفسه بقوله : ان قوى الارادة المومى اليها ممكن ان يُسلَّم بفاعليتها فى هذا الحادث فقط . وهو نظرًا الى الشر الذى يقدر الانسان ان يفعله بذاته . فلما يكون حينما ينتصر هو على رذيلة ما بواسطة رذيلة اخرى غيرها . او على الكثير نظرًا الى الخير الطبيعى . ولكن لا نظرًا الى الخير الفايق الطبيعة . ولا لكى ينتصر هو على شهوة المية شديدة القوة . الامر الذى لا يستطيع هو ان يصنعه بدون نعمة الهية . فلهذا قد كان الاباء الديوسبوليتانيون طلبوا من الاراتقة البيلاجيين ان يعترفوا فيما بين الاشيا الاخر بهذى القضية ايضًا . وهى : انا حينما نحارب مقاومين اية تجربة كانت من التجارب الحسية الغير الجايزة . فنحن لا نغتصر عليها من قبل مجرد

مجرد ارادتنا الخصوصية. بل بقوة معونة الله الذاتية: والسبب فى ذلك هو مورد من القديس توما شمس المدارس بقوله: انه ولا مبدا واحد من المبادى الفعالة يمكنه ان يبرز شيًا متفاوتًا عن حدود فاعليته. ولهذا لا يقدر مبدأ ما طبيعى. او علة ما طبيعية. ان تصدر معلولاً فايق الطبيعة. بل انها تستطيع هى على هذا فقط. وهو انها بقوة فاعليتها الذاتية المختصة بها تبرز معلولاً يخصها ذاتيًا حسب قواها الخصوصية: فاذًا قوى الارادة الانسانية الطبيعية. ولو انها تكون مضافةً الى قوى النعمة التى توجد اضعف من قوى الشهوة الالية. لا تقدر ان تساعد على اصدار مفعول فايق الطبيعة. نظير الانتصار على تجربة الميتة متغلبة بالشهوة بدرجات فايقة على درجات النعمة. وتاكيدًا لزعم جانسانيوس يقول تابعوه هكذا: فليُسلَّم لنا بان اللذة تنتصر بكل تاكيده لسبب قواها المتراسة وهذا يكفينا: فاحد هولا وهو الاب بورسايس قد كتب قايلاً: انه يكفينا ان يُسلَّم لنا بهذى الحقيقة وحدها. وهى اننا حينما نطاوع نعمة الله. فهذا انما يحدث دايمًا

من قبيل ان الحب القويم النقى . الذى يحركه الله فينا . هو رياسى بالقوة على الحب الاثيم . ومن حيث انه هو متراس قوة عليه فمن دون ريب . بل بكل تاكيد يسموه ويغلبه : ومن ثم اذ يتكلم المعلم طورنيلى عن الرابيين اللذين احدهما يختص باللذة المنتصرة مطلقًا . وثانيهما يلاحظ اللذة المنتصرة اضافةً . فهو يختتم خطابه عن ذلك قايلاً : اننا قد عرفنا فيما بين اللاهوتيين الارثودكسيين اناسًا يضادون ما يخص قوة النعمة الفعالة . فى اللذة المنتصرة بنوع بسيط . والمنتصرة بنوع مطلق . واما غيرهم من اللاهوتيين فيعلّمون بانه توجد فى النعمة الكافية قوة مقتدرة للانتصار على الشهوة الحالية المضادة لها . ولكننا ما عرفنا احدًا اخر من اللاهوتيين . سوى المحامين عن راى جانسانيوس . الذين يناضلون عن النعمة المنتصرة اضافةً لاجل تراس درجاتها . من دون ان يسلموا بوجود نعمة اخرى كافية . الا بتلك التى هى مروسة تحت سمو درجة الشهوة المضادة لها المتراسة عليها : ✻

فنحن اذًا لكى نمضى الخطاب نقول . اننا لا نقصد هنا

هنا ان نرذل الراى المقول بموجبه . ان الارادة
فى حين اتباعها اللذة العظمى ايضًا . تمارس هى
مع ذلك افعالها دايمًا بحرية . اى خلوًا من
اضطرار ضرورى . وبقوة حقيقية (لا بقوة ذات اسم
فقط . او افتراضية بل حقيقية) تقدر هى
بواسطتها ان تصنع الخلاف . ولكننا نرذل ذاك
الراى وحده . وهو الذى بموجبه يرتاى المضادون .
بانه حينما تكون منتصرةً احدى اللذتين السموية
او الحسية . لاجل علو درجات قوة هذه الواحدة على
الاخرى . فحينيذ لا تبقى فى الانسان مقدرة لمقاومة
المتغلبة فيها . وللانتصار عليها . لسبب ان
القوة الرياسية بلا بد تغلب القوة التى دونها *
غير اننى مع ذلك لا استطيع فى هذا الموضوع .
ان اهمل ايضاح الارتياب . او المشكل الحاصل لى
فى شان اللذة المنتصرة اضافةً . فيقول المحامون
عن هذى القضية . ونظيرهم يعلّم الاب يوحنا
دورانسوس بارتى . ان فاعلية النعمة بالنوع الذى
هم يوردونه . لا تختلف جوهريًا عن الفاعلية التى
يعلم بها التوماويون . وليس كان التعليم موسسًا
على مبادى مختلفة . على ان التوماويين يجعلون

فاعلية النعمة قايمةً فى عزم تحديدى طبيعى متقدم فى الزمن . واما المحامون عن القضية المذكورة انفًا . فيجعلون فاعلية النعمة قايمة فى اللذة المتغلبة . ثم يقولون ان هذه اللذة تصيّر العزم التحديدى المرقوم قايمًا فى فعل الارادة الثاني . بتخصيص حرية الارادة فى ان ترتضى بالموضوع . وهذا كله تفعله اللذة المتغلبة . فاذًا بموجب الرايين المذكورين تبقى موجودةً فى الانسان القوة كاينةً فى فعل الارادة الاول . وبموجبها هو يمارس الشى الضدى . وبالنتيجة ان الارادة تبرز دايمًا افعالها خلوًا من اضطرار *

اما انا فالاحظ بالصواب . انه كما ان مبادى هذين الرايين هى مختلفة . وبراهينهما هى متباينة . فهكذا نتايجهما ايضًا هى متعددة . على ان علة فاعلية النعمة بموجب راى التوماويين . انما هى موسسة على كون ان الارادة المخلوقة هى حاصلة فى قوة انفعالية . لانها كاينة فى قوة تقتبل حركات النعمة ومفعولاتها . ولذلك ضرورى هو لممارسة العمل ان توجد الارادة محركةً من الله . بحسب كونه تعالى هو الفاعل الاول . والعلة الاولى

الحرة

الحرة التى تخصص القوة بالفعل . وتحددها بـه . هذا نظرًا الى الفعل . واما نظرًا الى القـوة . او المقدرة فيقول التوماويون . ان الانسان هو حاصل على نعمة القوة كاملةً بجملتها . ومهياةً بنوع قريب لعمل الخير . فهكذا يقول الاب غونـات : ان النعمة التى تعطى الانسان المقدرة . هى تعطيـه كمال الفعل كله ايضًا . مع القوة بجملتهـا . اى الكفاية المطلوبة نظرًا الى مبدا العمل : وقـال الكردينال غوتي : ان النعمة الكافية تعطى القدرة القريبة المهـياة نظرًا الى القوة : ومثلهما يقـول التوماويون الاخرون اجمعون . بل اذا استبان ان البعض منهم يتكلمون بالخلاف . فانما يقصدون بقولهم فعل الارادة الثانى لا الاول ❁

واما علة فاعلية النعمة بمـوجـب راى اوليـك المحامين عن اللذة المتراسة فى درجاتها . فانما هى موسسة (كما هم يقولون) على انه كانت تـكـفى للانسان فى حال البر الاصلى . النعمة الكافيـة . ليقدر هو ان يعمل الخير . على انه اذ كانت توجد فيه حينيذ حرية الارادة سالمةً من العطب . وكانت فيه درجات المشية والحرية متساويةً بالتمام . فقد

كان يمكنهُ حسنًا ان يعمل الخير بمعونة النعمة الكافية وحدها . خلوًا من احتياجه الى النعمة الفعالة . ولكن فى الحال الحاضرة بعد سقطة ادم . قد اضحت الارادة محتاجةً الى النعمة الفعالة . التى بواسطة اللذة المنتصرة تجتذبها الى ان تصنع اعمال البر . من حيث انها اى الارادة قد انثلمت بخطية ادم . وعادت مايلةً بانعطاف نحو الشر . غير اني اقول انه من السبب المذكور الموسس عليه راى المومى اليهم . اى ان الارادة فى الانسان قد انجرحت مسقومةً بهذا المقدار . حتى انها تحتاج هى فى الوقت الحاضر الى النعمة الفعالة . لنقدر ان تمارس اعمال الصلاح . لا يمكن القول ان الانسان بقوة النعمة الكافية هو حاصل على القوة القريبة المهياة لحفظ الوصايا . او على المقدرة لفعل اى عملٍ صالحٍ كان . حتى ولا بالواسطة التى بها يقدر هو ان يهبى ذاتهُ . لينال النعمة الاعظم لاجل حفظ الناموس . لا فى مبداء الفعل . ولا بنوع اخر من الانواع اصلاً .

فانا اعلم ان المحامين عن الراى المقدم ايراده . لا يستصعبون ان يسلموا بذلك قايلين . ان النعمة

النعمة الكافية فى الحال الحاضرة . لا تعطى القوة الكافية . اى لا تعطى القوة الكاملة المهياة . كما كتب احدهم الاب ماجادوس بقوله : ان النعمة الكافية لا تعطى قوةً تامةً قريبةً ومهياة : واذ يتكلم هو عن النعمة فى ادم البار . وعن النعمة فى ادم الساقط يقول : ان القوة فى ادم البار كانت تُفترض مهياةً وحرة . وهى فى ادم الساقط ممنوعة وعبثة : ❋

بل الابلغ من ذلك هو انه اذ يُفترض . ان النعمة الاضعف من قوة الشهوة . لا تعطى الانسان القوة التامة المهياة لحفظ الوصايا . فبالحقيقة ما عاد ممكنًا لهذى النعمة ان تُسمَّى كافيةً . على انه كما ان الاب بارتي السابق ذكره المحامى عن اللذة المنتصرة اضافةً . لا يجد صعوبةً فى ان يسلم بهذا ايضًا . وهو ان هذه النعمة الاضعف يلزم ان تُسمَّى بالخصوص نعمةً غير فعالة . لا نعمة كافية . فهكذا تبعًا لتعليمٍ كذا . لا وجود مطلقًا للنعمة الكافية لحفظ الوصايا . عند اوليك الذين لا يعطيهم الله النعمة الفعالة . بواسطة اللذة المنتصرة اضافةً . فاسمع ايها القارى ما يقوله

الاب المذكور فى محاماته عن هذا الراى . بعد تدوينه الثلث الاعتراضات الموردة ضده من اخصامه . وهى تلك التى تنبعث عنها رايحة تعليم جانسانيوس . كونها هى ينبوع خمس قضاياه المحرمة واصلها . تلك التى لجانسانيستيون المحدثون هم غير بعيدين عنها . وفيما بينهم يوجد باعلى درجة اثنان ليسا بتابعين حقيقيين للقديس اوغوسطينوس . وهما الابوان بالولى وبارتي . اللذان ضدهما قد كتب رييس اساقفة فيانا كلامه الحاضر . فالشى الاول من هذى الثلثة هو . انهم لا يجعلون النعمة الفعالة قايمةً فى اللذة المنتصرة بنوع بسيط . بل فى اللذة المنتصرة اضافةً . اما الشى الثاني فهو . انهم ينكرون على اللذة الاوطى بالدرجات . القوة القريبة المهياة . مدّعين بانه تلزم اللذة الاقوى من قبل القوة ومبدا الفعل . وعلى هذه الصورة توجد النعمة الغير الفعالة (او بالحرى النعمة التى من دونها يكف العمل) عديمة ان تكون هى نعمةً كافية حقيقية . وذلك لا تبعًا لراى المولينيستيين . ولا اتباعًا لراى التوماويين . مع ان الراى العام عند العلما الكاتوليكيين

الكاثوليكيين اجمعين هو. ان النعمة الكافية تحوى قوةً قريبة مهيأة . واما الشى الثالث فهو الصادر نتيجةً عما تقدم ايراده . اى انهم يرفعون من الوجود حقيقة النعمة الكافية . التى هم بخباثة يكرهون اسمها ايضًا . ملقبين اياها بالنعمة الغير الفعالة احرى من انها كافية . فالاب بارتي بعد اصغايه الى هذه الثلثة الاشيا الموردة ضده من اخصامه يجاوب هو عليها هكذا قايلًا: انى بالحقيقة وخلوًا من كل ارتياب اعلن. ان الثلث القضايا الموردة انفًا المتضمنة ثلثة روس تعليميه . هى بجملتها خالية من الغلط مطلقًا . وليست هى من مبادى الخمس القضايا المحرمة . بل ان البعض من الناس قد تحركوا بالغيرة الى دحض جانسانيوس . ولكنهم اذ انجذبوا من خداع رايهم الذاتي . لم يميزوا فيما بين الراى الكاثوليكى . وبين الراى المحرم . ومن تاليفاتهم فى هذا الشان قد اتخذ سبيلًا . الرجل المجهول الاسم (اى ربيس اساقفة فيانا) المملو ادعاءً باطلًا . ومثله اخرون من اوليك القليلين المعرفة . والمدعين بلا اساس بالعلوم . فى ان

ينهموا بضلال الارتقة المكروه . اعتقادات القديس اوغوسطينوس . الغير القابلة ان تُدحَض (وهى الاعتقادات نفسها التى نحن نعتقدها . ان شاءت اخصامنا وان لم يشاوا) انتهى كلام لاب بارتى *

فانا ايضًا الان اعترف باني واحدٌ انا من هولا القليلى المعرفة والغليظى العقل . لانى لا اقدر ان افهم كيف تتفق قضايا الاب بارتى احداها مع الاخرى . لان نتايج هذى القضايا يناقض بعضها بعضًا بنوع واضح . على انه لو كان هو يقول . انه لاجل حفظ الوصايا الالهية يحتاج الانسان الى النعمة الفعالة . ولكن النعمة الكافية التى تُعطَى للناس كلهم هى تمنح القوة القريبة لممارسة الصلوة . وانه بواسطة الصلوة تُستمَد بعد ذلك المعونة الاعظم والضرورية لحفظ الوصايا فعليًا . لكنا حينيذٍ نحن متفقين معه فى الراى والتعليم . لان حكومتنا ورايتا هما كذلك بالحصر . كما نحن مزمعون ان نبرهن حقايقهما فى الراس التابع . غير ان الامر هو بالخلاف . لان هذا الاب اذ يتكلم عن الصلوة يقول : انه اى نعم ان كلَّ من المومنين يقدر بواسطة النعمة الكافية (اذا لم

يضع

يضع هو لها من قبله مانعًا) ان يصلى . واذ يتوسل يمكنه ان ينال العون الغير المتوسط لتكميل الناموس : وقال هو عينه باجلى عبارة : ان ذاك الحاصل على الارادة الضعيفة (وهى تلك الارادة الممنوحة للجميع من النعمة الكافية) هو حاصل على القوة القريبة الكافية لممارسة الصلوة . وهى الكافية البعيدة لحفظ الوصايا التى يقدر هو ان يتممها . لانه بواسطة الصلوة هو يستمد الارادة القوية : والحال ان هذه الارادة القوية انما تكتسب من قبل النعمة الفعالة . فاذًا يقول الاب المذكور . وقوله هذا هو بكل حكمة . وهو انه نظرًا الى حفظ الوصايا . لا يمكن ان يقال ان النعمة الكافية تعطى الجميع قوةً قريبة لحفظ الناموس عمليًا : لانه (كما يقول هو نفسه اى الاب بارتى) نظرًا الى القوة القريبة لحفظ الوصايا . فهذه هى القوة التى لا تحتاج فى وضعها بالعمل الى واسطة اخرى . ومن ثَمَّ ان القوة التامة والمهيأة لا يمكن للانسان ان يحصل عليها الا من النعمة الفعالة . فاذًا لكى يستطاع القول ان النعمة الكافية هى كافية بنوع قريب . لان يُمارَس

بواسطتها العمل . يُطلَب انها لا تحتاج هى الى واسطة اخرى لممارسة العمل : فهوذا الاب بارتي يوضح باقواله المذكورة ان النعمة الكافية لا تهب جميع المومنين القوة القريبة لحفظ الشريعة . بل انما تصيّر الجميع ان يحصلوا منها على القوة الكافية بنوع قريب لممارسة الصلوة . فاذًا يقدر كل واحد من المومنين بواسطة النعمة الكافية وحدها ان يصلى . من دون احتياجه فى ذلك الى واسطة اخرى . اى واسطة النعمة الفعالة ❋

غير انى لا افهم كيف ان هذا جميعه يتفق مع ما قاله الاب بارتي عينه فى مكان اخر هكذا : لا احد مطلقًا خلوًا من النعمة التى هى فى ذاتها فعالة . هو حاصل على قوة ممارسة الصلوة بالعمل: فاذًا حسب تعليم قضيته هذه الاخرى فبالاسم فقط . لا بالحقيقة . لكانت النعمة الكافية تمنح الانسان القوة على نوع قريب لممارسة الصلوة . لو كان يحتاج هو الى النعمة الفعالة . لكى تستطيع القوة الضرورية للصلوة ان تبرز الى العمل * على انه اما ان الانسان لا يقدر ان يصلى عمليًا . خلوًا من ان يكون حاصلًا على النعمة الفعالة . وعلى هذى

هذى الصورة لا يمكن القول عن النعمة الكافية انها تمنح القوة بنوع فوري بكفاية لممارسة الصلوة. واما انها اى النعمة الكافية تمنح حقًا هذه القوة منحًا قريبًا لوضع الصلوة بالعمل. وحينئذ لا داعٍ ولا احتياج لاجل المقدرة على الصلوة. الى النعمة الفعالة المختصة باللذة المتراسة. التى هذا الاب بطلب وجودها فى الانسان ليقدر ان يصلى. فهنا الاب بارتي المذكور يجيب عن نفسه قائلًا: ان القديس اوغوسطينوس عينهُ يطلب لوضع الصلوة بالعمل وجود اللذة المنتصرة بقوله: انه لضرورى هو وجود مفهومية اكيدة ولذة منتصرة لاجل ممارسة الصلوة: فالجواب هو اني قد اردت ان اراجع هذه الشهادة المأخوذة عن القديس اوغوسطينوس فى اصلها. فرايتها مدونةً منه هكذا: فلنتفهم. ان قدرنا. بان الله الرب الصالح. لاجل هذا لا يهب بعض الاحيان حتى ولا لقديسيه انفسهم. لا المعرفة الحقيقية الاكيدة. ولا اللذة المنتصرة الملايمة لعملٍ ما صالح: لكى يعرف هولا القديسون. انه ليس من قبل ذواتهم هم حاصلون على النور الذى هو ينير ظلماتهم. ثم على العذوبة

التى لاجلها تعطى ارضهم ثمرها : فمن هذه الكلمات يتضح للقارى ان القديس اوغوسطينوس لم يقل انها ضرورية لممارسة الصلوة اللذة المنتصرة. بل انه ما قال ههنا شيًا اخر . اى ان الله بعض الاحيان لا يهب حتى ولا لقديسيه . لا العلم الوطيد ولا اللذة المنتصرة لاجل احد اعمال البر. حتى يفهموا انه منه عزّ وجلّ لا منهم هو النور المنيرهم والعذوبة المخصبة اثمارهم ❋

فاذًا هذا القديس اولاً لا يتكلم هنا عن النعمة الكافية . التى بها ومعها يقدر الانسان ان يمارس عمله . ولكنه لا يمارسه دايمًا . ثم ولا يقول هو ان المرء بواسطة النعمة الكافية . وخلوًا من النعمة الفعالة لا يقدر ان يمارس الصلوة عمليًا . بل انه قد تكلم عن النعمة الفعالة فقط . التى بواسطة اللذة المنتصرة تجعل الانسان بنوع عديم الانغلاب ان يعمل ما تجذبه هى اليه . ثانيًا لا يتعاطى القديس شيًا فى النص المذكور مختصًا بالصلوة . بل يتكلم عن الاعمال الصالحة التى يفهم بها حفظ الوصايا خاصةً . او اتباع المشورات . اذ ان الصلوة وليّن كانت فى ذاتها هى شيًا

شيًا صالحًا . فمع ذلك ليست هى بالحصر عملًا نظرًا الى طبيعتها . لكنها هى واسطة لاكتساب المعونة المساعدة على الاعمال الصالحة ﷺ

اما نظرًا الينا فنحن ايضًا نرتاى . كما سبق القول بانه لحفظ الناموس ضرورية هى النعمة الفعالة . غير اننا نقول انه لاجل ممارسة الصلوة بالعمل . وبواسطة الصلوة نستمد النعمة الفعالة . تكفينا النعمة الكافية التى يهبها الله لكل واحد من المومنين . وهكذا يصدق القول ناجيًا من كل تعلل . بان الوصايا الالهية ليست هى عديمة الاستطاعة على احد . لان كلًا بواسطة النعمة الكافية وحدها . يقدر ان يصنع الاشيا السهلة نظير ممارسة الصلوة . وبواسطة الصلوة يمكنه ان يستمد النعمة الفعالة المجانية . الضرورية لصنيع الاشيا الصعبة عمليًا التى هى تتميم الوصايا . فبهذا النوع عينه يتكلم الكردينال دانوربس . الذى عتيد انا ان اورد كلامه عن ذلك فى الرامى التابع . بل على هذا الاسلوب قد علّم قبلًا القديس اوغوسطينوس قايلًا : لاجل انه يُعتقد بثبات كلى . بان الله لا يامر باشيا

غير مستطاعة . فلهذا قد اتضح لدينا ماذا يلزمنا صنيعه فى الاشيا السهلة . وما الذى يجب علينا ان نلتمسه فى الاشيا العسرة : والا اى اذا لم تكن النعمة الكافية تكفينا لممارسة الصلوة عمليًا . بل كان يلزمنا لذلك النعمة الفعالة دايمًا . وهذه يتفق ان يُنكَر اعطاوها على البعض . كما انها حقًا تُنكَر على كثيرين . فانا لا اعلم كيف يمكن ان يقال ان الوصايا الالهية هى ممكنة على مثل هولا . وكيف يستطيع الله ان يطلب منهم حفظ ناموسه . بعد نكرانه عليهم النعمة الفعالة ايضًا . الضرورية (كالزعم الضدى) لممارسة الصلوة عمليًا . ثم باى نوع يحكم عليهم بالهلاك فى جهنم . ان كانوا لا يحفظون شريعته . فهذا الامر بالحصر هو الذى صيّر جانسانيوس ان يقول : ان البعض من الوصايا لا يستطاع حفظها مطلقًا حتى ولا من الابرار : على انه قد كان هو بغلط محض يزعم . انه تنقص عن البعض من الناس تلك النعمة التى تجعل لديهم الوصايا ممكنةً . ولكن الامر كله هو بالخلاف . لان الله يعطى الجميع (وانما يُستثنَى الكفرة والخطاة المصرون على عدم التوبة) النعمة القريبة

القريبة . التى بواسطتها يمارسون الصلوة فعليًا. كما مزمعون نحن ان نثبّت ذلك فى الرأس الاتى تسطيره . وعلى هذى الصورة ولا واحد من البشر. اذا لم يحفظ الناموس يستفيد شيًا . ان اعتذر بانه ما كان لديه حفظ الوصايا مستطاعًا . لان هذا الانسان وليُن لم تكن تُعطَى له النعمة الفعالة . لكى يحفظ الشريعة بالفعل . فمع ذلك قد نال هو النعمة القريبة الكافية لكى يصلى فعليًا . وبواسطة الصلوة لكان ينال من الله حسب وعده الالهى بان يستجيب لمن يدعوه متوسلًا . النعمة الفعالة التى بواسطتها لكان هو اكيدًا وخلوًا من كل ريب حفظ الوصايا * وهذا هو بالحصر ما قد اعلنه المجمع التريدنتينى (ضد لوتاروس الزاعم ان حفظ الشريعة الالهية هو غير ممكن حتى ولا للمومنين) قايلًا: ان الله لا يامر بشى غير مستطاع. بل اذ يامر ينبه محرضًا اياك باهذا على ان تصنع ما تقدر عليه . وان تطلب المعونة على ما يفوق قدرتك . وهو تعالى يساعدك فى ان تستطيع ان

❋ تصنعه : ❋

الرأس الرابع

فى ان الله يعطى الجميع نعمة الصلوة . اذا هم ارادوا ان يصلوا . لانه تكفيهم لذلك النعمة الكافية وحدها . التى هى نعمة عمومية للكل

انه اذ قد ثبت بتاكيد ان الله يريد الناس كلهم ان يخلصوا . وانه عز وجل نظرًا اليه يعطى الجميع النعم الضرورية ليكتسبوا بمعونتها الخلاص الابدى . فمن ثَمَّ نقول انه قد اُعطين لكل انسان نعمةٌ فى ان يقدر فعليًا ان يصلى . من دون ان يحتاج فى ذلك الى نعمة خصوصية جديدة . ثم بواسطة الصلوة يستطيع هو ان يستمد كل المعونات المساعدة اياه على حفظ الوصايا . ويفوز بالحيوة السرمدية . ولكن هنا نحن ننبه بانه اذ نقول . ان الانسان بنعمة الصلوة يقدر ان يصلى فعليًا . من دون احتياجه الى نعمة اخرى جديدة . فبهذا لا يُفهَم ان النعمة العمومية المذكورة تعطى الانسان المقدرة على الصلوة . خلوًا

من

من النعمة المعينة والمساعدة اياه. لانه لاجل ممارسة اى نوعٍ كان من افعال البر. تُطلَب من دون ريب بعد النعمة المحركة. النعمة المعينة ايضًا. او المساعدة على العمل. بل انما يُفهَم قولنا المقدم ايرادهُ. بان النعمة العمومية تهب كل انسان الاستطاعة على ان يصلى فعليًا. خلوًا من احتياجه الى نعمة اخرى متقدمة. تحدد ارادتهُ طبيعيًا او ادبيًا على ان يضع فعل الصلوة بالعمل. ولهذا نحن ندون ههنا قبل كل شى اقوال اللاهوتيين الكثيرى العدد. والشهيرين فى العلوم الذين يعلّمون بهذه الحقيقة بحسب كونها اكيدةً راهنةً. وبعد ذلك نوضح براهين ثباتها بقوة الشهادات. ثم بواسطة الدلايل والنور الطبيعى العقلى ❁

فهذا هو تعليم اللاهوتيين اسامبرتوس. والكردينال دوبارون. والفونسوس لاموبين. وغيرهم خاصةً اونوراتوس طورنيلى المتكلم عن هذا الموضوع باسهاب وحسب المقصود. فجميع هولا العلما كما نحن عتيدون ان نصف يثبتون. ان كلًا من الناس يستطيع بواسطة النعمة الكافية

العمومية وحدها ان يصلى فعليًا . خلوًا من ان يحتاج فى ذلك الى معونة اخرى . وهكذا بواسطة الصلوة يقدر هو ان ينال كل النعم التى تساعده على تقيم الاشيا الاكثر صعوبةً ❋

ومثل هولاء اللاهوتيين يعلّم الكردينال دانوربس الكلى النيافة . الذى يبرهن ان الانسان اذ تلزمه الوصية . هو قادر بواسطة النعمة العمومية وحدها ان يصلى اذا اراد . خلوًا من معونة اخرى. ويثبّت ذلك قايلاً : انه لواضح هو انه يلزم ان تكون القوة لممارسة الصلوة قريبةً فى الانسان البار . او بالاحرى المومن . لانه لو كان المسيحى حاصلاً على القوة البعيدة للصلوة بنوع بسيط (وهنا لا نعنى عن الصلوة بنوع حار) لما كان هو حقًا ممتلكًا قوة قريبة لاجل التماس نعمة الصلوة . وبغير ذلك لكان يتصل الحال الى ما لا ينتهى : على انه اذ قد ثبت امرًا ضروريًا لحفظ الوصايا اننا نصلى . كما برهنا عن ذلك بكفاية حينما تكلمنا عن احتياجنا ضرورةً الى الصلوة . فبكل حكمة يقول العلامة المذكور . ان كلًا من المومنين هو حاصل على القوة القريبة لممارسة

لممارسة الصلوة . لكى يكتسب بها القوة القريبة لعمل الصلاح . ولهذا الجميع يقدرون ان يصلّوا بواسطة النعمة العمومية . خلوًا من معونة اخرى . والا اى لو كنا محتاجين فى اكتسابنا القوة القريبة لاجل فعل الصلوة الى قوة اخرى . لكنا نحتاج فى نوالنا هذه القوة الاخرى الى نعمة قوة اخرى . وهكذا لكنا نتصل الى ما لا ينتهى . ولما كان حينيذٍ فى يد الانسان امكانٌ فى ان يساعد هو فى عمل خلاص نفسه ❁

ثم ان هذا الكردينال عينهُ فى مكان اخر يثبّت التعليم المذكور بافصل اسلوب قايلاً : انه لقد اعطى للناس فى حال الطبيعة الساقطة ايضًا . العون المُسمَّى : من دونه : (وهو النعمة الكافية العمومية للجميع) الامر المضاد لراى جانسانيوس . وهذا العون يثمر فينا الصلوة ثمرًا ضعيفًا . اى الصلوة القليلة الحرارة . فى نسان حفظ الوصايا . والحال انه نظرًا الى وضع الوصايا بالعمل فهذا العون المُسمَّى : من دونه : هو عونٍ بعيد لا غير . وبواسطته يُستمَد العون المُسمَّى به الذى هو النعمة الفعالة . المقيدة الى

تكميل الوصايا : فاذًا هذا الكردينالُ هو متمسك. بانه اكيدٌ هو ان كل انسان فى حال الطبيعة الساقطة الحاضر . هو حاصل على العون المُسمَّى : من دونه : اى النعمة العمومية التى من دون احتياج الى عون اخر تبرز عمل الصلوة . التى بها تُلتمَس النعمة الفعالة المساعدة على حفظ الناموس . ومن هذا الايراد يُفهَم جيدًا معنى تلك القضية المقبولة عمومًا فى كل المدارس وهى : اذ يعمل الانسان ما هو عليه . فالله لا ينكر عنه نعمته : اى ان من يمارس الصلوة . فلانه يستخدم النعمة الكافية استخدامًا حسنًا . وبها يصنع هو الاشيا السهلة نظير التضرعات والطلبات . فالله لا ينكر عليه اعطا النعمة الفعالة . لكى يتمم هو بالعمل الاشيا العسرة ❁

ومثله يرتاى الفقيه لودوفيكوس توماسينو. الذى فى الاول يظهر انذهاله من اوليك القايلين . ان المعونات الكافية العمومية لا تكفى بالحقيقة . لا لوضع شى ما مهما كان من الافعال الصالحة بالعمل . ولا لتجنب خطية ما قايلاً : انه ان كانت هذه المعونات هى معونات حقيقية . وتعطى القوة

القوة القريبة . فكيف يحدث انه من البشر الفايق احصاؤهم . الذين يحصلون بهذا النوع على المعونة . لا يحفظ احدٌ منهم الوصايا . وترى باى نوع تُنسَّى هى معونات كافيةً حقيقيةً . ان كانت بالعمل ضروريةً هى النعمة الفعالة . فاذًا لا قوة كافية لذاك الانسان الغير الحاصل على المعونة الضرورية . التى ليست هى تحت سلطانه : فقد اراد هذا الفقيه ان يعنى بقوله المذكور . انه لكى يمكن ان تُسمَّى النعمة الكافية كافيةً حقًا . يلزمها ان تعطى الانسان قوةً قريبةً ومهياة لممارسة العمل الصالح فعليًا . ولكن حيثما يحتاج الامر الى نعمة اخرى التى هى النعمة الفعالة لممارسة العمل . فاذا لم يكن الانسان حاصلاً على هذه النعمة الفعالة (قلما يكون المتوسطة) الضرورية للخلاص . فكيف يمكن القول ان النعمة الكافية تعطيه هذه القوة القريبة المهياة . والحال ان القديس توما اللاهوتى يقول : ان الله لا يغفل عن ان يفعل الشى الضرورى للخلاص : فاى نعم انه من الجهة الواحدة لا يلتزم الله بان يعطينا انعامه . لان النعم ليست هى التزامات

ولكن من الجهة الاخرى اذ انه حقيقي هو ان الله قد رسم علينا وصاياه . فهو من ثَمَّ ملزوم بان يهبنا المعونة الضرورية لاجل حفظها . ومن حيث انه عزَّ وجلَّ الزمنا بان نحفظ فعليًا ايضًا كل واحدة من وصاياه . في الزمن عينه الذي فيه يلزمنا هو بتتميمها . فهكذا جلت عدالته يلتزم فعليًا ايضًا بان يعطينا المعونة (قلما يكون المتوسطة والبعيدة) الضرورية لاجل حفظ الوصايا . من دون احتياج الى نعمة اخرى غير عمومية للجميع . ثم بعد ذلك يختتم كلامهُ لودوفيكوس المذكور بقوله . انه لكي يُسلَّم بان النعمة الكافية تكفي الانسان في عمل خلاصه . وبالخلاف ان النعمة الفعالة هي ضرورية لاجل حفظ الناموس كله . يلزم ان يقال ان النعمة الكافية انما تكفي لممارسة الصلوة . ولعمل بعض افعال سهلة . وانه بواسطة هذه الصلوة والافعال تُستمَدُ من الله النعمة الفعالة . لاجل تتميم الاشيا العسرة . فهذا الايراد هو من دون ارتياب مطابق لتعليم القديس اوغوسطينوس القايل : انه يُعتقَد بثبات كلي . بان الله لا يامر باشيا غير مستطاعة . فلهذا قد اتضح لدينا ماذا

ماذا يلزمنا صنيعه فى الاشيا السهلة . وما هو الذى يجب علينا ان نلتمسة فى الاشيا العسرة : فلذلك الكردنيال نوريس ايضًا . بعد استخدامه كلمات القديس المذكورة يختتم كلامه قايلًا : فاذًا نحن نستطيع بالتمام والكمال ان نمارس الاعمال السهلة والجزية . خلوًا من ان نطلب من الله ان يعطينا لممارستها النعمة الاعظم والمعونة الاقوى . التى انما نلتمسها منه تعالى لاجل ممارسة الافعال العسرة : ثم ان العلامة توماسينو يستشهد على صحة هذه القضية اقوال القديس بوناونتورا . والمعلم سكوطوس وغيرهما . ويقول اخيراً : ان اللاهوتيين كافةً يقبلون التعليم عن المعونات الكافية . التى هى كافية بالحقيقة . وهذه فالارادة احيانًا تقبلها . واحيانًا لا تقبلها : ثم ان العلامة المذكور يثبّت ذلك ضمن اربعة اقسام من تاليفه . موردًا لاجل تاييد حقايقه الاقوال المستعملة فى المدراس جيلًا بعد جيل . باسهاب كلى . مبتديًا بالتاريخ منذ سنة ١١٠٠ ❋

وكذلك الاسقف هابارتوس الفابراني احد علما مدرسة سربونا الذى كان هو اول الذين كتبوا

ضد جانسانيوس يقول هكذا : فنحن نرتاى ان النعمة الكافية هى النعمة التى بها يستعد الانسان متاهبًا لاقتبال النعمة الفعالة . اذ انه حينما هو يستخدم النعمة الكافية استخدامًا حسنًا . فالله يهبه بالحقيقة النعمة الفعالة المتممة مفاعيلها فى الارادة المخلوقة : فهذا الاسقف انما قال كلامه المذكور عقيب قوله : ان علما المدارس الكاثوليكية اجمعين . قد اعترفوا ويعترفون بانه توجد عند الجميع نعمة ما حقيقية جوهرية . بها تستطيع الارادة ان تختار الخير مرتضيةً به . ولكن مع ذلك تقدر الارادة لاجل حريتها المعتوقة ان تقاومها ولا تختار الصلاح : ويستشهد هو على صحة ذلك اقوال العلما غاماكوس . ودوفاليوس . وايسامبارتوس . وباراتسيوس . ولامويين وغيرهم . ثم يتبع كلامهُ قايلاً : فاذاً المعونات المختصة بالنعمة الكافية هى استعدادية وماهبة للنعمة الفعالة . بل انها حسب النوع الابتدايى هى بالحقيقة فعالة بطريقة غير كاملة . لانها تستمد اولاً النعمة البعيدة . ثم النعمة الاقل بعدًا . واخيرًا النعمة القريبة . وهى افعال الايمان والرجا والخوف

والخوف . وضمن هذه كلها هى افعال الصلوة . ومن ثَمَّ العلّامة الشهير الفونسوس لاموبنوس يعلّم . بان النعمة الكافية هى نعمة الطلب والتوسل بالصلوة . المكرر عنها القول مرات عديدةً من الطوباوى اوغوسطينوس : فاذًا بموجب تعليم هابارتوس تتميز النعمة الفعالة عن النعمة الكافية بهذا الامر . وهو ان الفعالة توجد متحدةً مع مفعولها الكامل . واما الكافية فتستمد مفعولها اما بدون لزوم . لانها احيانًا تناله واحيانًا لا تبلغ اليه . واما بواسطة اى بممارسة الصلوة . وما عدا ذلك يقول هو . أن النعمة الكافية حسب استخدامها الجيد من الانسان . تاهبه معدةً اياه لاكتساب النعمة الفعالة . ولهذا هو يسمى النعمة الكافية فعالةً ايضًا حسب النوع الابتدابى . ولكنها غير مكتملة . واخيراً قال ان النعمة الكافية هى نعمة الطلب والتوسل بالصلوة . ويخصنا نحن ان نستعملها بافادة . كموجب تعليم القديس اوغوسطينوس . ولاجل ذلك لا يوجد للانسان اعتذار عن ذاته . اذا لم يصنع ذاك الشى الذى لاجل تكميله هو حاصل على النعمة الكافية .

التى بواسطتها خلوًا من معونة اخرى . اما انه يمارس اعمالهُ . او انه قلما يكون يستمد العون الاقوى لكى يمارسها . ثم يقول هو نفسه . ان هذا التعليم هو عام فى مدرسة سربونا *

وكذلك كارلوس دوبلاسيس دارجانتره . الذى هو ايضًا من علما سربونا . يأتي باقوال لاهوتيين كلى عددهم . الذين يعلّمون بانه يمكن حسنًا ان تُمارس بواسطة النعمة الكافية اعمال كثيرة سهلة . وبانه اذ يمارس الانسان بواسطة هذه النعمة الكافية عملهُ . يستمد هو بعد ذلك المعونة الاشد قوةً . لاجل اصلاحه الكامل وتوبته الصادقة . ثم بهذا المعنى نفسه يقول هو كما اوردنا قبلاً . انه ينبغى ان تُفهَم تلك القضية المقبولة من كل المدارس وهى انه : اذ يعمل الانسان ما هو عليه (بواسطة النعمة الكافية) فالله لا ينكر نعمته عنه : اى النعمة الاغنى وهى الفعالة ❁

واما الرجل السامى فى العلوم ديونيسيوس باطافيوس . فباسهاب جزيل يبرهن مثبتًا . بانه بواسطة النعمة الكافية وحدها يمارس الانسان الخير . بل اتصل هو الى ان يقول . ان الادعا بالخلاف هو شى مكروه

مكروه شنيع كانه مسخ . وان التعليم المقدم ذكره هو ليس تعليم اللاهوتيين فقط . بل تعليم الكنيسة الجامعة ايضًا . وبعد ذلك قال هكذا : ان النعمة الضرورية لحفظ الوصايا. تُعطى تبعًا لممارسة الصلوة . التى هى موهبة ممنوحة من الله فى حال رسمه تعالى الناموس : فاذًا كما ان الناموس قد رُسم على الجميع . واشهر لديهم كافةً . فهكذا للجميع قد اُعطين موهبة الصلوة ❊

ثم ان مصنف كتاب اللاهوت حسب سلوك مدرسة باطروكورا يقول : انه بواسطة النعمة الكافية وحدها . يقدر البعض من الناس ان يمارسوا الخير. وبعض الاحيان يمارسونه حسنًا . بنوع انه من شخصين يكونان حصلا على معونة متساوية . فاحدهما يصنع الاعمال السهلة التى تسبق التوبة الكاملة . وثانيهما لا يصنع مثله : وبعد ذلك يورد المصنف المذكور. ان هذا التعليم هو موسس على اقوال القديسين اوغوسطينوس وتوما . وتلاميذهما الاولين . خاصةً الاب برتولوماوس مادينا القايل : انه يحدث احيانًا ان الانسان الخاطى يتوب بواسطة النعمة

الكافية وحدها : وانا قد وجدت مدونًا فى تاليف الاب لودوفيكوس غراناتا ايضًا . ان هذا القول عينه هو تعليم اللاهوتيين عمومًا . اذ يقول هو هكذا : ان علما اللاهوت كافةً قد اجمعوا على ان المعونة هى نوعان . احداهما هى المختصة بالنعمة الكافية . وثانيتهما هى الاتية عن النعمة الاقوى والاغنى . بل يحدث احيانًا ان الانسان بواسطة هذه المعونة الاولى يتوب . ويتفق اوقاتٍ انه يرفضها ولا يتوب : ثم يضاف الى ذلك ان اللاهوتيين يجددون . ان المعونة الاولى تمتد بوجه العموم الى البشر كلهم . ولهذا يقول البلطروكوراوى : انه يقدر الانسان ان يصنع بعض افعال صالحة . واحيانًا حقًا يصنعها . وذلك بواسطة المعونة الكافية وحدها . مثلًا كالتوسل ٭ باتضاع . وبواسطة هذه الافعال ياهب هو ذاته لاقتبال نعم اخر : واذ يتكلم هو عن ان هذا انما هو ترتيب العناية الالهية الاعتيادى بخصوص النعم يقول : ان نعمةً تُعطى بعد نعمة . حسب الاستخدام الجيد الذى به تُستخدم النعمة المتقدمة : واخيرًا يختم كلامهُ بقوله : ان التوبة الكاملة . والثبات الاخير

الاخير. يستحقها الانسان لذاته اكيدًا بواسطة ممارسته الصلوة . التى يصنعها بمعونة النعمة الكافية. وعن هذى النعمة لا تتاخر اصلًا النعمة الفعالة : ✻

ومثل ذلك يرتاى الكردنيال داكوير. التابع تعاليم القديس اوغوسطينوس فى كل شى . ثم ان الاب انطونيوس بوكات . احد رهبان القديس فرنسيس باولا . يحامى عن هذه القضية . وهى ان كل انسان يقدر بواسطة الصلوة فقط . خلوًا من معونة اخرى جديدة . ان ينال نعمة التوبة . وهذا الاب ياتي هو لاثبات ذلك باقوال العلما غاماكاوس. ودوفاليوس . وهابارتوس . ولاموبيين . وبطرس طارانتاسيا اسقف طولانسه . وغودارتوس دايفونتى . وانريكوس داكانطافو. الذين هم كلهم من معلمى مدرسة سربونا. جملةً مع السيد لبينى المعلم الملوكى . الذى فى تاليفه بخصوص النعمة يوضح جليًا . ان النعمة الكافية تمنح الانسان لا قوة الصلوة فقط. كما قال لاموبين. والعلامة ايليا . بل انها تعطية ان يمارس ايضًا الاعمال الصالحة السهلة . والاقل صعوبةً . وهذا نفسه قد

ايده بايضاح غاودانسيوس بونتامى بقوله . انه بواسطة النعمة الكافية تُستمد النعمة الفعالة بطريقة الصلوة . التى تُعطى لكل من يريد ان يستخدمها بنوع مفيد لنفسه . ثم ان الكردينال روبارتوس بولو. يوطد رايه على وجود هاتين النعمتين . فاحداهما هى منتصرة دايمًا . وثانيتهما تارةً يمارس بها الانسان اعماله . وتارةً لا يمارسها . وهذا هو ايضًا راى الاب العالم فورتوناتوس الذى من براشيا . بتعليمه فى ان الجميع هم حاصلون على النعمة المتوسطة لحفظ الوصايا . وهذه النعمة هى الصلوة . وبايضاحه خلوًا من كل ارتياب ان هذا هو راى القديس اوغوسطينوس ايضًا *

وكذلك العلّامة ريكاردوس الذى من سان فيتوره. يبرهن حقيقة وجود النعمة الكافية . التى احيانًا الانسان. يوافقها ساعيًا معها . واحيانًا يقاومها . ثم ان عبد الاحد سوطوس يسال كمستفهم . لماذا يتفق ان الله الكلى الاستعداد والرافة . اذ يدعو بواسطة الهاماته شخصين مثلاً الى التوبة. فاحدهما تجتذبه هذه النعمة تايبًا . والاخر لا يتوب . وهو نفسه اى عبد الاحد المذكور يرد الجواب

الجواب عن ذلك قايلًا : انه لم يكن لهذا الفرق سببٌ اخر. سوى ان احد الشخصين يعطى رضاه بقبوله دعوة الله ساعيًا مع النعمة. واما الشخص الاخر فلا يسعى معها : ثم ان متيا فاليجيوس. فى تاليفه الذى صنعه ضد كلفينوس . يحد النعمة الاعتيادية او الكافية هكذا : انها هى حركة الهية. او بالحرى الهام باطن يحرك الانسان نحو الخير. وهذا لا يُنكَر اعطاوه على احد. غير ان البشر بانواع مختلفة يتصرفون مع هذى النعمة . لان البعض من الناس يروضون ذواتهم . وهكذا يذاهبون الى اقتبال النعمة الملكية . لانه امر موكد هو ان الله لا يهملْ ذاك الذى يعمل ما هو فى مكنته . واما الاخرون فيقاومون هذه النعمة : ويقول المعلم اندراوس فاغا : ان هذه المعونة التى تُعطَى للجميع . فانما تُدعَى غير فعالة. لانها لا تبرز مفعولها دايمًا . بل انها بعض الاحيان تُقاوَم مرفوضةً من الخطاة : فاذًا النعم الكافية تارةً تثمر مفاعيلها فى الانفس . وتارةً لا تثمر❋

وهكذا الكردينال غوتي ليس هو مخالفًا لراينا. كما يبان من قوله فى احد الامكنة من تاليفه

اللاهوتي . لانه اذ يورد هناك هذه الصعوبة . وهي كيف يقدر الانسان ان يثبت على عمل البر . ان اراد . والحال ليس فى مقدرته ان يحصل على المعونة الخصوصية المطلوبة لذلك . فيرد هو نفسه الجواب قايلًا : انه ولئن لم يكن فى استطاعة الانسان نواله معونةً خصوصيةً هذه صفتها . فمع ذلك يقال انه لفى مقدرة الانسان هو ذاك الشى . الذى هو يمكنه ان يطلبه من الله وينالهُ منه تعالى . وبهذا النوع يقال ان البشر هم حاصلون على المقدرة . فى ان ينالوا المعونة الضرورية لثباتهم فى عمل الخير . الامر الذى يستمدونه بواسطة الصلوة : فمن ثَمَّ لكى تتحقق هذه القضية وهى . انه فى مقدرة الانسان هو الثبات على الخير . فكما هو ضرورى ان المرء يقدر بواسطة الصلوة ان يستمد العون فى ان يثبت بالفعل على عمل البر . من دون احتياجه الى نعمة اخرى . فهكذا ضرورى هو ايضًا انه بمعونة النعمة الكافية وحدها . المعطاة للجميع عمومًا . يقدر الانسان خلوًا من احتياجه الى نعمة اخرى . ان يمارس الصلوة بالعمل . وبواسطة الصلوة ينال بعد ذلك نعمة الثبات

الثبات . والاّ لما كان ممكنًا ان يقال . ان كلاً حاصل على النعمة الضرورية . قلما يكون البعيدة والمتوسطة بالصلوة . لان يثبت على عمل البر . ولكن على فرضية ان الكردينال غوتي الكلي النيافة لا يفهم الامر على هذى الصورة . فقد فهمه بهذا النوع القديس فرنسيس سالس بقوله . ان نعمة ممارسة الصلوة عمليًا قد اُعطيت لكل احد يريد ان يستخدمها بافادة . ومن هذا المبدا يُستنتَج ان الثبات هو فى مقدرة كل احد . الامر الذى يوضحه القديس المذكور جليًا فى تاليفه المسمى : ثاوتيموس : حيث انه بعد ان يبرهن هناك . كيف انه ضرورى للانسان ان يواظب مداومًا على الصلوة . لكى ينال من الله نعمة الثبات الاخيرة . يقول هكذا : انه لاجل ان موهبة الصلوة قد اُعطى بها الوعد مطلقًا . لكل اوليك الذين يريدون ان يقتنلوا الالهامات السماوية . فبالتالى انه لفى مقدرتنا هو الثبات : وبهذا التعليم نفسه يعلّم الكردينال بالارمينوس قايلاً : انه لقد اعُطيت للجميع المعونة الكافية للخلاص . فى المكان والزمان . سواءً كانت هى النعمة

المتوسطة او الغير المتوسطة . وانما قلنا المتوسطة او الغير المتوسطة . لاننا نعتقد فى ان اوليك الحاصلين على سن التمييز يفوزون من الله بالهامات مقدسة . وبواسطتها يقتبلون النعمة المحركة . التى اذا هم ارادوا ان يعتنقوها . فيمكنهم ان ياهبوا ذواتهم النوال التبرير . وللبلوغ الى الخلاص الابدى : ✠

ولكن فلناتبيَّن الان الى البراهين المثبتة هذا الراى الذى يتوطد اولاً بما كتبه الرسول الالهى . فى تحقيقه لنا ان الله امين فى مواعيده . ولا يسمح بان نتجرب بما يسمو على مقدرتنا . لانه يعطينا دايمًا المعونة سواءً كانت الغير المتوسط . او المتوسطة بالصلوة . لكى نحارب اعداءنا اذ يقول : لصادقٌ هو الله الذى ما يهملكم ان تُمتحَنوا بما يفوق طاقتكم . بل يصنع لكم مع المحنة مخرجًا . لكى تستطيعوا ان تحتملوها : (قرنثيه اولى ص ١٠ ع ١٣) اما جانسانيوس فيزعم ان هذا النص الرسولى يُفهَم مقولاً نحو المنتخَبين فقط الى المجد . والحال ان تفسيره هذا لا اساس له بالكلية . لان الانا الصطفى قد كتب كلامهُ المذكور مخاطبًا

به اهل قرنتيه كلهم . فى الوقت الذى فيه امر موكد هو ان هذا الرسول لم يكن يفترضهم كافةً منتخبين . ولهذا بكل عدل قد فهمه القديس توما اللاهوتي قولًا عامًا . ملاحظًا جميع الناس اذ كتب بقوله : ان الله لما كان يظهر امينًا صادقًا . لو كان ينكر علينا نُظرًا الى ما يخصه . تلك النعم التى بواسطتها نقدر ان نبلغ اليه : *

يثبت ثانيًا بجميع نصوص الكتاب المقدس . التى بها يحرضنا الرب على ان نتوب راجعين اليه . ويحثنا على ان نطلب منه النعم الضرورية لخلاصنا . موعدًا ايانا بان يستجيب لنا ان التجاءنا اليه . فقال الروح القدس بفم الحكيم : توبوا تحت توبيخى . هنذا انبع لكم روحى : (امثال ص ١ ع ٢٣) قال الكردينال بالارمينوس : انه لكان ضحكةً وسخريةً قول الله لنا توبوا . لولا يكون تعالىٰ حقًا يهب الخطاة المعونة . فلما يكون المتوسطة المختصة بالصلوة . لاجل التوبة : هذا ماعدا انه من الاية المقدم ايرادها يبان جليًا . ان الله يهب نعمتهُ الباطنة التى بها يدعو اليه الخطاة . اذ يقول : هنذا انبع لكم

روحى: ثم يعطيهم المعونة الحالية للتوبة قايلًا : تعالوا الىَّ ياجميع المتعوبين والثقيلى الحمل وانا اريحكم : (متى ص ١١ ع ٢٨) : هلمَّ فلنتناظر يقول الرب . وان تكن خطاياكم كلون البسر فلابيضنها كالثلج : (اشعيا ص ١ ع ١٨) : سالوا تعطوا . اطبوا تجدوا : (متى ص ٧ ع ٧) ومثل ذلك يقول الرب فى امكنة عديدة تقدم منا ايرادها قبلًا . فاذًا لولا يكون تعالى يعطى لكل انسان حاليًا نعمة ان يلتجى اليه . وان يصلى فعليًا . لكانت باطلةً وسدىً هذه التحريضات والنصايح الالهية كلها . بقوله عزَّ وجلَّ تعالوا الىَّ جميعًا وانا اريحكم . اطلبوا تجدوا ❋

بثبت ثالثًا بنوع واضح من تحديده المجمع التريدنتينى المورد فى الشراس ٣٣ من الجلسة ٦ الذى اتضرع اليك ايها القارى بان تتلوه بامعان . لكى تتحقق انه هو جلى المعنى (ان كنت انا لست بغلطان) على انه اذ كان الاراتقة المحدثون يقولون . انه لاجل ان الانسان قد عدم حرية الارادة المعتوقة من قبل خطية ادم . فالارادة الانسانية فى الحال الحاضرة لا تفعل شيًا من الافعال الصالحة . بل

بل هى مقادة انفعاليًا الى ان تقتبلها من الله من دون ان تبرزها هى عمليًا من قبل ذاتها . ولهذا كانوا يزعمون . ان حفظ الوصايا هو عديم الامكان مطلقًا . عند اوليك الذين لا يكونون متحركين بنعمة فعالة تسبق وتعزّمهم للاحادة عن الشر . ولعمل الخير . فضدًا لهذه الاقوال الضلالية ابرز المجمع المذكور حكومته . بالفاظ القديس اوغوسطينوس قايلًا : ان الله لا يامر بشى غير مستطاع . بل اذ يامرك باهذا . ينبهك محرضًا على ان تصنع ما تقدر عليه . وان تطلب ما لا تقدر ان تصنعه . وهو يعينك على ان تستطيع عمله : ❋

فاذًا لكى يثبّت هذا المجمع ضد الاراتقة . ان الوصايا الالهية ليست ولا على واحد من البشر غير مستطاعة . قد اعلن ان الناس جميعًا هم حاصلون على المعونة فى ان يعملوا الخير . او قلما يكون هم فايزون بنعمة الصلوة . التى بها يستمدون بعد ذلك العون الاعظم لاجل عمله . الامر الذى يُفهَم منه ان كلًا من الناس . بواسطة النعمة العمومية يقدر ان يصنع الاشيا السهلة

(نظير ممارسة الصلوة) خلوًا من احتياجه فى ذلك الى نعمة غير اعتيادية . وانه بواسطة الصلوة ينال المعونة لصنيع الاشيا العسرة . حسب تعليم القديس اوغوسطينوس المورد قبلًا وهو قوله : لاجل انه يُعتقَد بثبات كلى . بان الله لا يامر باشيا غير مستطاعة . فلهذا قد اتضح لدينا ماذا يلزمنا صنيعه فى الاشيا السهلة . وما الذى يجب علينا ان نلتمسه فى الاشيا العسرة : فاذًا حسب تحديد المجمع التريدنتينى ومنه يتضح . ان الوصايا الالهية هى مستطاعة لدى الجميع . قلما يكون بواسطة الصلوة . التى بها تُستمَد المعونة الاعظم على تتميم هذى الوصايا . لانه من حيث ان الله قد رسم ناموسهُ على الجميع . وصيره ممكنًا لدى الناس كلهم . قلما يكون بواسطة الصلوة . فيلزم ضرورةً ان تكون النتيجة . بان الجميع هم حاصلوة على نعمة الصلوة . والاَّ لما كانت الوصايا مستطاعةً لدى ذاك الذى تنقصه النعمة المذكورة . وكما ان الرب يمنح بواسطة الصلوة النعمة الحالية لعمل الصالح . وبذلك يجعل ناموسهُ كلهُ مستطاعًا . فهكذا يمنح الجميع نعمة الصلوة حاليًا . والاَّ لكان

لكان يضحى ناموسه الالهى غير مستطاع . عند من يوجد خاليًا من نعمة الصلوة الحالية . لانه قلما يكون خلوًا منها لا يقدر هو ان يستمد المعونة لحفظه ﷺ .

فاذ ثبت ذلك واضحًا . لا يفيد الاضداد زعمهم ان كلمات المجمع التريدنتينى هذه اى : بل اذ يامرك الله باهذا . ينبهك محرضًا على ان تصنع ما تقدر عليه . وان تطلب ما لا تقدر ان تصنعه : انما تفهم عن المقدرة الباطنة على الصلوة . لا عن فعل الصلوة الحالى . لاننا نجيب عن ذلك . بانه لو كانت النعمة الاعتيادية العمومية لا تعطى الانسان شيًا اخر . سوى القوة الباطنة على الصلوة . لا المقدرة الحالية بالصلوة . لما كان المجمع المذكور يقول : ينبهك محرضًا على ان تعمل ما تقدر عليه . وان تطلب ما لا تقدر ان تصنعه : بل لكان يلزم ان يقول : ينبهك على ان تقدر ان تعمل وان تطلب : هذا ماعدا انه لو كان المجمع لم يرد ان يوضح هنا شيًا اخر . سوى ان كل احد يستطيع ان يحفظ الوصايا . او انه يقدر ان يصلى ليطلب النعمة لاجل حفظها . ولم يقصد ان

يعنى بكلامه نعمة الصلوة الحالية . لما كان قال : ينبهك محرضًا على ان تعمل ما تقدر عليه : لان لفظة : ينبهك محرضًا : تعنى بنوع خاص العمل الحالي . وتتضمن لا ارشاد العقل . بل تحريك الارادة الى صنيع ذاك الخير الذى يقدر الانسان عمليًا ان يمارسه . فاذًا عندما اعلن هذا الجمع بقوله : ينبهك محرضًا على ان تعمل ما تقدر عليه . وان تطلب ما لا تستطيع ان تصنعه : قد اوضح ايضاحًا كلى البيان . ليس المقدرة فقط على العمل . والاستطاعة لا غير على الصلوة . بل ايضًا العمل حاليًا . والصلوة فعليًا . لانه لو كان الانسان محتاجًا لاجل العمل والصلوة حاليًا . الى نعمة غير اعتيادية لا يوجد هو حاصلًا عليها قبلًا . فنرى على اى سبب لقد ينبهه الرب محرضًا على ان يصنع ما يقدر عليه . وان يطلب بالصلوة ما لا استطاعة له على عمله حاليًا . فى الوقت الذى هو فيه لا يمكنه . ولا قدرة له على ان يعمل . او يصلى خلوًا من نعمة فعالة . فمن ثَمَّ بكل صواب يقول الاب فورتوناتوس البراشياني. اذ يتكلم عن هذى القضية : انه لولا تكون اعطيت

اعطيت للجميع النعمة الحالية للصلوة. بل لو يكون الانسان محتاجًا لاجل ممارسة الصلوة الى النعمة الفعالة. التى ليست هى عمومية لكل الناس. لكان فعل الصلوة غير مستطاع لدى كثيرين من الناس. الذين تنقصهم هذه النعمة الفعالة. وبالتالى لكان بيسما يقال. ان الله ينبه محرضًا على ان يُطلَب ما ليس فى الاستطاعة. اذ انه لكان تعالى ينبه محرضًا على عمل شىء. ينقص لممارسته وجود النعمة. اى العون الضرورى لممارسته عمليًا. الامر الذى خلوًا منه لا يقدر هو مطلقًا ان يمارسه: فاذًا النصح والتنبيه الالهى على ان نعمل ونلتمس. يلزم ضرورةً ان يُفهَم عن العمل والتضرع حاليًا بالممارسة. لا بالقوة. ولا باحتياج الى نعمة اخرى غير اعتيادية. وهذا هو بالحصر ما قصد ان يعلمناه القديس اوغوسطينوس بقوله: انه من هذا القبيل يُقدَّم النصح والتحريض. على ماذا يلزمنا ان نعمل نظرًا الى الاشيا السهلة. وماذا يجب علينا ان نلتمسه فى الاشيا العسرة: لانه يفترض هو بلا ريب. انه ان كان الجميع ليسوا حاصلين على النعمة فى ان

يعملوا الاشيا الصعبة . فقلما يكون الجميع هم فايزون بالاستطاعة على ممارسة الصلوة . التى هى سهلة على الجميع . نظير ما افترض هذا القديس تلك الحقيقة التى هو قبلًا كان اوضحها . والمجمع التريدنتينى اخذها عنه وجعلها فى التحديد . وهى التى كررنا عدة امرار ايرادها . بان الله ينبهنا محرضًا على ان نعمل ما نحن قادرون عليه . وان نلتمس منه ما لا استطاعة لنا على صنيعه . فلنختصرنَّ اذًا البرهان وهو ان هذا المجمع يقول . ان الله لا يرسم وصايا غير مستطاعة . لانه تعالى اما يعطى المعونة لاجل حفظها . واما انه يمنح نعمة الصلوة التى بها تُلتمس منه هذه المعونة لحفظها . اذ انه متى سُيل يعط . فاذًا لو امكن ان يكون صادقًا هذا القول . وهو ان الله لا يعطى الجميع قلما يكون نعمة ممارسة الصلوة . التى هى المعونة المتوسطة . لكى تُحفظ وصاياه كافةً بالعمل . لكان صادقًا ما زعمه جانسانيوس وهو ان النعمة تنقص عن الانسان البار ايضًا . لاجل حفظ بعض الوصايا بالعمل ❋

فانا لا اقدر ان افهم . كيف ان تحديد المجمع المذكور

المذكور يمكن تفسيره او مفهوميته خلافًا لما تقدم شرحه. لو كانت النعمة الكافية لا تعطى الجميع المقدرة الحالية على ممارسة الصلوة. خلوًا من النعمة الفعالة المفترضة من الاضداد ضرورية لعمل اى نوعٍ كان من افعال الصلاح. والحال انه اذا افترض على زعمهم ضروريًا نوال نعمة جدية لاجل ممارسة الصلوة عمليًا. فانا لا اعلم. ولا افهم كيف يعود محلٌ لصدق تحديد المجمع المذكور الاخر وهو: لان الله لا يهمل اوليك الذين تبرروا مرةً ما بنعمته. ان كان هو تعالى لا يُهمل منهم قبلًا: فاذًا انا اقول لو كانت النعمة الكافية العمومية. لا تكفى لممارسة الصلوة عمليًا. بل يحتاج ذلك الى النعمة الفعالة التى ليست هى عمومية للجميع. لكان يحدث ان البار حينما يتجرب فى ان يصنع الخطية المعينة الاولى بعد تبريره. ولا يعطيه الله النعمة الفعالة فلما يكون ليلتجى اليه تعالى بالصلوة. لكى يستمد القوة لاجل مقاومة التجربة. فحينيذ اذ لا يقاوم هو التجربة بل يسقط فى الخطية. لكان يصدق القول بالحرى ان الله اهمله. بتنقيصه عنه النعمة الفعالة

الضرورية لمقاومة التجربة. وذلك قبل ان يعمل هو الله ✠

فالاضداد يعترضون ببعض كلمات قيلت من القديس اوغوسطينوس. التي منها يحال كان القديس يوضح. ان نعمة الصلوة لا تُعطى للجميع قايلًا: انه ربما يحدث بعض الاحيان. ان صلاتنا توجد بهذا المقدار فاترةً ضعيفةً. وكانها متلاشية. حتى اننا لا نحصل منها على توجع يفيدنا رجوعًا عن حالنا. لاننا اذا حصلنا متوجعين على فتورنا. فتكون صلاتنا مفيدةً: اما انا فاقول ان الجواب على هذا الاعتراض قد اعطاه بكل حكمة الكردينال سفوندراتي بقوله: انه شيء هو ان الخطاة لا يمارسون الصلوة. وشيء اخر هو انهم ليسوا بحاصلين على نعمة بها يقدرون ان يصلوا: فالقديس اوغوسطينوس لم يقل ان نعمة ممارسة الصلوة كما يجب تنقص عن احد. بل قال هذا الشيء فقط. وهو انه يحدث احيانًا. ان توجد صلاتنا باردةً جدًا كانها متلاشية. لا لاجل نقص العون الالهي فينا عن ان نصلي بنوع اجود. لكن من قبل ذنبنا المحض الذي يجعل صلاتنا كالعدم.

ثم

ثم ان المعلم طورنيلى يعطى هذا الجواب عينه فى تكلمه عن قضية جانسانيوس الاولى المحرمة قايلًا: ان كان الابرار لا يصلون دايمًا كما ينبغى. فهذا هو من ذنبهم اذا لم يصلوا هكذا . فى الوقت الذى فيه هم حاصلون من قبل النعمة الكافية على القوة فى ان يصلوا . فاى نعم أن القديس اوغوسطينوس قال بالحقيقة . ان صلاتنا بعض الاحيان توجد عديمة القوة كانها ملاشية . ولكنه لم يقل ان النعمة كفت عنا فى ان نقدر ان نصلى بنوع اجود: هذا ماعدا ان الكردينال نوريس قد كتب فى شان كلمات القديس المذكورة بقوله : انه بالصلوة الفاترة تُستمد قلما يكون نعمة الصلوة الحارة . وبواسطة هذى الحارة تُستمد بعد ذلك النعمة الفعالة . لاجل حفظ الوصايا: وهذا يثبته هو نفسه باقوال القديس اوغوسطينوس عينه . الذى فى تفسيره المزمور السابع عشر كتب قايلًا: انا قدمت لك يارب صلواتي بنية حرة ثابتة . بعد استجابتك طلبتى الضعيفة . فى ان احصل على النية المذكورة : ❋

ثم لا قوة للاعتراض بما دوّنه القديس المذكور

نفسه فى تفسيره كلمات الرسول الالهى القايل هو بها : لان الروح يتوسل عنا بزفرات لا يُنطَق بها اذ يقول : ان الروح القدس هو الذى يصيرنا ان ندعوا . واذ نحن نتوسل طالبين . هو يلهمنا الى الحب منعشًا اياه فينا : فالجواب هو ان القديس لم يقصد بهذا الذى كتبه ضد البيلاجيين . سوى انه خلوًا من النعمة لا يقدر احد ان يصلى . وعلى هذى الصورة هو عينه يفسر كلامه فى شرحه المزمور ٥٠ هكذا : انه يقال ان الله نفسه يفعل ذاك الشى الذى انت تفعله بقوة موهبته تعالى . لانك لم تكن انت تفعل ذلك خلوًا منه عزَّ وجلَّ : ❁

يثبت راينا رابعاً بما قالته فى تاييد الابا القديسون . فقد كتب القديس باسيليوس الكبير قايلًا : انه ولين كان الله يسمح بسقوط البعض فى التجربة . فمع ذلك يحدث انهم يستطيعون ان يحتملوها بواسطة الصلوة التى بها يطلبون ارادة الله : فاذًا هذا القديس يوضح . ان الله لما يسمح بحصول الانسان مجربًا . فهو يسمح بذلك لكى يقاوم هذا المحنة طالبًا الارادة الالهية . اى النعمة

النعمة لكى ينتصر . وبالتالى يعلّم القديس بانه حينما لا يكون الانسان حاصلاً على العون الكافى لانتصاره على التجربة . فهو قلما يكون يوجد حاصلاً على العون الحالى العام فى ان يصلى . لكى ينال النعمة الاعظم المحتاج هو اليها . وقال القديس يوحنا فم الذهب : ان شريعةً معطاة فى انه لما تنفجر الجراحات يُطلَب الطبيب برغبة وتمنّى : وقال فى موضع اخر: انه لولا يكون الانسان حاصلاً على النعمة الضرورية له فى ان يمارس الصلوة عمليًا . وبها يستمد العون لكى يحارب التجربة . فلقد كان يمكنه ان يجد ما يعتذر به . اذا غُلب هو منها : وهذا نفسه اوضحه القديس برنردوس بقوله : ترى اى شى نحن . وما هى قوتنا ومقدرتنا . ولكن هذا هو المقصود من الله . حتى اننا اذ نلاحظ حال نقصنا . وانه لا يوجد لنا عون اخر الا فى مراحمه الالهية . نلتجى اليه باسراعٍ متضعين : فاذًا الرب قد رسم علينا ناموسه الفايق على ضعفنا حفظه . لكى نسرع بالالتجا اليه بالصلوة . وبها نفوز بالقوة لتتميم هذا الناموس . ومن ثمَّ لو كانت نعمة الصلوة

الحالية تُنكَر على احد. لكان الناموس يضحى لديه غير مستطاع بالكلية. ثم قال القديس المذكور فى مكان اخر: ان كثيرين يتشكون زاعمين انه تنقصهم النعمة. والحال انه يحق للنعمة باقوى برهان ان تشكو هى منهم بان كثيرين يرفضونها: اى انه يوجد للرب اكثر حق فى ان يشكو منا لاجل رفضنا النعمة التى هو يساعدنا بها. من تشكينا نحن لنقص النعمة عنا *

غير انه ولا واحد من ابا الكنيسة يوضح حقيقة راينا الحاضر بافضل نوع. من القديس اوغوسطينوس فى امكنة جزيلة العدد من تاليفاته قايلًا: ان البعض من البيلاجيين يعتدون بذواتهم. انهم حاصلون على معرفة عظيمة عندما يقولون: ان الله لا يامر بما يعلم هو ان الانسان لايستطيع ان يعمله: فترى من يجهل ذلك. والحال ان الله لهذا يرسم علينا بعض اشيا لا نقدر بذواتنا ان نصنعها. لكى نعلم جيدًا ماذا يلزمنا ان نستمد منه تعالى: وقال فى محل اخر: انه لا يُحسَب عليك ذنبًا. ما انت تجهله ضد ارادتك. بل انما انت تذنب حينما تهمل ان تفحص عما

عما تجهله . ثم لا خطية عليك ان كنت انت لا تضمد جراحات اعضايك وتربطها بالعصايب حسنًا . بل تخطى حينما بارادتك تحتقر الشفاء وتنبذه . فانما خطاياك الخصوصية هى هذه اى اهمالك . لانه ما مُنع انسانٌ قط عن ان يعلم ان يفتش على خيره بافادة : فاذًا قد اعنى هذا القديس بانه لا تنقص عن احد نعمة ممارسة الصلوة . وبذلك ينال هو العون على عمل التوبة . والا فلو تنقصهُ هذه النعمة . لما كان يُحسَب عليه ذنبًا عدم توبته . وقال فى مكان غيره : ترى من هو الذى يامرنا بان نصنع ذلك . الا الذى اظهر لنا انه يعطى لمَن يسال ويطلب ويقرع ما يلتمسه : ويقول فى محل اخر : اقبل مرةً واحدة وافهم . افهل انك ما اُجتذبتَ بعدُ . فالان اطلب من الله ان يجتذبك : وكذلك كتب فى احد الامكنة قايلاً : فاذاً انما يجهل النفس ماذا ينبغى لها ان تصنع . من حيث انها لم تكن هى بعدُ اقتبلت المعونة . ولكن هذه المعونة سُتعطَى لها . ان كانت هى تستخدم حسنًا الشى التى حصلت هى عليه قبلاً . فهى اعُطيت ذاك الشى لكى تطلب باجتهاد . ويحسى

تدين ما ينقصها . هذا اذا هى شاءت . (فلاحظ ايها القارى كلمات القديس الاخيرة وهى : لكى تطلب باجتهاد ويحسن تدين ما ينقصها . هذا اذا هى شاءت:) وبالتالى ان كل انسان هو حاصل على النعمة الضرورية فى ان يصلى . وحينما هو يستخدم هذه النعمة حسنًا . يقتبل نعمةً اخرى بها يصنع ما لم يكن قبلاً قادرًا على صنيعه بغير واسطة : وقال فى محل اخر: ان الانسان الذى يريد ولا يستطيع . فليصل لكى ينال مقدار ما يكفيه لتتميم الوصايا . لانه يعان لكى يعمل ما اُمر به: وقال ايضًا : انه بالوصية قد تنبهت حرية الارادة على طلب النعمة من الله . ولكن بالحقيقة لكانت تتنبه هى من غير ثمرة . لو لم تقتبل اولًا نوعًا ما من اللذة . لكى تطلب ان يضاف اليها العون على تتميم ما اُمرت به : فلتُعتبَر كلمات القديس هذه وهى : لو لم تقتبل اولًا نوعًا ما من اللذة : فهذه هى النعمة الكافية التى بواسطتها يستطيع الانسان متوسلاً بالصلوة . ان ينال النعمة الفعالة الحالية لتتميم الناموس . وقال ايضًا : فلهذا الله يامرنا

بامرنا . حتى اننا بعد ان نكون امتحنا ان نتمم الوصايا . ثم عرفنا شة ضعفنا . نتعلم ان نطلب معونة النعمة : فهنا القديس يفترض اننا بواسطة النعمة الاعتيادية العمومية . لا نقدر ان نمارس الاشيا العسرة . ولكننا نستطيع بواسطة الصلوة ان نستمد المعونة الضرورية لصنيعها . ثم يتبع القديس كلامهُ بكلامه قايلاً : ان الشريعة قد دخلت لتكثّر الخطية . من قبيل ان البشر لا يلتمسون معونة النعمة . واما اذ يتوجون متنهدين . ويتاملون عارفين الدعوة الالهية . ويستدعون الله لمعونتهم . يصنعون بعد ذلك انه حيثما تكاثرت الخطية . فهناك تتزايد النعمة فضلاً : فمن هنا يتضح . كما يقول المعلم باطافيوس . نقص النعمة المحصبة . ثم مساعدة النعمة الاعتيادية العمومية . التى بواسطتها يصير التضرع . وهى المسماة من القديس اوغوسطينوس دعوةً الهية ✠

وقال فى محل احر: انه فى هذى الحيوة القابلة الموت يبقى لنا هذا الشى (اى حربة الارادة) لا لكى يكمّل الانسان به البر كما يريد . بل لكى

يلتجى بالتوسل والاتضاع الى ذاك الذى يهبه
ان يقدر ان يكمله : فاذا اذ يقول القديس ان
الانسان هو عديم المقدرة على ان يكمل الشريعة
كلها . وانه لم يبقَ له شى يستمد به المعونة الا
واسطة الصلوة . فانما يفترض هو امرًا اكيدًا .
ان الرب يهب لكل انسان النعمة فى ان يمارس
الصلوة عمليًا . خلوًا من احتياجه فى ذلك الى
معونة غير اعتيادية . اوغير عمومية للجميع . والا فلو
نقص عن الانسان هذا العون الخصوصى ايضًا . لما
كان يفيده شيًا وجود حرية الارادة لحفظ الوصايا
الالهية عمليًا . فلما يكون الوصايا الاشد صعوبةً .
ومن حين ان القديس المذكور اورد هذه
البراهين . فمن المؤكد بلا ريب انه لا يمكن ان
يُفهم منها . ان النعمة الكافية انما تعطى القوة
الباطنة فقط على الصلوة . لا ممارستها بالعمل .
لانه نظرًا الى القوة الباطنة . فامرٌ محقق هو انها
تُعطَى بالنعمة الكافية على كل عملٍ . مهما كان
عسرًا . فاذًا القديس اوغوسطينوس لا يقصد
بالحقيقة (كما يبرهن هو فى امكنة اخر من
تاليفاته) ان يعنى . الا ان الاعمال الصالحة السهلة

نظرًا

نظير الصلوة . تمكن ممارستها عمليًا خلوًا من ارتياب . لدى كل انسان بواسطة النعمة الكافية . واما ممارسة الاعمال الصعبة . فتمكن لديه بواسطة المعونة التى هو يستمدها من الله بعد ذلك بممارسة الصلوة ❋

ولقد يوافق مقصودنا بافضل نوع من كل ما نتقدم ذكرهُ . قولان اخران من اقوال هذا القديس . فاولهما هو الاتي ابراده بقوله : انه امرٌ موكد هو اننا نحفظ الوصايا ان اردنا . ولكن من حيث ان ارادتنا هى معة من الله . فيلزم ان يُطلبَ منه تعالى ان نريد مقدار ما يكفى عمله بارادتنا : فاذًا هنا القديس يعلن مقدرتنا على حفظ الناموس ان اردنا . وبالخلاف يقول انه لاجل وضعنا بالعمل ارادتنا فى حفظ الوصايا حقًا . يلزمنا ان نصلى . وبالتالى ان نعمة ممارسة الصلوة عمليًا قد اُعطين للجميع . وبواسطة الصلوة نحن نستمد النعمة المخصبة الفعالة . التى تجعلنا ان نحفظ الشريعة . والاَّ اى لو كان ضروريًا لممارسة التضرع بالعمل ، ان نكون حاصلين على النعمة الفعالة الغير عمومية للجميع .

لما كان يستطيع اوليك الذين لا تُعطَى لهم هذه النعمة . لا على ان يحفظوا الوصايا . ولا على الارادة فى حفظها ❁ .

واما قول القديس الثاني . فهو ذاك الذى به ردَّ هو الجواب على الرهبان الادروماتيين . الذين كانوا يقولون هكذا : انه ان كانت النعمة هى ضرورية . وخلوًا منها انا لا اقدر ان اعمل شيًا . فلماذا انا أُوبَّخ . مع انى لا استطيع ان اعمل . ولست حاصلاً على النعمة لكى اعمل . فاذًا صلِ انت من اجلى بالاحرى لدى الرب . لكى يهبنى هذه النعمة : فالقديس يجاوبهم عن ذلك قايلًا : انكم انما تُوبَّخون . لا لاجل انكم لم تمارسوا الاعمال . فى الوقت الذى فيه انتم خالون من المقدرة على ممارستها . بل لاجل انكم لا تتوسلون بالصلوة لكى تكتسبوا هذه المقدرة : فاذًا لولا يكون هذا القديس مقتنعًا . بان كل احد هو حاصل على النعمة . التى بها يمكنه ان يصلى عمليًا (ان اراد هو ان يصلى) وذلك من دون ان يحتاج الى نعمة اخرى . او عون اخر لممارسة الصلوة . لما كان امكنه ان يقول عن ذاك الذى

لا

لا يصلى انه يستحق التوبيخ . لان ذاك لكان يستطيع ان يرد الجواب على القديس قايلًا : انه كما لا يقدر احد ان يوبخنى اذا لم اعمل . فى الوقت الذى فيه انا اوجد معدومًا من النعمة الخصوصية للعمل . فهكذا لا يستطيع احد ان يوبخنى اذا لم اصل . فى الوقت الذى فيه اكون انا فاقد النعمة الخصوصية للصلوة حاليًا : ثم ان هذا القديس قد كتب نظير ذلك فى مكان اخر بقوله : انه لا يخدعن ذواتهم اوليك المستفهمون . لماذا امرنا بان نحيد عن الشر . ونصنع الخير . ان كان الله هو الذى يعمل فينا ان نريد وان نفعل : ثم ان القديس عينه يرد الجواب عن ذلك قايلًا : ان البشر حينما يعملون خيرًا . يلزمهم ان يشكروا الله عنه . لانه اعطاهم القوة لعمله . واما عندما لا يعملونه . يلتزمون بان يصلوا . لكى يستمدوا تلك القوة التى هم خالون منها لعمله : فاذًا لو كان هولاء معدومين من النعمة لممارسة الصلوة حاليًا . لكان يمكنهم ان يجاوبوا القديس بقولهم . لماذا نحن نومر بان نصلى . ان كان الله يفعل فينا الصلوة : اى ترى كيف نحن

نقدر ان نصلى . ان كنا لا نقتبل من الله النعمة
فى ان نمارس الصلوة عمليًا ❋
اما القديس توما اللاهوتي . فلين لم يكن يتكلم
واضحًا عن الصلوة . فمع ذلك يفترض هو بتاكيد
حقيقة راينا بقوله : ان هذا هو خاص بالعناية
الالهية ان تدبر لكل احد ما هو ضرورى لخلاصه
الابدى . بشرط انه لا يوجد من قبل الانسان
مانع عن ذلك : فاذًا من حين انه قد ثبت
من الجهة الواحدة . ان الله يعطى الجميع ، وكلّ
منهم النعم الضرورية للخلاص . ومن الجهة الاخرى
ثابت هو . انه لاجل ممارسة الصلوة عمليًا ضرورية
هى النعمة . التى تعطينا القوة على ممارستها .
وبواسطة الصلوة نحن نستمد القوة الاعظم معونة
لكي نصنع ما لا نقدر ان نصنعه بمعونة النعمة
الكافية الاعتيادية . فيلزمنا بالضرورة ان نقول
ان الله يعطى الجميع وكلّ منهم النعمة الكافية .
التى بها حاليًا عمليًا يمارسون الصلوة ان ارادوا
خلوًا من احتياجهم فى ذلك الى النعمة الفعالة .
وليضف الى هذا ما كتبه الكردينال بالارمينوس .
فى جوابه على اوليك الاراتقة الذين سندًا على
قوله

قوله تعالى : لا يقدر احد ان ياتي الىَّ الا من اجتذبه الاب : يزعمون انه لا يستطيع على الذهاب الى الله . الا ذاك الذى بنوع خاص يجذبه الله اليه قائلاً ضدهم : ان هذه الاية تتضمن هذا الشى فقط . وهو انه ليس الجميع هم حاصلين على النعمة الفعالة . التى بقوتها يومنون حاليًا بالمسيح . ولكنها لا تحتوى على انه ليس الجميع هم حاصلين على القوة فى ان يقدروا ان يومنوا للخلاص . بل انهم حقًا يستطيعون ان يطلبوا المعونة : *

فلناتين الان ثالثًا واخيرًا الى الفحص عن البراهين الموبخة هذا الراى الذى نحن فى صدده . فالرجل العلامة باطافيوس (جملةً مع دوفاليوس وغيره من اللاهوتيين) يسال كمستفهم هكذا : لماذا يرسم الله علينا اشيا لا نقدر ان نحفظها بقوة النعمة الاعتيادية العمومية : ثم يجيب هو على سواله قائلاً : ان ذلك انما هو . لان الرب يريد اننا نلتجى اليه بالصلوة متوسلين . كما يقول الاباء القديسون اجمعون . حسبما تقدم الايراد : وبعد ذلك يستنتج هو . انه يلزمنا ان نعتقد كشى اكيد . بان كلّ من الناس هو حاصل

على النعمة فى ان يصلى عمليًا. وبواسطة الصلوة يستمد العون الاعظم . لممارسة ما لا يمكن عمله بمجرد معونة النعمة الاعتيادية العمومية . والا لكان الله قد رسم علينا شريعةً غير مستطاعة . فهذا البرهان هو قوى جدًا جدًا . ولكن يمكن ان يضاف اليه البرهان الاتي ذكره ايضًا . وهو انه من حيث ان الله يامر الجميع بحفظ الوصايا عمليًا . فيلزم ضرورةً الافتراض الحقيقى بانه عزَّ وجلَّ يهبهم جميعًا ايضًا . وكلًا منهم النعمة الضرورية لحفظ الوصايا حاليًا . فلما يكون بواسطة . اى بواسطة الصلوة . فاذًا لكى تكون الشريعةً صوابية . وان الذى لا يحفظها يُوبَّخ بعدلٍ . يلزم ان يكون كلٌّ من البشر حاصلًا على قوة كافية . فلما يكون متوسطة بالصلوة . لكى يتم عمليًا رسوم هذه الشريعة . وانه يقدر احيانًا ان يصلى خلوًا من نعمة اخرى ليست عمومية للجميع . والا فلو تنقص هذه القوة المتوسطة . او البعيدة لممارسة الصلوة حاليًا . لما كان يصدق القول ان الله يعطى كل احد النعمة الكافية لحفظ الشريعة بالعمل ❋

تم

ثم ان المعلمين توماسينو وطورنيلى . ياتيان ايضًا ببراهين اخر عديدة فى اثبات قضيتنا هذى . غير انى اتركها كلها حبًا بالاختصار. واكتفى ببرهان احتسبته كلى الوضوح . وهو الموسس على وصية الرجا . التى بها نحن كلنا ملتزمون بصرامة وتاكيد بان نرجوا من الله نوال الحيوة الابدية . ومن ثَمَّ اقول . اننا لولا نكون امينين بتاكيد . ومقتنعين بثبات . فى ان الله يهب الجميع . وكلّ منهم بمفرده النعمة فى ان يقدروا عمليًا ان يصلوا . من دون احتياج الى نعمة اخرى خصوصية غير عمومية لكل احد . لما كان احد منا يقدر خلوًا من وحى الهى خصوصى ان يرجو كما يجب خلاصه الابدى . وهنا انا التمس من القارى ان يسمح لى بان اورد السندات الموسس عليها برهانى الحاضر ❁

ففضيلة الرجا هى بهذا المقدار عزيزة لدى الله . حتى انه تعالى قد اعلن ذاته مرتضيًا مسرورًا باوليك الذين يثقون به متكلين عليه . كقول المرتل : يسر الرب باتقيايه . وبالذين يتكلون على رحمته : (مزمور ١٤٦ ع ١١) ثم انه جاء

عدالته يعد باعطاء الغلبة على الاعدا . والثبات في حال نعمته . والمجد الابدى لمن يرجوه . ولاجل انه يرجوه . كقوله بفم المرتل عينه : لاجل انه علَّى اتكل . فانجيه واسترة . وانقذه واجده . واملاه واريه خلاصى : (مزمور ٩٠ ع ١٤) : الرب يخلصهم لانهم توكلوا عليه : (مزمور ٣٦ ع ٤٠) : احفظنى يارب لانى عليك توكلت : (مزمور ١٥ ع ١) : لم يكن احد توكل على الرب وخزى : (ابن سيراخ ص ٢ ع ١١) والحال اننا لمعتقدون بان السما والارض يزولان . احرى من ان يمكن ان ينقص كلام الله ومواعيده . كقوله تعالى : السما والارض يزولان واما كلامى فلا يزول : (متى ص ٢٤ ع ٣٥) فلهذا يقول القديس برنردوس : ان استحقاقنا كله هو قايم . فى اننا نضع على الله رجانا كله وحسن اتكالنا . والسبب فى ذلك هو لان الذى يثق بالله راجيًا اياه . انما يكرمه ويمجده جدًا . كقوله عز وجلَّ : ادعنى فى يوم عزنك . فانقذك وتمجدنى : (مزمور ٤٩ ع ١٥) ثم بكرم قدرته الضابطة الكل . وبعظم رحمته . وبمجد صدقه فى مواعيده . اذ يعتقد فى انه سبحانه

يقدر

يقدر ان يخلصه . ويريد ذلك . ولا يستطيع ان يحرم فى مواعيده بان يخلص المترجين رحمته * بل ان النبى والملك يوكد لنا . انه بمقدارما تكون ثقتنا ورجاونا بالله عظيمًا . فباكثر من ذلك تتعاظم علينا مراحمه الالهيه اذ يقول : تكون يارب رحمتك علينا كمثل اتكالنا عليك : (مزمور ٣٢ ع ٢٢) ❀

فاذًا من حيث ان فضيلة الرجا هذه هى كلمة القبول عند الرب . قد اراد تعالى ان يرسمها علينا بوصية خصوصية ثقيلة . كما يعلّم براى عام متفق اللاهوتيون اجمعون . وحسبما يبان واضحًا من نصوص كثيرة محررة فى الكتاب المقدس هكذا : توكلوا عليه ياكافة مجمع الشعوب : (مزمور ٦٢ ع ٨) : ياخايفى الرب ترجوا به : (ابن سيراخ ص ٢ ع ٨) : توكل على الله دايمًا : (هوشع ص ١٢ ع ٦) : توكلوا توكلًا كاملًا على النعمة الصايرة عليكم : (بطرس اولى ص ١ ع ١٣) فهذا الرجا بنوال الحيوة الابدية يلزم ان يوجد فينا ثابتًا اكيدًا . اذ ان المعلم المليكى يحدد هذه الفضيلة بقوله : ان الرجا هو انتظار الغبطة السماوية

بتاكيد : بل ان المجمع البريدنتيني المقدس قد اعلن حكمهُ عن هذى الفضيلة قايلاً : ان الجميع يلزمهم ان يضعوا رجاهم الكلى . وثقتهم المطلقة فى العون الالهى . لانهم اذا هم لم يحوزوا نعمة الله . فهو تعالى الذى قد ابتدأ فيهم العمل الصالح يتممه مكملاً . صانعًا فيهم الارادة والكمال: (جلسة ٦ راس ١٣) ثم ان الرسول الالهى قد كان قبلاً اعلن ذلك عن ذاته بقوله : لكننى لست اخجل لاني عرفت بمن امنتُ . وانا موقن انه قدير ان يحفظ وديعتى الى ذلك اليوم : (تيموثاوس ثانية ص ١ ع ١٢) وبهذا يتميز الرجا المسيحى من الرجا العالمى . على انه يكفى للرجا العالمى ان يكون هو انتظارًا تحت الريب . اذ انه لا يمكن ان يوجد هذا الرجا بالخلاف . من حيث انه يُخشَى على الدوام من ان الانسان الذى وعد اخر بموهبة ما يغيّر عزمهُ . ولا يتمم وعدهُ فى الحاضر او فى المستقبل . واما الرجا المسيحى بالحيوة الابدية فهو اكيد من قبل الله . لانه عزَّ وجلَّ يقدر ان يخلصنا ويريد ذلك . وقد اوعد بان يخلص من يحفظ ناموسهُ . اذ قد وعد ايضًا

ايضًا بان يهب انعامه الضرورية لتتميم وصاياه لذاك الذى يلتمسها منه ❋

فاى نعم ان الرجا. كما يقول القديس توما اللاهوتي. يوجد مرافقًا من الخوف. غير ان هذا الخوف ليس هو صادرًا من جهة الله. لكن من جهتنا. لانه دايمًا يمكننا ان نزل (اذ لا نسعى مع النعمة كما يجب علينا) وان نضع من قبلنا مانعًا للنعمة بواسطة خطايانا. ومن ثَمَّ بكل عدل وصواب قد شجب المجمع التريدنتينى الاراتقة المحدثين. الذين لزعمهم ان الانسان هو فاقد حرية الارادة المطلقة يعلمون. بان المسيحى يلتزم بان يكون حاصلًا على تاكيد عديم الخلل فى امر ثباته الاخير وخلاصه الابدى. والحال ان هذا هو ضلال قد رذله المجمع المذكور (جلسة ٦ راس ١٣ قانون ١٥ وقانون ١٦) لانه كما تقدم منا القول يلزم ضرورةً. لاجل نوال الحيوة السرمدية. السعى من قبلنا نحن ايضًا. فى الوقت الذى فيه هذا السعى هو غير اكيد وقابل الزلل. ولذلك قد اراد الرب من الجهة الواحدة. اننا على الدوام نخاف نظرًا الى ذواتنا لكيلا نسقط فى الادعاء

الباطل . والطمع المرذول . والاتكال على قوانا . ولكنه تعالى اراد من الجهة الاخرى . ان نلبث هادين مطمانين واثقين فى العون الذى يهبناه . وفى ارادته الصالحة بان يخلصنا . طالما نحن نطلب منه المساعدة . لكى يوجد رجاونا فى خيرية صلاحه اكيدًا ثابتًا . قال المعلم المليكى : انه يلزمنا ان ننتظر بتحقيق وتاكيد من قبل الله الغبطة الدهرية موبدًا . لثقتنا الاكيدة فى قدرته الالهية . وفى رحمته الغير المتناهية . معتقدين فى ان الله هو قادر على خلاصنا . ومريد اننا نخلص : *

فاذًا من حيث ان رجا خلاصنا بالله يلزم ان يكون ثابتًا اكيدًا (كما اوردنا انفًا كلمات القديس توما) فيلزم بالتالى ان تكون علة هذا الرجا ثابتة اكيدة . والا فلو لم يكن اساس الرجا اكيدًا . بل يوجد هو تحت الارتياب . لما كنا نستطيع ان ننتظر من الله الحيوة الابدية بتحقيق وتاكيد . ولما كنا نقدر ان نرجوا منه تعالى الوسايط الضرورية للبلوغ الى هذه السعادة . والحال ان الانا المصطفى يريد منا ان نوجد موطّدين فى الرجا غير متقلقين من جهته . ان كنا

كنا نريد ان نخلص بقوله : ان صبرتم راسخين فى الامانة . وموطدين وغير منتقلين من رجا البشارة التى سمعتموها : (كولوصايس ص ١ ع ٢٣) وقد اثبت هو ذلك فى موضع اخر . بتعليمه فى انه يلزم ان يكون رجاونا راسخًا نظير المرسى . سندًا على مواعيد الله الذى لا يقدر هو ان يحرم بها اذ يقول هكذا : ونشتهى ان يوضح كل احد منكم هذا الحرص بعينه . لاقتناع الرجا الى الغاية . لانه لما شاء الله ان يُرِى ورّاث الموعد عدم انتقال رايه . وسّط ذلك بقسم . لكى لا ينتقل الامران اللذان لا يمكن ان يكذب الله فيهما . ليكون لنا عزاء قوى . نحن الذين قد لجانا الى مسك الرجا . الذى هو لنا كمرس للنفوس حريز ومتين : (عبرانيين ص ٦ ع ١١ و ع ١٨) ولهذا قال القديس برنردوس : ان رجاءنا لا يمكن ان يكون غير اكيد . لانه موسس هو على مواعيد الحق الابدى بالذات : واذ يتكلم هذا القديس عن ذاته يقول : ان رجاى هو موسس على ثلثة اشيا وهى . الحب الذى به قد جعلنا الله بنين له بالوضع . وصدق مواعيده تعالى العديمة الزلل . وقدرته الضابطة

الكل التى بها هو قادر على تتميم هذه المواعيد: *
ولذلك اراد القديس يعقوب ان يعلمنا . بان من
يشاء راغبًا ان يفوز من الله بالنعم . يلزمه ان
يلتمسها منه بثقة خايبة من الريب . متاكدًا
انه ينال ما يطلبه . والا فلا يحصل على شى من
مطلوبه . اذ يقول (ص ١ ع ٥): فان يكن
احدكم تنقصه حكمة . فليسال الاله المعطى
الكل بسماحة . ولا يعيّر احدًا وسيُعطَى . وليسال
بامانة غير منقسم العزم فى شى . لان المرتاب
يضاهى تموج البحر الذى تخبطه الرياح وتزجه .
فلا يظن ذلك الانسان انه ياخذ من الرب شيًا :
ثم ان الرسول الالهى قد مدح فى ذلك حسن رجا
ابراهيم . الذى لم يشك فى صدق موعد الله .
لاعتقاده فى انه سبحانه متى وعد بشى لا يقدر ان
يخرم به . ولذلك يقول هذا الرسول : ان ابراهيم لم
يشك بعدم ايمانه فى موعد الله . بل تايد فى
الامانة . واعطى الله تمجيدًا . وايقن ان ما وعد
به هو يستطيع ان يصنعه . فلذلك حُسب له
عدلًا : (رومية ص ٤ ع ٢٠) بل ان فادينا يسوع
المسيح عينه قد انذرنا وحرضنا منبهًا باننا انما

نفوز

نفوز منه بالنعم التى نسأله اياها . متى طلبناها منه بامانة حية . متاكدين ان ما نلتمسه تحصل عليه بتحقيق . وهذه هى الفاظه تعالى فى هذا الشان : من اجل ذلك اقول لكم ان كل ما تسالونه فى الصلوة . امنوا بانكم تنالونه فيكون لكم : (مرقص ص ١١ ع ٢٤) وبالاجمال ان الله لا يستجيب لنا اذا لم نومن ايمانًا اكيدًا بانه يهبنا ما نلتمسه منه ۞

فلناتيّن الان الى موضوعنا . اى ان رجاءنا بنوال الخلاص الابدى . وبالحصول على الوسايط الضرورية للفوز به . يلزم ان يكون اكيدًا بالله نظرًا اليه عزَّ وجلَّ . واما الحجج التى عليها يتاسس رجاونا هذا الحقيقى . فهى ثلث كما سبق القول . اى قدرة الله . ورحمته . وصدق مواعيده . ولكن فيما بين هذى الحجج فالثالثة هى الاقوى والاوكد . اى صدق الوعد الالهى الغير قابل الخلل . الذى به وعدنا فى انه باستحقاقات يسوع المسيح يخلصنا . وبان يهبنا النعم الضرورية للبلوغ الى الحيوة الابدية . لاننا ولين كنا نعتقد فى ان الله هو ذو قدرة ورحمة غير متناهيتين . فمع ذلك (كما ينبه

حسنًا يوفانينوس) لما كنا نقدر ان نرجوا من الرب خلاصنا بثقة وتوكيد . لولا يكون هو قد وعدنا به بتحقيق . غير ان هذا الوعد هو شرطى . متوقف على هذا وهو ان كنا نحن نسعى مع النعمة . ونثابر على الصلوة . وهذا يتضح من نصوص الكتاب المقدس بقول الله : سالوا تعطوا : ان طلبتم من الاب شيًا باسمى يعطيكم : لانه يعطى الخيرات لمن يساله : انه ينبغى ان يصلّى كل حين ولا يزال : ليس لكم لانكم ما تسالون : فان يكن احدكم تنقصه حكمة فليسال الاله : هذا ماعدا الاقوال الالهيه الاخر المشابهة ذلك الموردة منا فى محلاتها . ومن ثَمَّ يقول الابا القديسون كافةً واللاهوتيون اجمعون . حسبما نحن برهنا فى الراس الاول من القسم الاول . ان الصلوة هى واسطة ضرورية لنوال الخلاص الابدى ❋

فاذاً لولا نحن نكون متاكدين . ان الله يعطى الجميع النعمة التى بها يقدر كلٌ ان يمارس الصلوة عمليًا . خلوًا من نعمة اخرى خصوصية . لا عمومية للجميع . لما كنا نحن حاصلين على اساس حقيقى ثابت . فى اننا نرجوا ان ننال من الله

الحيوة

الحيوة الابدية بتحقيق . بل لكان رجاونا هو تحت الريب وشرطيًا فقط . وبالخلاف حينما اكون انا واثقًا بتاكيد . فى اني اذ اطلب مصليًا . ولما اسال مبتهلًا . انال السعادة السماوية مع كل النعم الضرورية لى للبلوغ اليها . ثم عالمًا بتحقيق ان الله لا ينكر علىَّ النعمة فى ان اصلى حاليًا . لانه يهب هو الجميع هذه النعمة ان لم يرفضوها . فحينئذٍ يوجد لدىَّ اساس متين حقيقى فى ان ارجو من الله خلاصى . ان كنت انا لا اضع لذلك من قبلى مانعًا . ولكن عندما انا ارتاب فى هل ان الله يعطينى نعمة خصوصية ضرورية لى لان اصلى عمليًا . (وهى التى لا يهبها هو للجميع) ام لا يعطينيها . فوقتئذٍ لا يوجد عندى اساس اكيد لان ارجو منه تعالىَ الحيوة الابدية . بل يكون رجاى تحت الشك وغير حقيقى . لاجل انه يكون لدىَّ تحت الارتياب وغير اكيد . هل ان الله يعطينى ام لا . هذه النعمة الخصوصية الضرورية لى لممارسة الصلوة حاليًا . لانه جلت عدالته ينكر نعمةً كذا خصوصية على كثيرين . وحينئذٍ يوجد عدم تاكيد الرجا لا من قبلى انا فقط . بل من قبل

الله ايضًا . وهوذا على هذى الصورة يُهدَم الرجا المسيحى . الذى حسب تعليم الرسول الالهى يلزم ان يكون ثابتًا راسخًا اكيدًا وطيدًا . وبالحقيقة اقول اني لا اعلم كيف يستطيع المومن ان يتمم وصية الرجا . بالتزامه بان يرجو كما يجب بثقة وتحقيق خلاصه الابدى من الله . ثم النعم الضرورية له فى ذلك . خلوًا من انه يعتقد امرًا اكيدًا صادقًا . فى ان الله يعطى الجميع . وكلاً منهم نعمة الصلوة عمليًا ان ارادوا . وذلك من دون نعمة خصوصية ❋

فاذًا لكى نختتم خطابنا نقول . ان راينا المحامى عنه من لاهوتيين كثيرى العدد جدًا . وايضًا من ابا جمعيتنا الحقيرة . هو من الجهة الواحدة متفق مع النعمة الفعالة بذاتها . التى بها نحن بنوع غير قابل الغلط (وليُن كان بحرية ارادة مطلقة) نعمل الصلاح . لانه لا يمكن ان يُنكَر . ان الله يستطيع بقوته القادرة على كل شى ان يعطف القلوب البشرية . محركًا اياها الى ان تريد بحرية . ذاك الشى الذى هو تعالى يريده . الامر الواضح من الكتاب المقدس المدون به هكذا : ان قلب الملك

الملك فى يد الرب . وايما شاء ان يوجى امالـه الى هنـاك : (امثـال ص ٢١ ع ١) : ان روحى اجعله فى وسطكم . واصنع ان تسلكوا فى اوامرى. وتحفظوا احكامى وتعملوا بها : (حزقيـال ص ٣٦ ع ٢٧) : ان مشورتي تثبت وكل ارادتي تتم :(اشعيا ص ٤٦ ع ١٠) : ان الله يغير قلوب روسا شعوب الارض : (ايـوب ص ١٢ ع ٢٤) : الـه السـلام يوطدكم فى كل عمل صالح لتعملوا مشيته. صانعًا بكم الامر المرضى امامه بيسوع المسيح : (عبرانيين ص ١٣ ع ٢١) ثم ولا يقدر احد ان ينكر . ان القديسين اوغوسطينوس وشمس المدارس توما . قد علّما براى فاعلية النعمة بذاتها بحسب طبيعتها . وهذا يتضح من محلات كثيرة من تاليفاتهمـا . خاصةً من اقوالهما الاتي ذكرها . فقـد كـتب القديس اوغوسطينوس قايـلًا : فمـع ذلك امـر حقيقى هو. ان الله لم يصنع هذا الا بواسطة ارادة البشر. لانه خلـوًا مـن كل ارتيـاب ان القـدرة الضابطة الكل فى يدها قلوب البشر . وتعطفها كما تريد : وقال فى موضع اخر : ان الله القادر على كل شى يستخدم قلوب الناس . ممارسًا بهـا ذلك

الشى الذى يريد هو انهم يمارسونه : وفى مكان غيره يقول : ولين كان البشر كلهم يعملون تلك الاشيا الصالحة المختصة بعبادة الله . فمع ذلك هو تعالى يصنع ان البشر يعملون ذلك الشى الذى هو يامر به : وقال فى محل اخر : انه بالحقيقة نحن نعمل ما نعمله . ولكن انما يجعلنا ان نصنع ما نصنعه . باعطايه ارادتنا قوة كلية الفاعلية . ذلك القايل انا افعل انهم يسلكون فى برى : ثم كتب فى تفسيره كلمات الرسول الالهى . المدونة فى رسالته الى اهل فيليبوسيوس (ص ٢ ع ١٣) وهى : فان الله هو الذى يعمل فيكم ان تريدوا . وان تكملوا حسب رضوانه : قايلًا : فاذًا نحن نريد . بل ان الله يريد ان يعمل فينا ان نريد وان نكمل : وقال ايضًا : لان الارادة هى متاهبة مستعدة من قبل الرب . فمنه تعالى ينبغى ان نطلب اننا نريد ما يكفينا لان نصنع هذه الارادة : ويقول فى مكان اخر : ان الله يعرف ان يعمل فى قلوب البشر عمله . لا لكى يومنوا رغمًا عن ارادتهم . الامر الذى هو من المحال . بل ليصيروا مريدين بعد ان كانوا غير مريدين : وقال فى

فى غير محل : انه يُعمِّل فى قلوب البشر. ليس الاعلان الالهى الحقيقى فقط . بل الارادة الصالحة ايضًا : وكتب فى مكان اخر قايلًا : ان ارادتنا لها قوة ان تفعل مقدار ما يشا الله ان تريده : وقال ايضًا : ان الارادات المخلوقة هى تحت قدرة الله . بنوع انه تعالى يميلها معطفًا اياها حسبما هو يريد . وايضا هو يشاء : ❊

واما القديس توما فيقول : ان الله يحرك الارادة بنوع غير قابل التغيير . وذلك بفاعلية القوة المحركة التى لا يمكنها ان لا تبرز مفعولها : وقال فى محل اخر : ان الحب هو عديم الخطا من قوة الروح القدس . الذى يفعل بنوع غير قابل الخلل كل شى يريده . ومن ثَمَّ امر عديم الامكان هو ان يوجد بالحقيقة هذان الشيان معًا . وهما ان الروح القدس يريد ان يحرك انسانًا ما الى فعل المحبة . وان هذا الانسان يفقد المحبة . بارتكابه الخطية : ونظير ذلك قال ايضًا : ان الله اذا حرك الارادة الى شىء ما . فلمن المستحيل ان يُسلَّم بان الارادة لا تتحرك اليه : ❊

واما من الجهة الاخرى . فانما يوجد راينا السابق

ايراده متفقًا مع النعمة الكافية الحقيقية. التى هى عمومية للجميع. واذا الانسان سعى معها. فبها يقتبل النعمة الفعالة. التى بالضد تُنكَر عليه بعدلٍ اذا هو قاوم النعمة الكافية. او لم يسعَ معها. وهكذا ينقطع كل سبب للاعتذار عن اوليك الخطاة. الذين افكًا يزعمون ان لا قوة لهم على مقاومة التجارب. والحال انهم لو كانوا يمارسون الصلوة بقوة النعمة الكافية العمومية للجميع. والموهوبة لكل انسان. لامكنهم ان ينالوا القوة الفعالة. وهكذا يخلصون. والا. اى اذا لم يُسلَّم بوجود هذه النعمة الكافية العمومية. التى بها كل احد يقدر قلما يكون على ان يصلى. خلوًا من نعمة اخرى خصوصية. واذ يصلى ينال القوة الاعظم لحفظ الناموس. فانا لا اعلم كيف ممكن هو ان نفهم اقوال كثيرة من الكتاب المقدس. حيث تُحرَّض الناس على الرجوع الى الله. وعلى قهر الالام. وعلى اتباع الدعوات الالهية. كقوله تعالى: ارجعوا الى قلبكم ايها الفجار: (اشعيا ص ٤٦ ع ٨): ارجعوا وعيشوا: (حزقيال ص ١٨ ع ٣٢) واندموا وتوبوا من جميع اثامكم. ولا يكون

لكم

لكم اثمكم هلاكاً : (حزقيال ص ١٨ ع ٣٠) : حلى وباطات عنقك ابنتها المسبية ابنة صهيون : (اشعيا ص ٥٢ ع ٢) : تعالوا الىَّ ياجميع المتعوبين والثقيلى الحمل وانا اريحكم : (متى ص ١١ ع ٢٨) : قاوموا الشيطان معتصمين بالايمان : (بطرس اولى ص ٥ ع ٩) : سيروا مادام لكم النور : (يوحنا ص ١٢ ع ٣٥) فترى ان كان امرًا صادقًا هو انه لم يُعطَ الجميع نعمة الصلوة . وبواسطة الصلوة تُستمَد القوة الاعظم للبلوغ الى الخلاص . فكيف لكان يمكن ان تُفهمَ الاقوال الالهية الموردة انفًا . وكيف لكان يستطيع الواعظون عمومًا ان يحرضوا الجميع بقوة عظيمة على عمل التوبة . وعلى محاربة اعدايهم . وعلى السلوك فى طريق الفضيلة . وعلى ان يصلوا بمثابرة وبرجاء ثابت لكى يضعوا هذه الاشيا بالعملِ . لولا فكون نعمة العمل الصالح . او قلما يكون نعمة ممارسة الصلوة . اعُطيت لكل احد . خلافًا لزعم الاضداد بان هذه النعمة تُعطَى لاوليك فقط . الذين تُعطَى لهم النعمة الفعالة . بل اني لا اعلم كيف لامكن ان يكون عادلاً . التوبيخ الذى

يُوبَّخ به جميع الخطاة فى كل مكان . لاجل انهم يقاومون النعمة. ويحتقرون دعوة الله اياهم . كما هو مدون فى امكنة عديدة من الكتاب المقدس هكذا : فانتم دايمًا تقاومون الروح القدس : (ابركسيس ص ٧ ع ٥١) : لاني دعوتكم ولم تسمعوا . واسهبت اقوالى ولم تصغوا اليها . لكنكم جعلتم ارای منقوضةً . وما صغيتم الى توبيخاتي . لهذا المعنى اضحك انا على هلاككم : (امثال ص ١ ع ٢٤) فاذًا انا لا اعلم كيف لممكن هو. ان الخطاة يُوبَّخون على ذلك بعدل . لو كانت تنقص عنهم النعمة البعيدة ايضًا . التى هى فعالة للصلوة . اى النعمة المُفترَضة من الاضداد ضرورية لممارسة الصلوة حاليًا *

فهنا ربمَا يوجد (كما انا اظن) البعض الذين كانوا يرغبون . انى فى هذا التاليف كنت اسهب الشرح مميزًا بتفصيل . ذاك الموضوع الواقع تحت المحاورات الجدلية . وهو فى اى شى هى قايمة فاعلية النعمة . بحسب اختلافات اراء لاهوتيين كثيرين . وهى التى فى ازمنتنا هذى تُعلَّم فيما بينهم . نظرًا الى الحركة الطبيعية المتقدمة . ونظراً الى نعمة اللياقة .

ثم نظرًا الى النعمة المرافقة . واخيرًا نظرًا الى اللذة المنتصرة بسبب الحركة الادبية . او المنتصرة اضافةً الى علو درجاتها . غير انه لايراد هذه الاشيا كلها لا يكفى كتاب خصوصى صغير الحجم . الذى تقصدًا قد اردت ان لا يكون كبيرًا . لكى يُقراء باكثر سهولة . فى الوقت الذى فيه لو اني اتعرض لشرح الاشيا الموى اليها . لكان يلزمنى فى اجتيازى بحرًا هكذا واسعًا . ان اولف عدة مجلدات . ولكن تعبٌ هذه صفته قد صُنع من غيرى بكفاية . ولم يكن هذا هو قصدى بتحريرى الكتاب الحاضر . بل انما قصدت فى القسم الثاني منه ان اثبّت حقيقة الموضوع الخاص به . تكريمًا للعناية الالهية وللصلاح الغير المتناهى . لكى اساعد الخطاة على ان لا يهملوا ذواتهم للسقوط فى اليأس وقطع الرجا . بظنهم انفسهم معدومين من النعمة مطلقًا . ثم حتى ينقطع عنهم كل سبيل للاعتذار . اذا قالوا انه لا قوة لهم للانتصار على وثبات تجارب الحواس ضدهم . وعلى تجارب الشيطان . لاني قد اريتهم واضحًا . انه ولا واحد منهم اذا هلك . انما

يهلك لاجل الخطية الاصلية . بل لاجل خطاياه الخصوصية فقط . لان الله لا ينكر على احد نعمة ممارسة الصلوة . التى بها تُستمَد منه تعالى المعونة للانتصار على كل نوع من الام الشهوة . وعلى جميع التجارب . وقصدى الاساسى الاخص انما هو . تعليمى الجميع . وتحريضى اياهم على ان يستعملوا واسطة الصلوة هذه الكلية الاقتدار . والجزيلة الضرورة لخلاصهم . حتى ان كل احد يجتهد فى ممارستها بعناية شديدة . وبشجاعة فضلى . ان كان هو يرغب خلاص نفسه . لان اناسًا لا يحصون عددًا . انما يعدمون النعمة الالهية . ويسيرون فى طريق الرذيلة . وهكذا يهلكون . من اجل انهم يهملون الصلوة والتوسلات لله فى طلب معونته . واما الامر الاعظم شرًا فهو الذى لا يمكننى ان لا اكرره بقولى . ان قليلين جدًا من الواعظين . ومن المعرفين . يهتمون (وربما اهتمامًا ضعيفًا) فى ان يحرضوا سامعينهم وتلاميذهم على ممارسة الصلوة . التى خلوًا منها غير ممكن لن تُحفَظ الوصايا الالهية . وان تُستمَد موهبة الثبات فى حال نعمة الله ❋

فاما

فانا لنتاملى جيدًا ضرورة الصلوة المطلقة. المرسومة مكررةً فى نصوص الكتاب المقدس العتيق والجديد. المملوة اقواله من التحريضات الملاحظة هذه الضرورة. قد اجتهدت فى ان ادخّل ضمن اعمال رسالة جمعيتنا منذ سنين عديدة. ان تُعمَل فى كل من الرياضات الرسالية عظة مختصة بفضيلة الصلوة. ومن ثَمَّ اقول تكرارًا. وساقول دايمًا طالما توجد فىَّ نسمة حيوة. ان امر خلاصنا الابدى جميعه هو متوقف على ممارسة الصلوة. ولذلك الكتبة الكنايسيون اجمعون. والمعلمون الروحيون كافةً. والواعظون باجمعهم. ومعلموا الاعترافات كلهم. يلتزمون بان يوجهوا اهتمامهم الاخص. فى ان يرشدوا الشعوب الى هذى الفضيلة محرضين. ويرسموا عليهم ممارستها بمثابرة حاتمين. ويكرروا عليهم الاقناعات بها ناصحين. ولا يكفّوا من الصراخ فى شانها نحوهم هاتفين: صلوا صلوا ولا تملوا. ثابروا على الصلوة بلا انقطاع. لانكم ان واظبتم عليها كما يجب. فخلاصكم الابدى هو اكيد. وبالعكس سيكون امر هلاككم محققًا. ان اهملتم الصلوة:

فهكذا يلزم ان يتصرف معلموا الاعتراف . والمرشدون الانفس . والخطّاب على المنابر . لانه تبعًا لتعليم المدارس الكاثوليكية كلها . لا يوجد احد يضع هذه الحقيقة تحت الارتياب . وهي ان من يصلي متوسلاً يفوز بالنعم بتحقيق . ويبلغ بها الى الحيوة الابدية . ولكن اواه انهم لقليلون هم الذين يمارسون هذه الواسطة المقدسة . ولذلك قليلون هم الذين يخلصون *

الخاتمة

تحتوى على خمس صلوات مفيدة . وعلى اربع وسايط لاكتساب فضيلة الحب نحو يسوع المسيح . ثم على موضوعات وعواطف روحية

الصلوة الاولى

في التماس موهبة الثبات الاخيرة

ايها الاب الازلى . انى اسجد لك بكل اتضاع . واشكرك على انك خلقتنى وافتديتنى بواسطة يسوع المسيح . مقدمًا لديك الحمد والثنا . لانعامك على

علّى بان اكون مسيحيًا فايزًا بموهبة الايمان الحقيقى . ومتبننًا لك بالوضع بسر المعمودية المقدسة. ثم اشكرك لانتظارك ابای للرجوع اليك بعمل التوبة . بعد ارتكابى خطايا هكذا عديدة . ولمغفرتك لى (كما ارجو) جميع السيات التى انا اسخطتك بها . والان انا اجدد ندامتى عليها . من كونى بها قد اغظتك ايها الصلاح الغير المتناهى . بل اننى اشكر عنايتك التى بها انقذتنى من سقطات سيئة كثيرة . التى لقد كنت انا اثمن بها . لولا انك تحفظنى منها بيدك المقتدرة . غير ان اعدائى لا يهجعون عن محاربتى لحد الموت . لرغبتهم ان يروني من جديد اسيرًا لهم . فان كنت انت لا تحمينى منهم . ولا تسعفنى دايمًا بمعونتك . فانا بشقاوة فظيعة سافقد جديدًا نعمتك . ولهذا اتضرع اليك حبًا بيسوع المسيح . بان تهبنى نعمة الثبات المقدس حتى الموت . فابنك الحبيب مخلصنا قد وعدنا بانك تعطينا جميع مانطلبه منك باسمه . فاذًا باستحقاقات يسوع المسيح انا التمس منك لشخصى . ولكل الموجودين فى حال نعمتك هذه

الموهبة . وهى ان لا ننفصل مرةً اخرى عن محبتك . بل ان نحبك على الدوام فى هذى الحيوة . وفى الدهر العتيد موبدًا . واما انتِ يا مـريم والدة الالـه .

❊ فصلى من اجلى لدى ابنكِ يسوع امين ❊

الصلوة الثانية

❊ فى التماسنا مـن يسوع المسيح ان ننـال ❊

❊ حبه المقدس ❊

يا مخلصى يسوع المصلوب . انا اومن معترفًا بانك انت هو ابن الله الحقيقى . وفادىَّ الحبيب . فاسجد لك من اقصى عدمى . واشكرك من اجل احتمالك الموت عنى . لكى تكتسب لى حيوة النعمة الالهية . ومن ثمَّ انا ممنون لك فى امر خلاصى جميعه يامنقـذى المحبوب . فبك انا قد وُجدت حتى الان ناجيًا من الهبوط فى الجحيم . وبواسطتك قد نلت غفران مااثمى . ولكننى عوضًا عن ان احبك قد رجعت فاهنتـك انا الكافر بالجميل . ولهذا استحقيـت ان اُعاقَب بالا اعود اقدر ان احبك من جديد . غير اني اطلب اليك يامخلصى الحبيب . ان تعاقبنى عقابًا

عقابًا اخر غير هذا . لاني ان كنت فيما مضى مما احببتك فالان انا احبك . ولا اشتهى شيًا اخر سوى محبتك من كل قلبى . الا انى لا استطيع شيًا خلوًا من معونتك . فاذًا من حيث انك تامرني بان احبك . اعطنى القوة فى ان اضع بالعمل وصيتك هذه الحلوة المحبوبة . فانت قد وعدت بان تمنح جميع ما يُطلَب منك قايلاً : انكم تطلبون كل ما تريدون فيكون لكم : (يوحنا ص ١٥ ع ٧) وانا لاثقتى بهذا الوعد التمس منك ياحبيبى يسوع . اولًا غفران خطاياى التى انا نادم عليها اشد من ندامتى على اى شر اخر كان . لاجل اني بها اهنتك ايها الجودة العديمة التناهى . ثم اطلب منك ان اثبت فى حال نعمتك المقدسة الى الموت . ولكن فوق كل شى انا اسالك ان تجود علَّى بموهبة حبك المقدس . فاضرم فى قلبى يا مخلصى ورجاى وحبيبى وكل شىء لى نار الحب . التى انت اتيت الى الارض لتلقيها ولا تريد الا اضطرامها . ولذلك اجعلنى ان احبك دايمًا بمطابقتى ذاتى مع ارادتك المقدسة . وانرني لكى ازداد معرفةً بسمو استيهالك ان تكون محبوبًا منى . وانمو علمًا فى

عظم المحبة التى انت احببتنى بها . خاصةً فى اباحتك حياتك من اجلى . فاذًا صيرني ان احبك من اقصى فوادى حبًا دايمًا . وان التمس منك خلوًا من تفويض طالما انا فى هذى الحيوة نعمة محبتك . حتى اذا ما عشت ثابتًا على حبك . ومت فيه . اتي يومًا ما الى السما لكى احبك بكل قواى . امينًا على ان لا افقد محبتك مدى الابدية كلها ❋

اما انت ياام المحبة الجميلة مريم شفيعتى وملجاى . ابنتها المخلوقة الموضوع الاعظم للحب . والمحبة لله اكثر من الجميع . والمحبوبة منه فوق ساير الخلايق . والغير المراغبة شيًا اخر الا ان تشاهديه محبوبًا من الكل . فانت صلى من اجلى بحق الحب الذى به تحبين ابنك يسوع المسيح . واستمدى لى منه نعمة ان احبه على الدوام من كل قلبى . فانا منك التمس نوال هذه الموهبة . وارجو الحصول عليها بواسطتك

❋ امين ❋

❋❋❋

الصلوة

الصلوة الثالثة

فى التماس الثقة بحسن الرجا فى استحقاقات يسوع المسيح . وفى شفاعة مريم البتول والدته

اني اشكرك ايها الاب الازلى بقدرما استطيع . عن ذاتي وعن جميع البشر . على الرحمة العظيمة التى استعملتها معنا . بارسالك ابنك الوحيد متانسًا ليموت عنا . كى يكتسب لنا الخلاص . الامر الذى من اجله اقدم لديك الشكر . متمنيًا ان احبك فى شكرى اياك حبًا موازيًا استحقاق انعام هكذا عظيم . فانت هو الذى باستحقاقات هذا الابن الحبيب تغفر لنا ذنوبنا . لانه تعالى قد اوفى عدلك عن العقابات التى توجبت لك علينا من اجلها . وانت هو الذى اكرامًا لاستحقاقاته تقبلنا فى حال نعمتك نحن الخطاة الاشقيا . الغير المستحقين شيًا اخر سوى ان تبغضنا وتقاصصنا . وكذلك انت هو الذى لاجل استحقاقاته المقدسة قد ارتضيت بان البشر يمتلكون الفردوس السماوى . وبالاجمال انك لاجل هذى

الاستحقاقات قد صرت ملتزمًا بان تهب كل النعم . وجميع العطايا . للذين يطلبونها منك باسم هذا الابن يسوع المسيح *

ثم انى اشكرك ايضًا ايها الصالح الغير المتناهى . لانك لكى تنعش فينا الثقة والطمانينة . فماعدا اعطائك ايانا يسوع مخلصًا . قد وهبتنا ايضًا ابنتك المحبوبة منك مريم العذرا شفيعةً بنا . حتى انها بذاك القلب الذى انت صنعته فيها مملوًا رحمةً ورافةً . لا تغفل هى عن ان تسعف بواسطة شفاعاتها ايًا كان من الخطاة الذين يلتجيون اليها . وقد جعلت شفاعاتها بهذا المقدار فعالةً مقتدرةً امامك . حتى انك لا تعرف ان تنكر عليها اين نعمة هى تلتمسها منك *

وقد اثرت ايها الاب القدوس . ان نكون نحن فايزين برجاء عظيم فى استحقاقات يسوع . وفى شفاعات مريم والدته . ولكن هذا الرجا العظيم الموهوب لنا منك هبةً جليلةً . انت لاتمنحه الا للذين تريدهم ان يخلصوا . فاذًا انا اطلب منك هذه الثقة وحسن الرجا . اكرامًا لدم يسوع المسيح ولشفاعة مريم . والتمس منك هذه النعمة باستحقاقاتهما

باستحقاقاتها لديك . ثم اني التجى اليك انت ايضًا يافادىَ المحبوب منى . انت الذى لاجل هذى الغاية قدمت حياتك ضحيةً على عود الصليب . لكى فتكتسب لى انا المستاهل العقاب فقط . هذا الرجا المقدس فى استحقاقاتك . فتمم اذًا الغاية التى انت من اجلها متَّ . واجعلنى ان اثق بكليتى راجيًا اثمار الامك . واما انت يامريم امى . ورجاى بعد يسوع ابنك . فاستمدى لىَ رجاءً ثابتًا وثقةً راسخةً . اولًا فىَ استحقاقات هذا الابن يسوع المسيح . وبعد ذلك فى مفعول شفاعاتك وصلواتك المقتدرة على كل شى . اذ انها تنال منَ الرب كلَ ما تطلبينه بها . فيامخلص الحبيب . ويامريم الحلوة . انا اثق بكما راجيًا . واسلمكما نفسى التى قد احببتماها حبًا هكذا شديدًا . فانتما ارحماها مترافين عليها . وخلصاها امين

الصلوة الرابعة

فى طلب نعمة المثابرة على الصلوة دايمًا

اني ارجو من خيرية صلاحك يااله نفسى . ان

اوجد فى حال نعمتك . وان اكون قد فزت منك بغفران جميع ما اسأت به اليك . الامر الذى من اجله اشكرك شكرًا قلبيًا . راجيًا ان اسبّح الى الابد رحمتك . فانا الاحظ جيدًا ان هلة سقطاتى الماضية قد كانت من قبل عدم التجائى اليك . طالبًا منك الثبات المقدس . حينما احاقت بى التجارب . ولهذا قد عزمت عزمًا ثابتًا على ان اسرع اليك فى العتيد دايمًا مستغيثًا بك . خاصةً عندما ارى ذاتى فى خطر الرجوع الى اغاظتك . وقصدت ان التجى الى رحمتك على الدوام . مستعينًا بلا فتور بالاسمين المقدسين وهما يسوع ومريم . واثقًا بطمانينة فى اني اذ اصلى هكذا . فانت لا تهمل ان تعطينى حينيذٍ تلك القوة الغير الموجودة فىَّ لكى اقاوم اعدائى . فانى نعم انا قد عزمت على ذلك وقصدت ان امارسه . ولكن ترى ماذا تفيدينى يالعى هذه المقاصد باسرها والمواعيد كلها . ان كنت انت لا تساعدني بنعمتك على وضعها بالعمل . فيا ايها الاب الازلى . انت اعنّى حبًا بيسوع المسيح . ولا تسمح باني اتغافل عن الاستغاثة بك

كل

كل مرة تثب علىَّ تجربة ما . فانا البث واثقًا ، واستمر متحققًا . انك دايمًا تسعفنى عندما التجى اليك . غير ان خوفى كله هو قايم . من انى وقتيذ اسهى عن ان ادعوك لمعونتى . وعلى هذى الصورة يكون اهمالى هذا علةً لدثارى الروحى ، اى لخسارتى نعمتك الامر الذى هو الخراب الاعظم فيما يمكن ان يحل بى . فاعطنى باستحقاقات يسوع المسيح نعمة الصلوة . ولكن بسخاء وافر بنوع ان هذه النعمة تصيرنى ان اثابر على الصلوة بلا انقطاع . ممارسًا اياها كما ينبغى . اما انت يامريم امى . التى كل مرة انا التجأت اليك . قد استمديت لى المعونة فى ان لا اسقط بالخطية . فانا الان ايضًا استغيث بك لكى تنالى لى نعمة اعظم . وهى ان ادعو لمعونتى فى حين احتياجاتى كلها على الدوام ابنك الحبيب . واياك يا ملكتى . فانت قادرة على ان تستمدى من الله كل ما تريدين . ومن ثم استمدى لى الان حبًا بيسوع المسيح ابنك هذه النعمة . وهى ان اداوم على الصلوة . ولا املَّ من التوسلات الى النفس الاخير من

❋ حياتى امين ❋

الصلوة الخامسة

تُمارس يوميًا فى طلب النعم الضرورية لنوال الخلاص الابدى

ايها الاب الازلى . ان ابنك الوحيد يسوع المسيح . قد وعدنا بانك تعطينا كل تلك النعم التى نلتمسها منك باسمه . فاذًا انا اطلب منك باستحقاقاته وباسمه النعم الاتي ذكرها . لى ولجميع البشر . وهى اولًا اني اتضرع اليك بان تهبنى ايمانًا حيًا بجميع الحقايق التى تعلمها الكنيسة الرومانية المقدسة . مانحًا اياى معًا نورك الذى يعرفنى بطلان الخيرات الارضية . وعظم الخير العديم التناهى الذى هو انت . وان يظهر لدىّ شناعة ماانمى . لكى اتضع من قبلها . واكرهها راذلًا كما يجب علىّ . وان يوضح لى سمو استحقاق صلاحك فى ان تكون انت محبوبًا منى من كل قلبى . ثم عرفنى ايضًا الحب الشديد الذى انت احببتنى به . حتى اننى منذ الان فصاعدًا اعود حافظ الجميل نحو صلاحٍ هكذا عظيم . ثانيًا اعطنى

اعطنى رجاءً ثابتًا فى ان انال من رحمتك باستحقاقات يسوع المسيح. وبشفاعة مريم البتول. غفران خطاياى. ونعمة الثبات الاخيرة. والمجد السموى. وامنحنى ثالثًا حبًا شديدًا لك يقتلع من قلبى الانعطاف نحو الاشيا الزمانية كلها. وبلاشى متى حب الذات باسره. لكيلا احب موضوعًا اخر غيرك. ولا اشتهى شيًا. او اهتم فى امر. الا بما يكون مختصًا بمجدك. رابعًا التمس منك ان تعطينى مطابقة الارادة التامة مع ارادتك. باقتبالى بهدو وسلام جميع الاوجاع. وكل الامراض. وساير البلايا والشدايد والاضطهادات. والضجر. واليبس الروحى. والخسايـر. وفقدان الموجودات. او الصيت. ام الاقربا. مع الصلبان الاخر كلها التى ترسلها الىَّ من يدك. فانا اقدم لديك ذاتي بجملتها. ومقتنای باسره لكى تصنع بى وبما لى الشى الذى انت تريده. ولكن انت اعطنى نورًا وقوةً كى اتمم جميع مشياتك القدوسة. وهبنى فى ساعة موتي خاصةً المعونة على ان اضحى لك حياتي مع جميع عواطفى. متحدًا ذلك مع القربان العظيم. الذى قدمه لديك

يسوع المسيح ابنك الوحيد . على جبل الجلجلة فوق خشبة الصليب . خامسًا اطلب منك توجعًا مرًا على ذنوبى . بصيرني ان اعيش على الدوام نادمًا باكيًا لحد الموت . على ما اغظتك به ايها الخير الاعظم المستحق حبًا غير متناه . انت الذى احببتنى محبةً هكذا شديدة . سادسًا اتوسل اليك بان تهبنى روح الوداعة والاتضاع الحقيقى الذى يجعلنى ان اقتبل من البشر بهدو . بل بلذة . الاهانات . وعدم معرفة الجميل . والمعاملات الردية كلها . وبان تمنحنى معًا محبةً كاملة بها اشتهى قلبيًا الخير لمن يصنع معى الشر . واهتم بقدر مكنتى فى ان اعامل بالصلاح كل اوليك الذين يكونون اهانوني . او اساءوا الى . وقلما يكون ان اصلى من اجلهم . سابعًا اتضرع اليك بان تعطينى محبة فضيلة الاماتة . التى بها اعاقب حواسى المتمردة علىّ . واقاوم محبتى الذاتية . ومعًا هبنى النعمة المقدسة لبشرتي . مانحًا اياى المعونة فى ان احارب التجارب المضادة الطهارة كلها . ملتجيًا حينيذ من دون فتور اليك . والى ابنك الحبيب والى والدته مريم الكلية القداسة . ثم اعطنى ان

اطيع

اطيع مرشدى الروحى طاعةً مدققة فى كل ما يرسمه علىَّ . وان اخضع لجميع روسای * امنحنى نيةً مستقيمة . حتى ان كل شى اصنعه وارغبه يكون مختصًا بمجدك . وراجعًا لمسرتك * هبنى رجاءً عظيمًا فى الام يسوع المسيح . وفى شفاعة البتول البريئة من كل عيب * اعطنى حبًا شديدًا لسر الافخاريستيا المسجود له . وعبادةً خشوعية لسيدتي مريم العذرا * ثم فوق كل شى امنحنى نعمة الثبات المقدس . وموهبة ان التمسها منك دايمًا . لاسيما فى حين التجارب . وفى ساعة الموت *

واخيرًا اني اتوسل اليك من اجل راحة الانفس المطهرية . ومن اجل انسبای والمحسنين الىَّ . وبنوع خاص اتضرع اليك من اجل كل الذين يبغضوننى . او الذين يكونون اغاظوني بشى ما . ام افتراوا علىَّ فى امر من الامور . متوسلًا لديك بان تعاملهم بالخير بدل كل الشر الذى صنعوه معى . او يشتهونه لى * ثم ابتهل اليك من اجل الغير المومنين والاراتقة والخطاة المساكين اجمعين . فاعطهم نورًا وقوةً كى يخرجوا من حال الخطية وصيّر ذاتك معروفًا ومحبوبًا من البشر كلهم ايها الالـ

المستحق انواع المحبة باسرها. ولكن اصنع معى ذلك انا الذى اكثر من الجميع قد كفرت باحساناتك. لكى اتي يومًا ما برحمتك ورافتك الى الفردوس السماوى. حيث اسبح مراحمك الى الابد. الامر الذى ارجوه باستحقاقات دمك يايسوع المسيح. وبشفاعات امك المجيدة مريم العذرا. وانت ايتها البتول امى والدة الاله. توسلى من اجلى لدى يسوع ابنك. فهكذا ارجو. وكذلك فليكن لى امين.

وسايط مفيدة لاكتساب الحب نحو يسوع المسيح

(ماخوذة من كتاب طريق الخلاص وجه ٣٢٩ المولف من القديس الفونسوس ليكورى نفسه)

انه يلزمنا ان يكون يسوع المسيح موضوع حبنا بجملته. وهو تعالى يستحق منا ذلك. اولًا لانه هو اله ذو صلاح غير متناه. ثانيًا لانه هو احبنا لحد انه مات من اجلنا بالجسد. فبالعظم الالتزامات التى علينا لفادينا هذا الالهى. لان جميع ما عندنا من الخيرات. والانوار الباطنة. والاستدعايات اليه. وغفرانات ذنوبنا. والمعونات الروحية. والثقة بالرجا. والتعزيات القلبية. والتخشعات التقوية. وعواطف

الحب

الحب . فهذه كلها نحن فايزون بها من يسوع المسيح نفسه . فلناتين الان الى التكلم عن الوسايط التى بها نكتسب الحب نحوه عزّ وجلّ وهى اربع وسايط ✻ فالاولى هى انه يلزمنا ان نشوق باشتهاء قلبى الى ان نحبه تعالى . ولذلك يجب علينا ان نلتمس منه هذه النعمة مرات كثيرة . لاسيما حينما نصلى . وفى وقت التناول . وعندما نزور القربان المقدس . وهذه هى النعمة التى ينبغى لنا ان نلتجى فى استمدادها منه . الى والدة الاله الكلية القداسة ايضًا . والى ملايكتنا الحراس . والى القديسين شفاعاينا الخصوصيين . اى ان ينالوا لنا موهبة ان نحب يسوع . قال القديس فرنسيس سالس : ان نعمة الحب ليسوع المسيح تحوى ضمنها جميع النعم . لان من يحب هذا المخلص حبًا حقيقيًا . لا يذنب هو ضد فضيلة ما من الفضايل كلها : ✻

الثانية هى انه ان كنا نريد ان نكتسب الحب نحو يسوع . يلزمنا ان نطرد من قلوبنا كل نوع من محبة الاشيا الارضية . لان الحب الالهى لا يجد له مكانًا فى قلب مملو من حب الارض . فالقديس فيلبس نيرى كان من عادته ان يقول : ان مقدار الحب الذى نحن

فنعطف به نحو المخلوقات . فهذا المقدار عينهُ نحن نسلبه عن الله : ❋

الثالثة هي انه يلزمنا ان تمرّن ذواتنا بالعملية المتواترة على اصدار افعال الحب نحو هذا المخلص بتكاثر . خاصةً حين ممارستنا الصلوة . لان عواطف الحب هذه هي نظير الحطب المقدم باتصال مادةً للنار . وبها يستمر متقدًا فينا لهيب المحبة المقدسة . فلنصنعنَّ اذًا بمواظبة افعالًا ذات حب وانعطاف ومرة قايلًا كلٌّ منا هكذا : انني ابتهج متنعمًا بانك انت يايسوع حبيبي سعيد بسعادة غير متناهية . وبان اباك الازلي يحبك بمقدار ما يحب ذاتهُ : (وبعواطف اشتهايية وتمنى قايلًا) : انني ابتغي متمنيًا ان الخلايق كلها تعرفك يايسوع الهي وتحبك : (وبافعال التفضيل اذ يقول) : اني احبك يايسوع مخلصي حبًا فايقًا على الاشيا كلها . بل احبك اكثر من ذاتي عينها : ثم فلنعتادنَّ على ان نبرز مرات كثيرة افعال الندامة . التي تُسمَّى افعال حب متوجعي (وهذا كله يوجد في نبذة العواطف التابعة) ❋

الواسطة الرابعة هي ان من يريد ان يشتغل بالحقيقة حبًا نحو يسوع المسيح . فليجتهد في ان يتامل متواترًا

متواثرًا فى الامه تعالى . فقد أُوحى الى احد القديسين السواح . بانه لا توجد رياضة ما ذات فاعلية اكثر لاتقاد نار الحب الالهى . من التامل مرات عدية فى الالام والاهانات التى تكبدها يسوع المسيح حبًا بنا . اما انا فاقول انه لمن المستحيل الا يغرم بعشق الحب نحو فادينا الحبيب . من يتامل فى الامه المقدسة بتكاثر . لانه عز وجل مع مقدرته ان يخلصنا باهراق نقطة واحدة من دمه . لا بل بواسطة تضرع واحد يقدمه من اجلنا . فمع ذلك لاجل غاية الحب قد اراد هو ان يحتمل كل تلك الالام . وان يسفك دمه حتى اخر نقطة . لكى يجتذب قلوبنا الى محبته . ومن ثم ذاك الذى يتامل فى الامه . يصنع امرًا كلى القبول لديه تعالى . فاذا مارس ايها القارى تاملاتك متواثرًا فى الام المسيح . وقلما يكون اصنع ذلك فى يوم الجمعة . اذ انه هو اليوم الذى فيه مات فادينا هذا الالهى من اجل حبه ايانا وها انك تجد لك موضوعًا ملايمًا لذلك فى الباب الرابع من كتاب الرياضة اليومية المطبوع

(قبل هذا)

موضوعات وعواطف روحية مفيدة

اواه يالهى ترى من يعلم اى نصيبٍ عتيد ان يكون حظى ❋
فلنا ساكون امّا سعيدًا على الدوام . وامّا تعيسًا الى الابد ❁
ترى ماذا يفيد امتلاك العالم جميعه خلوًا . من الله ❋
فلنُخسَر اذًا الاشيا كلها . ولا نُخسَر الله ❋
اني احبك يايسوع انت الذى متّ من اجلى ❋
ياليتنى اكون من قبل ان اغظنك ❁
فانا الان اريد ان اموت قبل ان افقد الله ❋
يايسوع وياربم انتما رجاى ❋
يالهى اعنّى حبًا بيسوع المسيح ❋
انك انت وحدك يايسوع تكفينى ❋
فلا تسمح باني انفصل عنك ❋
اعطنى ان احبك . واصنع بى ما تشاء ❋
امّا لى . ترى اى موضوع اخر انا احب الاك انت يالهى ❋
فاعنى ايها الاب الازلى لاجل محبة يسوع المسيح ابنك ❋
انى

اني اومن بك واحبك وارجوك ❋
هوذا انا يارب . فاصنع بى ما يحسن لديك ❋
اواه متى ارى ذاتي بجملتى خاصتك ياالـهى ❋
ومتى استطيع ان اقول يارب انا ما عدت اقدر ان
افقدك مرةً اخرى فيما بعد ❋
يا مريم رجاى ارحمينى مترافقةً علَّى ❋
يا والدة الاله توسلى لدى يسوع من اجلى ❋
ترى من هو انا يارب حتى انك تريد منى ان
احبك ❋
فانا اريدك انت وحدك ياالهى . ولا شيًا اخر
غيرك ارغب ❋
انا اريد يارب فى كل شى ذاك فقط الذى انت تريد ❋
اواه من يعطينى ان افنى ذاتي كلها من اجلك انت
الذى افنيت ذاتك من اجلى ❋
فانا قد وُجدت عارف الجميل مع كل احد . ولكن
يحوك انت فقط قد اضحيت كافرًا بالاحسان ❋
فيكفى ما قد اهنتك به حتى الان . وما عدت اريد
اغاظتك مرةً اخرى ❋
فلو اني اكون من حينيذٍ . لما كنت اقدر ان
احبك ايضًا ❋

بل اتوسل اليك بان تميتنى قبل ان اهينك ❋
فانت قد انتظرتنى لكى احبك . ولذلك انا اريد محبتك حقًا ❋
اني اكرس لك حياتي الباقية كلها . فاجتذبنى اليك يحملنى يايسوع حبيبى ❋
ولانك ما تركتنى . فانا لا اتركك بل ارجو ان يحب احدنا الاخر على الدوام ياالهٔ نفسى ❋
صيرني يايسوع مخلصى ان اكون خاصتك قبل ان ياتينى الموت ❋
اجعلنى ان اراك راضيًا حينما احضر امامك لتحاكمنى ❋
انت قد الزمتنى التزامًا شديدًا بان احبك . وانا حقًا احبك دايمًا ❋
فاقبل ان يحبك احد الخطاة الذى اهانك كثيراً ❋
انت قد اعطيتنى ذاتك كلها . وانا اعطيك ذاتي بجملتها ❋
فانا اريد ان احبك حبًا عظيمًا فى هذى الحيوة . لكى احبك هكذا فى الحيوة الاتية ❋
ومن ثمَّ اجعلنى ان افهم كيف انك انت الخير الاعظم . لكى احبك بشدة ❋

انت

انت تحب من يحبك . فاحببنى انا المُغرَم بحبتك ❋
اعطنى ذاك الحب عينه الذى انت تطلبه منى ❋
فانا ابتهج مهتللًا بكونك سعيدًا فى ذاتك
سعادةً غير متناهية ❋
واحسرتاه . ليتنى مت قبل ان اكون اغطنك .
وان اكون دايمًا احببتك ❋
اجعلنى ان انتصر على كل شى لكى ارضيك بذلك ❋
فانا اهبك ارادتي كلها . لكى تستعمل بي كل ما
تشاء وجميع ما يرضيك ❋
ان مسرتي ونعيمى هما ان ارضيك ايها الصلاح
الغير المتناهى ❋
فانا ارجو ان احبك الى الابد ايها الاله الابدى ❋
انت قادر على كل شى . فاسالك ان تجعلنى بك
قديسًا ❋
انت الذى كنت تطلبنى حينما انا كنت هاربًا
منك . لا تطردني من امامك انا الذى الان
اطلبك ❋
فانا اشكرك على منحك ايای زمانًا لكى احبك .
وعن هذا انا اقدم لديك المديح والثنا قاصدًا
ان احبك ❋

فليكن اليوم الحاضر هو اليوم الذى فيه انا اخصصك بذاتي كلها ✻

عاقبنى بكل القصاصات . بشرط الا تعدمنى ان احبك . لاني اريد ان احبك يالهى خلوًا من حد ✻ فانا اقبل العذابات كلها . والاهانات باسرها . بحيث ان احبك . واشتهى ان اموت من اجلك انت الذى من عنى . واتمنى ان الجميع يحبونك بمقدار ما انت تستحق ✻

فنظرًا لذاتي . انا اروم ان اصنع كل شى اعرف انه يسرك . لاني احب رضوانك اكثر من حبى جميع ملذات العالم ✻

فيامشية الله انت هى موضوع حبى ✻

يامربم المجيدة اجتذبينى بحملتى الى الله بشفاعاتك . واجعلينى ياامى ان ابادر اليك دايمًا مستغيثًا بك . لانه يخصك ان تهتمى فى تقديسى وفى خلاصى ✻

بحيى يسوع موضوع حبنا .

ومربم موضوع رجايتنا

✻ امين ✻

✻✻✻

فهرس هذا الكتاب

المحتوى على فاتحة وقسمين

الفاتحة

* فى تكريس هذا الكتاب بحماية يسوع ومريم *

القسم الاول

* فى شان ضرورة الصلوة . وقيمتها . وشروطها . *
وفيه مقدمة وثلثة روس * وجه ء ع
المقدمة * فى موضوع هذا الكتاب وغايته * ع *
الراس الاول * فى ان الصلوة هى ضرورية للجميع * ١٠
الراس الثاني * فى قيمة الصلوة ومفاعيلها * ٥١ *
الراس الثالث * فى شروط الصلوة . وفيه مقدمة وثلثة اجزا * ٧٢
المقدمة * فى ماهية هذه الشروط * ٧٢
الجز الاول * فى شرط الصلوة الاول وهو الاتضاع * ٨٣
الجز الثاني * فى شرط الصلوة الثاني . وهو حسن الرجا * ٩٥

الجز الثالث فى شرط الصلوة الثالث . وهو
حسن المثابرة على ممارستها * ١١٨

القسم الثانى

تى ان الله قد اعطى البشر كافةً وكل واحد منهم النعمة
تى ان يصلى . لينال النعم الاخر التى هو يحتاج
اليها لحفظ الوصايا . وللفوز بالخلاص الابدى *
ثم فى موضوعات اخر * وفيه مقدمة واربع روس
وخاتمة * ١٣٢
المقدمة * فى موضوع هذا القسم * ١٣٢
الراس الاول * فى ان الله يريد خلاص البشر
اجمعين . ولذلك يسوع المسيح قد مات عن
الكل * ١٣٤
الراس الثاني * فى ان الله يعطى نعمته للابرار
كافةً ليحفظوا وصاياه . وللخطاة اجمعين ليرجعوا
اليه تعالى بالتوبة * ١٧٥
الراس الثالث * فى شرح تعليم جانسانيوس
بخصوص اللذة المنتصرة اضافةً . وفى دحض هذا
الراى الوخيم * ٢١٩
الراس الرابع * فى ان الله يعطى لجميع نعمة
الصلوة

الصلوة . اذا هم ارادوا ان يصلوا . لانه تكفيهم لذلك النعمة الكافية وحدها التى تُعطَى للكل * ٢٨٠

الخاتمة * تحتوى على خمس صلوات جليلة . وعلى الوسايط المفيدة لاكتساب الحب نحو يسوع المسيح ثم على موضوعات وعواطف روحية * ٣٤٣

الصلوة الاولى * فى التماس موهبة الثبات الاخيرة * ٣٤٣

الصلوة الثانية * فى طلبنا من مخلصنا نعمة حبه المقدس * ٣٤٩

الصلوة الثالثة * فى التماسنا نعمة الرجا فى استحقاقاته تعالى . وفى شفاعة والدته المجيدة * ٣٤٩

الصلوة الرابعة * فى طلب نعمة المثابرة على الصلوة * ٣٥١

الصلوة الخامسة * فى التماس النعم الضرورية للخلاص * ٣٥٣

الاربع الوسايط المفيدة لاكتساب الحب نحو يسوع المسيح * ٣٥٨

موضوعات وعواطف روحية * ٣٦٢

تنبيه

من المستخرج الى القارى

اعلم ايها العزيز. اننا كما تصرفنا فى الكتابين اللذين طبعناهما قبل هذا. الملقبين باسجاد مربع البتول الكلية القداسة. وبالرياضة اليومية فى الحقايق الابدية. كذلك صنعنا فى هذا الكتاب. اى اننا قد عيّنا لشهادات الكتاب المقدس فقط اصحاحاتها واعدادها. ثم عدلنا عن تعيين الكتب والفصول والاعداد لشهادات الابا القديسين. والعلما اللاهوتيين الموردة فيه. وذلك حبًا بالاختصار. ولعدم قطع سياق الخطاب بتكاثر. واخيرًا لاجل ان الكتب الموما اليها لا توجد. فى اللغة العربية. الا ربما ما قلَّ جدًا. هذا بعد استخراجنا الشهادات عينها عن اصولها اللاتينية بكل تدقيق

NIHIL OBSTAT

Andreas Molza Censor Philol.

IMPRIMATUR.

Fr. Jos. M. Velzi O. P. S. P. A. Magister

IMPRIMATUR.

J. Della Porta Patr. Constantinop.
Vicesgerens.

627506

IL GRAN MEZZO DELLA PREGHIERA

Per conseguire la salute eterna, e tutte le grazie che desideriamo da Dio.

OPERA TEOLOGICO-ASCETICA

Del B. Alfonso Maria de' Liguori, Vescovo di S. Agata de' Goti, e Fondatore della Congregazione del SS. Redentore

utilissima per ogni genere di persone

DIVISA IN DUE PARTI

Nella I. Parte trattasi della Necessità, Valore, e Condizioni della Preghiera.

Nella II. Parte dimostrasi, che la grazia di pregare è data a tutti; ed ivi si tratterà del modo ordinario, col quale opera la grazia.

Quest' opera è stata tradotta dall' Italiano, in Idioma Arabo, dall'Illmo, e Rmo Monsig. Massimo Mazlum Arcivescovo di Mira Greco - Melchita di Aleppo, e stampata a sue proprie spese.

Roma 1829. Presso Francesco Bourlié
Con licenza de' Sup.

II Suppl. Palat. 249

7.5.2.

569

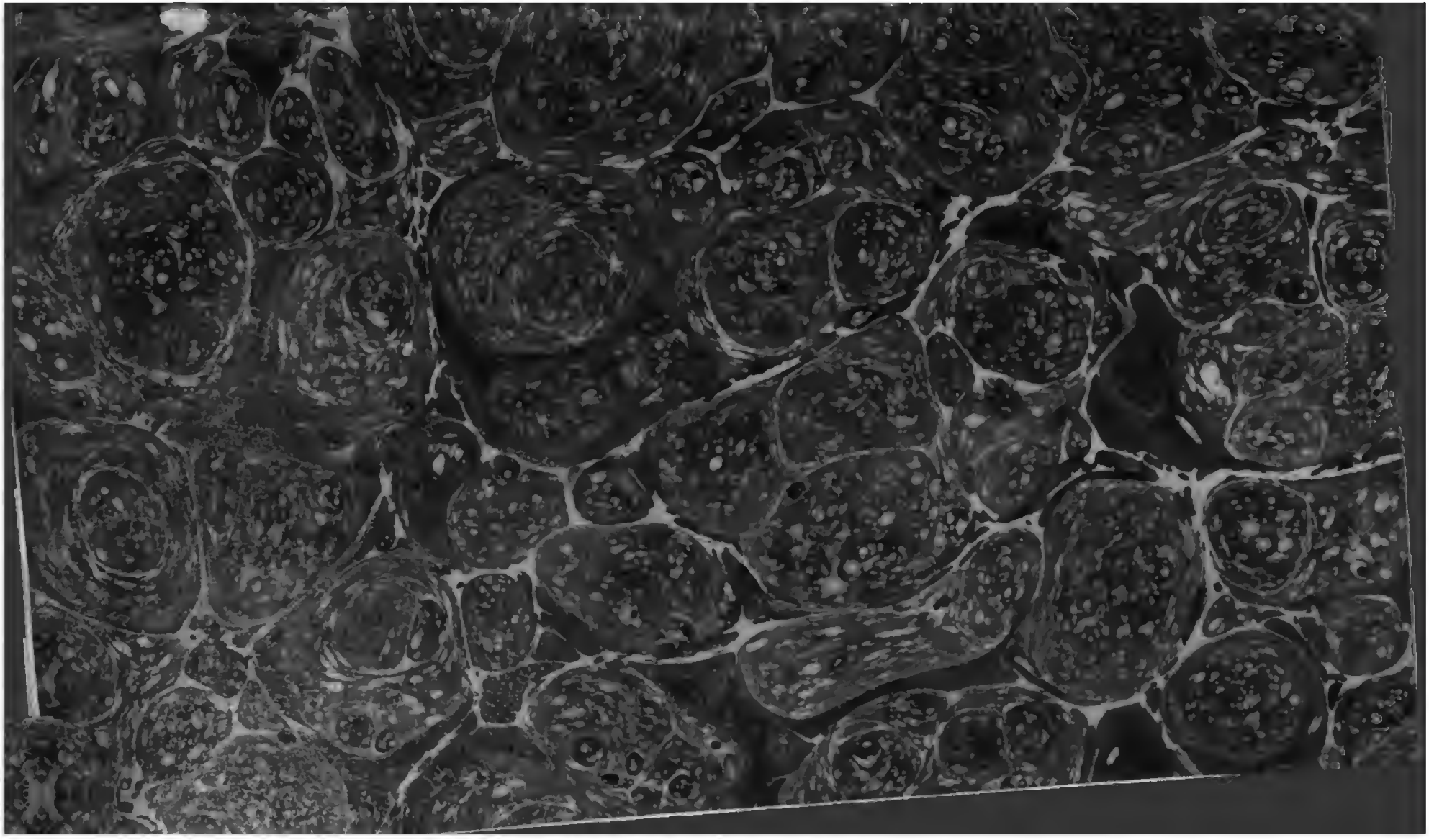

BIBL. NAZ.
Vitt. Emanuele III
II
SUPPL.
PALATINA
A
249
NAPOLI